الشعر الإسلامي

في

ديوان هذا الضياء

للشاعر

عبد الغفار هلال

دكتورة

فردوس نور علي حسين

أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر - فرع البنات بالقاهرة

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م

الناشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر

ت ٢٧٥٢٧٩٤ - ٢٧٥٢٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد المصطفى الأمين ، وعلى آله وصحابته الأكرمين . وبعد

فمنذ درست الأدب العربى ووقفت على كثير من شعر الشعراء فيه ، وأغراضه المتنوعة راقنى الجانب الإسلامى فيه ، ولعل ذلك يرجع إلى صدقه ، واتصاله بالعقيدة المركوزة فى الفطرة البشرية ، وتعبيره عن صفحة بيضاء مشرقة من تاريخ الإسلام ، ومبادئه ، وقيمه التى أصلحت البشرية ، ولا تزال تصلحها ، وتهديها إلى الصراط المستقيم ، وحرك ذلك فى نفسى هوًى نحودراسة هذا الشعر والكتابة عنه ، ومعرفة خصائصه .

واستعراض الشعر الدينى يرينا أنه يشمل مراحل طويلة من الزمن تمتد عبر أكثر من أربعة عشر قرنًا ، وعدد الشعراء الذين صالوا ، وجالوا فى هذا المجال الإسلامى كبير ، ولما كان من الأوفق للدراسة الأدبية الأصيلة الفاحصة المتأنية أن تعتمد على عمق البحث ، والدرس ، والمناقشة ، والاستنتاج ، فإننى رأيت أن هذا الجانب الشعرى - وهوالاتجاه الإسلامى - واسع لا يستطيعه باحث واحد ، أوأكثر ، ويحتاج إلى تضافر الجهود لدراسته تفصيلاً ، وقد تمت بعض الدراسات فى هذا الإطار على يد بعض الباحثين ، ورأيت أن أدلى بدلوى فى دراسة جانب منه عند بعض الشعراء المحدثين .

ولذا رأيت أن أجلى جانبًا منه ظهر عند أحد شعراء الأزهر البارزين فى هذا العصر ، وهوالدكتور عبد الغفار هلال ، وذلك للكشف عن جوانب

مضيئة فـي حياة هـذا الشـاعر ظلـت متوارية وراء اشتغاله بالجـانب العلمـي المتخصص فى اللغة ودقائقها .

ولما لهذا الجانب الإسلامى فـى شعره مـن أثر يعود علـى الأمـة بالخير والسعادة فى اجتماعها حول دينها وتهيئتها لمواصلـة السير حاميـةً عقيدتهـا ، متمسكةً بها ، جامعةً حقوقها ومبادئها ، غير مفرطة فـى شـيء منهـا ، حتى يبقى شعاعها يُومض إلى أن يرث الله الأرض ، ومن عليها ، ثـم إن فـى تجلية هذا الجانب عند شاعرنا ما يؤكد دور الأزهر الشريف فـى الحفـاظ علـى لغة العرب ، وإثراء حياتها بالشعر الـذى ينقلهـا إلى الأجيـال المتتابعـة فـى أحسـن صورة لها ، وأجلاها ، تشد إليها الانتباه ، وتدعوإلى تعلُّمها ، والحرص عليهـا ، والوفاء لها بحقها على كل مسـلم مـن العناية ، والاهتمـام صونًـا لكتـاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

وقد وجدت إلحاحًا ، وتشجيعًا من كثير من الأصدقاء ، وكبار الأدباء ، والمختصين فى اللغة والأدب ، ومن الحريصين على جلاء هذا الجانب من حياة الشاعر الذى أقوم بدراسته ، وهومفتاح الكشف عن شخصيته ، ونفع كبير للأدب واللغة .

وقد اخترت الشعر الإسلامى عند الشاعر – مع تنوع أغراض شعره فـى دواوينه ليكون بدايتى مع دراسة أغراضه المتعددة .

وإن تناول ديوان من هذا النوع له أهميتـه ؛ لأنـه لم يـدرس مـن قبـل ، وقد بذلت جهدًا كبيرًا فى جمعه من مظانه المختلفـة لأكشـف عـن شـعر هـذا الشاعر الذى ظل حبيس الأوراق سنوات طويلة .

وشعره الإسلامى فى ديوانه (هذا الضياء) يتناول موضوعات عديدة تتنوع بمجالاتها .

وقد جعلت دراستى له - بعد المقدمة - فى مدخل ، وأربعة فصول .

ففى المدخل تناولت أمرين :

الأول : مفهوم الدين وارتباطه بالشعر تحدثت فيه بإيجاز عن أثر الدين فى الحياة الأدبية عند العرب ، وبينت وضع الشعر الإسلامى بين الأغراض الشعرية المختلفة .

الثانى : التعريف بالشاعر ، وتحدثت فيه عن حياته ، وشعره نشأة وتطورًا.

ثم فصلت الحديث عن شعره الإسلامى فى الفصول الأربعة ، وهى كما يلى:

الفصل الأول : التوحيد : فبعض قصائده تتناول عقيدة التوحيد ، ورسالات الأنبياء ، ورسول الإسلام محمد ﷺ، ومعجزته الخالدة القرآن الكريم دستور المسلمين .

الفصل الثانى : المدائح النبوية ومدح آل البيت ، وقد تضمن الديوان فى المدائح قصائد كثيرة .

الفصل الثالث : الأحداث الإسلامية وتشمل :

(أ) أحداث الذكريات الإسلامية المرتبطة بمبادئ الإسلام ، وذكريات التاريخ الإسلامى .

(ب) الأحداث الإسلامية الناشئة عن الأحوال السياسية ، والوطنية المتعلقة بالعالم الإسلامى وقضاياه .

الفصل الرابع : دور المؤسسات الإسلامية ، وتقدير العاملين لنصرة الإسلام ، مدحًا ورثاءً ، ويشمل ذلك شعر الشاعر فى جانبين :

الأول : دور المؤسسات الإسلامية وفيه يتناول منابع دراسته فى الأزهر بمعاهده ، وجامعته ، وأثره فى تكوين الداعية المسلم ، وهداية الناس، وإرشادهم إلى ما يصلح حياتهم فى الدنيا والآخرة.

الثانى : تقدير العاملين لنصرة الإسلام مدحًا ورثاء ، وفيه يذكر رجالاً لهم دور بارز فى إثراء الدعوة الإسلامية ، والنهوض بها بذلوا جهودًا عظيمة فى خدمة الإسلام ، ممن مدحهم أورثاهم .

وآثرت أن تكون دراستى لهذا الشعر تحليلاً ، ونقدًا مستعرضة فى ذلك الصورة الأدبية فيه .

كما تحدثت عن أسلوبه الأدبى ، والموسيقى الداخلية والخارجية فيه .

كما اشتملت الدراسة أيضًا على بيان أوجه الإبداع لهذا العمل الأدبى وقيمته فى ضوء الأسس والمقاييس النقدية ، المعروفة قديمًا وحديثًا .

وبذلك أكون قد قدمت للمكتبة الأدبية زادًا يثريها بهذا الشاعر ونتاجه الأدبى .

وأملى كبير أن ينفع الله تعالى بعملى هذا الباحثين والدارسين ، والله من وراء القصد ؛ إنه نعم المولى ، ونعم النصير .

د . فردوس نور على حسين

مدخــــل

- مفهوم الدين وارتباطه بالشعر.
- التعريف بالشاعر .

مفهوم الدين وارتباطه بالشعر

لا نجد تعريفًا جامعًا أو منطقيًا لمعنى الدين ، ولا نجد أيضًا تعريفًا عامًا شاملاً يمكن أن يوضح المراد به عند جميع الناس ، ذلك لأن الأديان كثيرة ، ومنها البائد ، ومنها الباقى ، وتتعدَّدُ الطوائف والشعوب التى تعتنق هذا الدين حقًا كان أو باطلاً ؛ ولم تعرف جماعة إنسانية من غير دين قديمًا ولا توجد جماعة كذلك حديثًا .

ويمكن أن يطلق لفظ الدين فيدل على أمرين :

الأول : هو إحساس يدفع الإنسان إلى سلوك يتجه إليه فى الحياة ، وعلى هذا المعنى يندرج تحته كل ما مرَّ به البشر من أديان منذ نشأة البشرية .

الثانى : انصرافه إلى الأديان التى تشتمل على طقوس دينية معينة ، ويندرج تحت هذا ماكان يعتمد على عبادة النار والأوثان والكواكب ، وغيرها ، كما يشمل كل دين سماوى جاء عن طريق الوحى إلى رسل الله .

ولا شك أن الدين فطرة مركوزة فى طباع الإنسان ؛ ولذلك لم نر إنسانًا بغير دين ، فالدافع إلى العقيدة قائم فى هذا العالم الذى يدل التأمل والبحث فيه على معرفة الخالق والصانع ، ولعل ذلك يفهم من قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾(١) ومن قول رسول الله ﷺ (ما من مولود إلاَّ يولد على

---

(١) سورة الروم . الآية ٣٠ .

الفطـرة)(١) ولهـذه الفطـرة فـإن جميـع البشـر سـواء منهـم القَبَلِـى أو الحضرى يوجـد عنـده الشعور بوجـود الإلـه الـذى يتصـرف فـى هـذا العـالم(٢) .

ويذكر ابن تيمية أن الإقرار والاعتراف بالخالق فطرى فى نفوس الناس ، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصـل له به المعرفة ، وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار كما اعترف بذلـك خلق كثير من أئمة الكلام(٣) .

وهذا المعنى الفطرى المركوز فى الطباع يجعل الإنسان يبحث عن خالقه وإن لم يستطع الوصول وحده إلى التفسير الصحيح ، وقد أشار إلى ذلك أحمد شوقى فى قصيدته حين يقول :

رَبٌّ شُـقْتَ العبادَ أزمان لاكتْـ
ـبٌ بهـا يُهتـدَى ولا أنبيـاءُ
ذهبُـوا فى الهـوى مـذاهبَ شتَّى
جَمعَتْهَـا الحقيقـةُ الزهـراءُ
فـإذا لَقَّبُـوا قـويًّا إلهـًا
فلـهُ بالقُـوى إليـكَ انتمـاءُ

---

(١) شرح ابن تيمية هذا الحديث فى الرسالة الرابعة عشرة ص٣٢٩ وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٣ ص٢١٩

(٢) انظر فى ذلك كتاب (الله) للعقاد ص٦ وغيرها .

(٣) الرسالة الرابعة عشرة ص٣٢٩ .

وإذا آثَـرُوا جميـــــــلاً بتنزيـ

ـــهِ فـإن الجمـــالَ منـك حِبـاءُ

* * *

رَبِّ هــذى عُقُولُنــا فى صِبَـاهَا

نالهـا الخـوفُ واستَبَـاهَا الرّجـاءُ

فعشِقنـاكَ قبــل أن تأتــى الرُسْـ

ـلُ وقامت بِحُبِّـــكَ الأعضــاءُ

وَوَصَلْنَـــا السُّرى فلَوْلاَ ظلام الْـ

جَهْـلِ لم يَخْطُنـا إليكَ اهتــداءُ(١)

ومهما يصل الإنسان مــن العلـم فإنـه يقـف فـى مسـألة البحـث الإلهـى لايستطيع أن يدرك الحق على وجهه الصحيح(٢) .

وهذا يعنى أن التدين الصحيح يتوقف على إرسال الرسل ، وقــد تكفـل المـولى سبحانه ، وأخـذ علـى نفسـه ألا يعـذب أحـدًا إلا بعـد أن يرسـل إليـه رسولاً؛ وهذا لأن العقل وحده لا يستطيع الاهتداء فقال تعالى : ﴿ ومـا كنـا

---

(١) الشوقيات حـ١ ص٢٦ ، ٢٧ والقصيدة بعنوان : " كبار الحوادث فى وادى النيل " .

(٢) انظر قصة الفلسفة الحديثة لأحمد أمين وزكى نجيب محمود . مطبعة التأليف ١٩٣٦ حـ٢ ، ص٤٧٦ .

معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾(١) وقال سبحانه ﴿ ليهلِك مـن هَلَـكَ عـن بيّنـةٍ ويحيَا من حَيَّ عن بيِّنةٍ ﴾(٢) .

فوظيفة الرسل هى أن يبصروا الناس بأمر الفطرة التى فطرهم الله عليها، وأن يخرجوهم من دائرة ما يقعون تحت تأثيره من الغرائـز والصـوارف فيعرفـوا الله حق معرفته .

كما أن من وظيفة الرسل أيضًا تعريف من أُرسِلُوا إليهم بأصول الشرائع التى بعثوا بها إلى الناس من عبادة الخالق والتعاليم التى تصحح علاقات النـاس بعضهم ببعض ، وتحقق لهم السعادة والاستقرار فـى الدنيـا والآخـرة وقـد ورد فى القرآن الكريم أن الله تعـالى أرسـل إلى بنـى آدم كثـيرًا مـن الرسـل وذكـر بعضهم كما قال تعالى : ﴿ ورسلا قد قصصنـاهم عليـك مـن قبـل ورسـلا لم نقصصهم عليك﴾(٣) وكما قال سبحانه : ﴿ ولقد أرسـلنا رسـلاً مـن قبلـك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾(٤) .

وهؤلاء الرسل المتتابعون أبلغوا رسـالة ربهـم إلى النـاس ، وكـل رسـول كان يأتى بما يصدق الرسول السابق عليه ، ويضيف من الشـرائع والتعـاليم مـا يناسب قومه وحاجتهم إلى أن جـاء نبينـا محمـد ﷺ فختـم هـذه الرسـالات ، واشتملت شريعتة علىما جاء فـى الشـرائع السـابقة مـن ميادئ وقيـم تصلـح

---

(١) سورة الإسراء . الآية ١٥

(٢) سورة الأنفال . الآية ٤٢

(٣) سورة النساء . الآية ١٦٤

(٤) سورة غافر . الآية ٧٨

البشرية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وزادت شريعته الغراء بالإتيان بما يكمل ما جاءت به الرسالات الأخرى مما تتطلبه حياة البشر منذ بدء الرسالة المحمدية إلى قيام الساعة كما قال تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصَّينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾(١) .

وقال جلَّ ثناؤه : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورَضيتُ لكمُ الإسلامَ دينًا ﴾(٢) .

وكما قال ﷺ (أنَا العَاقب فلا نبيَّ بعدى)

وقد جاء الإسلام - كما ورد فى القرآن الكريم - بأوامر ونواه للناس لتستقيم أمورهم كما قال تعالى عن نبيه ﷺ ﴿ يأمُرهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكرِ ويُحلُّ لهم الطيباتِ ويُحرّم عليهِمُ الخبائثَ ﴾(٣) .

وقد عُرِفتْ شريعةُ الإسلام بأنها شريعة اليسر كما قال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليُسْرَ ولا يُريدُ بِكُمُ العُسْرَ ﴾(٤) .

وكما قال سبحانه : ﴿ وما جَعلَ عليكم فى الدّين مِنْ حَرَجٍ ﴾(٥) .

---

(١) سورة الشورى . الآية ١٣

(٢) سورة المائدة . الآية ٣

(٣) سورة الأعراف . الآية ١٥٧

(٤) سورة البقرة . الآية ١٨٥

(٥) سورة الحج . الآية ٧٨

وقالت السيدة عائشة (ما خيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قطٌّ إلا أخذَ أيسرَهُما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه)(١) .

وعرف أيضًا أن الإسلام خفف على الناس التكاليف فلم يثقل عليهم ، ويرشد إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تَسُؤْكُمْ وإن تسألوا عنها حين يُنَزَّلُ القرآنُ تُبدَ لكم عفا الله عنها والله غفور حليم ﴾(٢) .

وجاء تشريع الإسلام شيئًا فشيئًا لا دفعة واحدة(٣) ومقاصد التشريع الإسلامى هى تحقيق المصالح الضرورية والحاجية والكمالية لبنى الإنسان ، والقرآن قد تضمن القواعد الكلية المحققة لتلك المصالح جميعًا(٤) وكما قال بعض الباحثين فالإسلام ليس روحانيا مجردًا ولا جسدانيا جامدًا بل إنسانيا وسطًا بين ذلك ، وقد توافر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره ، وقد اعترف له خصومه بأنه ارتقى بالبرابرة على سُلَّم المدنيَّة ولم يكن من أصوله أن يدع ما لقيصر لقيصر بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله، ويأخذ على يده فى عمله(٥) فالإسلام ليس مجرد نظام من العقائد الدينية

---

(١) دليل الفالحين لابن علان الصديقى حـ٣ ، ص٩٦

(٢) سورة المائدة . الآية ١٠١

(٣) تاريخ التشريع الإسلامى للشيخ محمد الخضرى ط٤/١٩٣٤ ص١٨ .

(٤) مجلة الشهاب . العدد الثالث . السنة الأولى . من بحث بعنوان مصادر التشريع الإسلامى للأستاذ محمد الشافعى اللبان .

(٥) العروة الوثقى . المقال الخامس فى الرد على هانوتو ص٤٥٣ .

والعبادات بل إنه أعظم من ذلك بكثير وهو مدنية كاملة ، ومجتمع بالغٌ تمام الكمال يشمل كل مظاهر الحياة الإنسانية(١) .

ونخلص من ذلك إلى أن الدين عقيدة ، وعبادة وأخلاق .

ثم إنه لا ينسى جانب المسئولية ، فكل إنسان مسئول عن عمله ، ويحاسب عليه خيرًا أوشرًا ، وعلى المرء أن يسلك السبيل القويم فيؤمن با لله تعالى وحده لا شريك لـه ، وبقدرته ، ونفاذ أمره فى هذا العالم ، وعلى الإنسان أيضًا أن يستمسك بالمبادئ ، والتعاليم الإسلامية ، وأن يؤدى ما عليه من فرائض وواجبات وأن يأتمر بما أمر ا لله ورسوله ، وأن ينتهى عما نهى عنه، وأن يراقب ا لله سرًّا وعلانية ، وأن يتعلق بالرجاء والطمع فى عفو ا لله عما يقع فيه من تقصير ، وأن يتوب عما وقع فيه من زلات .

وعلى ذلك فالدين يشمل المعتقد والأوامر والنواهى ، وجزاء الأعمال على السلوك المستقيم أو غيره .

والأدب كما هو معروف يهدف إلى تحريك الوجدان ، وإثارة العواطف على حين أن العلم يخاطب العقل ، وللأدب غاية ورسالة فى هذه الحياة (فهو يهدف فى كل أمة إلى تهذيب عاداتها ، وتلطيف إحساسها ، وتنبيهها إلى خيرها فتجتليه ، وإلى ما يخشى من الشر فتجتنبه ، والأدباء

---

(١) وجهة الإسلام للمستشرق جب . ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادى . المطبعة الإسلامية ١٩٣٤ ص١٥ .

فى الحقيقة هم ساسة أخلاق الأمم ، بل هم أجنحتها تطير بهم إلى ذروة فلاحها)(١) .

وتعد العاطفة الدينية من أقوى العواطف ، وهى تقوم على تجربة صادقة من اعتقاد الإنسان اليقينى وتسليمه بما يعتقد، ويدين به ، وقد رأينا أن هذه العقيدة الدينية مصدر غزير عبر به الشعراء عن معتقدهم منذ أقدم العصور ، ولدى جميع الأمم والشعوب .

وفى حياة العرب نجد أن الدين كان له أثر كبير فى حياتهم ، والدليل على ذلك مادل عليه القرآن الكريم من تمسكهم بعبادة الأصنام والأوثان قبل الإسلام ، وحرصهم على البقاء على دين آبائهم وأجدادهم ، وقد كان لهم ثلاثمائة وستون صنمًا ، وكان بعضهم يعبد الأشجار والنجوم والحجارة ، ولما جاء الإسلام دلنا على تمسكهم بعبادتهم وأنهم كانوا يعبدونها تقربًا إلى الله كما قال الله تعالى على لسانهم ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾(٢)، ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما

---

(١) العروة الوثقى . العدد السابع ص٣٨٢ . هناك مذاهب متعددة فى الأدب مثل المدرسة الكلاسيكية ، والمدرسة الرومانتيكية التى عبرت عن الآلام التى يعانيها الشعب والشكوى ، ومنها المدرسة الواقعية التى يبدو فيها الأدب مُصورًا للعادات والأخلاق و أيضًا المدرسة الرمزية للتحدُّث عن حقائق وراء ما نراه ونحسه ولذلك تلجأ إلى التعيمة والإبهام ، فكلها تتناول رسالة الأدب فى الحياة ، ونشأ ما يسمى بمذهب الفن للفن ، فجعل الشعر صورًا ، وأخيلة ، وإحساسات جميلة فى ذاتها . انظر فى ذلك : الأدب والنقد د. محمد مندور . ط الأولى ١٩٤٩ م ص٢٩ ، ١١٦ ، ١٢٤

(٢) سورة الزمر . الآية ٣

أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مقتدون ﴾(١)

ولكن لم يظهر أثر كبير للشعر الدينى فى حياتهم وإن كان قد بقى منه شئ قليل ، فقد قضى الإسلام على هـذا اللـون وأدى بهـم إلى التخلـى عنـه ، فضاعت تلك الآثار إلا بعض ما ذكـر فـى مثـل كتـاب الأصنـام لأبـى المنـذر هشام بن محمد السائب الكلبى(٢) وهو يذكر أسماء ما عرف من أصنام العرب وأسماء القبائل التى كانت تدين بكل منها وبعض الأشعار التى كانوا يقولونهـا إبان عكوفهم حولها للعبادة وقد ورد عنهم بعض سباب لهـذه الأصنـام، ومـن ذلك ما يروى من أن رجلاً من بنى ملكان ذهـب إلى صنـم القبيلـة (سـعد) يتبرك به ، فنفرت الإبل ، وتفرقت فى كل وجهة فرمى الصنم بحجر ، وقال : لا بارك الله فيك من صنم نَفَّرتَ إبلى فلما جمع إبله قال :

أتينـــا إلـى سـعدٍ ليجمـعَ شملَنــا
فَشتّتنا سـعد فـلا نحنُ من سـعدِ
وهــل سـعدٌ الا صخــرةٌ بتنُــوفةٍ
من الأرض لا يدعو لغيٍّ ولا رُشـدِ(٣)

---

(١) سورة الزخرف . الآيتان ٢٢ ، ٢٣

(٢) توفى سنة ٢٣١ هـ وطبع كتابه عدة طبعات .

(٣) الفتوة عنـد العرب لعمر الدسوقى . طبعـة البيـان العربـى ص١٠٤ وتنــوفة هــو مكـان إقامته .

ولذلك لم نر أثرًا بارزًا للّون الدينى فى الشعر الجاهلى والأثر الواسع إنما كان للشعر الإسلامى .

ولم يظهر باب معين يضعه علماء الأدب أو جامعو الشعر لهذا الفن ، وهو الشعر الدينى ، فلا نجده بين فنون الشعر أو أغراضه ، فأبو تمام(١) فى الحماسة يجعل أبواب الشعر سبعة ولا يذكر بينها الشعر الدينى، ويقسم البحترى(٢) تلك الأبواب فى حماسته أربعة وسبعين ومائة باب ، ويجعلها أبو هلال العسكرى(٣) فى ديوان المعانى اثنى عشر بابًا ، وأشهر الأبواب التى أجمعوا عليها سبعة : النسيب والحماسة والمديح والهجاء والوصف والرثاء والأدب والزهد ، وعلى مثل ذلك سار البارودى فى مختاراته(٤) .

وفى الباب الأخير من هذه السبعة يدخل الشعر الذى يتعلق بالجانب الدينى كالحديث عن الآخرة أو الأخلاق أو التصوف .

ونقصد من هذا أنه لا يوجد باب يندرج تحته الشعر الدينى كله لكننا نجده مفرقًا ، ففى الباب الأول بعد المائة فى حماسة البحترى يذكر ما قيل فى البر والتقوى فى سبعة وعشرين بيتًا(٥) ، والباب الرابع بعد المائة عنوانه " فيما

---

(١) ت ٢٣١ هـ .

(٢) ت ٢٨٤ هـ .

(٣) ت ٣٩٥ هـ .

(٤) للأوربيين تقسيم آخر فهو عندهم : قصصى (حماسى) وتمثيلى وغنائى ، ذكر ذلك سليمان البستانى عند تقديمه لترجمة إلياذة هوميروس ص١٦٣ : ص١٦٥ ط الهلال سنة ١٩٢٤ .

(٥) حماسة البحترى . ط بيروت ١٩١٠ ص١٥٩ .

قيل فى نماء القليل من الحلال ونفعه وقلة نفع الخبيث ونمائه ذكر فيه سبعة أبيات(١)، وهناك عنوان آخر " فيما قيل فى التوسل " وذلك فى الباب السادس والستين(٢) .

وعدم تخصيص باب معين للشعر الدينى يرجع إلى تداخل الموضوعات دون مراعاة لنوعها أو لقائلها فى المصادر الأدبية مثل الأغانى والأمالى والبيان والتبيين وكذلك فى دواوين الشعراء .

ويجدر بنا أن نحدد مفهوم الشعر الإسلامى باعتباره أساس بحثنا فهو ذلك الشعر الذى يعالج موضوعات تتصل بالشعور الإسلامى وتتناول حقائق الدين وقيمه وتعاليمه أو تدافع عنه فيما يعرض من شُبَهٍ أو شكوك وتعالج أمورًا شتى تتصل بالحياة والناس مرتبطة بفكر إسلامى أو عاطفة دينية يملؤها صدق الإيمان الذى يعمر القلوب ، فهو يشمل كل ما فى الكون من فكر يتصل بالإسلام (وقد سرى هذا التيار داخل أرواح الشعراء وعواطفهم بقدر أو بآخر فكانوا يستشعرون بين حين وآخر بنفحات إسلامية لا تنفصل عن حياتهم الفنية العامة(٣) .

والدارس للشعر الإسلامى فى عصوره المختلفة منذ صدر الإسلام حتى الآن يجد أن هذا الشعر ينقسم بحسب تناول الشعراء لموضوعاته إلى ما يتصل

---

(١) المصدر السابق ص٢٣٢ .

(٢) المصدر السابق ص٢٥٦ .

(٣) العصر الإسلامى . د. شوقى ضيف . ط دار المعارف١٩٦١ م - ١٩٦٣ م ص ١٧٦ - ١٧٨ .

بأغراض معينة ، ومناسبات شتى كالإلهيات ، والمدائح النبوية ، ومنه ما يتصل بوسائل الدفاع عن الإسلام ومنه ما يكون تعبيرًا روحيًّا خالصًا كشعر الزهد ، ونحوه .

وكل هذا يمثل جزءًا من كلّ ؛ لأن الشعر الإسلامى أوسع من هذا كثيرًا.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على الأدب العربى وجدنا الشعر الإسلامى يبدو واضحًا فى الدفاع عن الدين الجديد ، وتمجيد الإله الأوحد(١) ومن ذلك ما كان يجرى على لسان حسان بن ثابت فى قصائده يوم بدر ويوم فتح مكة، وكذلك حين يتحدث عن دين الحق والنبى الصادق وحماية الأنصار له كأن يقول :

فلما أتانا رسول المليـ

ـكِ بالنور والحق بعد الظُّلَمْ

رَكَنّا إليه ولم نَعْصِهِ

غداة أتانا من ارضِ الحرمْ(٢)

وهكذا استمر الشعر الإسلامى عند شعراء القرن من الشيعة والخوارج كالكميت وقطرى بن الفجاءة لمناصرة عقائدهم ومسألة الخلافة .

---

(١) شوقى . شعره الإسلامى . د. ماهر حسن فهمى . ط دار المعارف ص٢٤ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص١٢ .

ويظهر فى النصف الثانى من القرن الثانى إبان العصر العباسى شاعر الزهد أبو العتاهية(١) كما نجد شعرًا إسلاميًّا عند المتحدثين عن الفتوحات الإسلامية فى المشرق كأبى تمام والمتنبى وفى المغرب كابن هانئ الأندلسى فى مدائحهم ومراثيهم ، ويظهر بعد ذلك إبان الحروب الصليبية ابن سناء الملك وابن مطروح والبهاء زهير يتحدثون عن الجهاد والدفاع ضد الأعداء ، ونجد ابن الفارض والبوصيرى يتجهون إلى الروحانية الخالصة يلتمسون السكينة والفوز والتغلب على هذه المحن والأخطار وهى تأملات توصل إلى أنواع من المجاهدات وَتَرقِّى النفس فى المقامات الصوفية ثم تحصل على نتيجة هذه المجاهدات وترقى النفس فى المقامات بالتخلص من الشوائب شيئًا فشيئًا(٢) .

ويمتد الأمر إلى العصر الحديث(٣) ، وإذا لاحظنا نتاج الشعراء فى العصر الحديث فنجد الشعر الدينى المنشور فى الدواوين والصحف قائمًا على الموضوعات التى أشرنا إليها من النواحى التى تتعلق بتمجيد الله سبحانه وتعالى ، والمدائح النبوية ومدائح آل البيت والأشراف والتوسل

---

(١) ١٣٠ - ٢١٠ .

(٢) شوقى شعره الإسلامى . د. ماهر حسن فهمى ص٢٥ : ٣٠ وما بعدها ، وانظر قصة الأدب فى العالم لأحمد أمين وزكى نجيب . الطبعة الأولى ١٩٣٦م لجنة التأليف والترجمة والنشر جـ٢ ص٤٦٤ وقد شاع التصوف و التوسل فى العهد التركى .

(٣) يبدأ من سنة ١٧٩٨ إلى اليوم ، ويقسمونه فترات من بدئه إلى الثورة العرابية سنة ١٨٨٢م وما أعقبها من احتلال ، ومن هذا التاريخ حتى ثورة ١٩١٩ م ، ومن ذلك حتى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م وما تلاها إلى الآن .

بالأوليــاء والصــالحين ، ومدائــح الخلفــاء ، والمناســبات العامــة ، والزهــد والتصوف(١) .

كما يشمل إحياء أمجاد الإسلام من صور البطولة فى الإسلام ، والعنايـة بذكرى الهجرة النبوية ورد هجمات خصوم الإسلام والتــأليف بـين العنصريـن المســلمين والأقبــاط ، والمناســبات العامــة كتقديــر العــاملين علــى نصــرة الإســلام،ومزايــا الإســلام ومناسبات دينيـة مختلفــة إلى جــانب الموضوعــات السابقة(٢) .

وإذا ما سرنا خلال القرن العشرين وهو ما تبدأ فيــه حيـاة الشعر قـرب نهاية العقد الرابع منه فإننا نجد الموضوعات التى توضح سمات الإسلام ، والـرد على خصومه والاتجاه الوطنى الداعى إلى التحرر .

وقد أدت الوثبــة الكـبرى فـى التعليـم والسياسـة وتنـوع الثقافـة العربيـة الخالصة ، والمتصلة بالثقافات الأجنبية ، والمطبوعات ، والصحافــة والمجــلات ، والجمعيات كجمعية الشبان المسلمين ، والجمعية الشرعية ، وجمعية الإصــلاح، والجمعيات الخيرية ، والإذاعة ، وارتقاء المســتوى الاجتمــاعى أدى ذلــك كلـه إلى أن تبرز موضوعات متصلة بالخلافة ، وأحداث العالم الإسلامى ، والقضيــة الفلسطينية ، وقضايا الأمة العربية ، والوحدة .

---

(١) أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديـث . سـعد الديـن محمـد الجيزاوى . ص ٨٤ ومـا بعدها.

(٢) المصدر السابق ص٢١٤ .

وظهر على إثر البارودى الشعراء المحافظون كشوقى وحافظ ومطران ، والرافعى ، وظهر أيضًا فى مطلع القرن العشرين مدرسة الديوان : شكرى والمازنى والعقاد متأثرة بالمدرسة الرومانسية الإنجليزية ليعبر شعراؤها عن جوانب ذاتية ، وبرز عند المدرستين الاتجاه الدينى فى الشعر ، وظهرت القصة الشعرية ، والمسرحية والأناشيد التى ترتبط بالجانب الدينى ، ولمحمود حسن إسماعيل شعر إسلامى قصصى مثل البعثة المحمدية ،وقصة المولد النبوى ، وظهر لتوفيق الحكيم الهجرة وبعض التمثيليات ، وظهرت بعض الموشحات كموشحات محمود رمزى نظيم فى المدائح النبوية ، والهجرة ووجدنا الشعر الدينى يتواصل فى المدائح النبوية والمناسبات الدينية ، وتمجيد البطولات الإسلامية الماضية ، ومشكلات العالم الإسلامى والعربى ، ومحاربة الإلحاد والتبشير ، والدعوة إلى حماية الفصحى وتقويتها ، وظهور نزعة التصوف ، والنظر إلى القضايا الإسلامية كأحكام السفور والحجاب والتبرج ، والنظر فى التجديد ومتابعة الغرب .

ويمكن أن نجد الصدى واسعًا عند الشيخ محمد صادق عرنوس (ت١٩٥٠ م) وأحمد زكى (أبو شادى) و (أحمد محرم) و (أحمد الزين) و(محمد الهراوى) و (على الجارم) و (محمد عبد المطلب) و (أحمد محفوظ) ، كما أن الشعر ينطلق إلى أحداث العالم الإسلامى ، والاستعمار فى ليبيا والجزائر والمغرب كما هو الحال عند شوقى وحافظ إبراهيم ، وألفت الملاحم الإسلامية كإلياذة أحمد محرم ، وعامر بحيرى .

ويظهر من ذلك التتبع التاريخى حتى اليوم أن الشعور الإسلامى قد ازداد ظهورا وحيوية ، وأن الموضوعات الإسلامية اتسعت ، وتعددت جوانبها، وارتقت فى صياغتها وأساليبها وأفكارها ، وصورتها الفنية.

وكان الباعث على كل ذلك هو الاتجاه الإسلامى أو الوطنى والاجتماعى.

وغزرت المعانى بالاطلاع على الأدب العربى الأصيل أو على ما جد من مستحدث ووافد .

التعريف بالشاعر

اسمه ونسبه :

هو عبد الغفار حامد محمد هلال ينتمى إلى أسرة متوسطة من أسر الريف المصرى ، ولد فى قرية (برما) التابعة لمركز طنطا وهى من قرى محافظة الغربية ، فى اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف بحسب دفاتر المواليد لهذه القرية .

حياته ونشأته :

كانت أسرته تعمل فى زراعة الأرض وتقوم ببعض الأعمال التجارية فوالده - رحمه الله - كان يزاول مهنة تجارة الدواجن التى اشتهرت بها قريته إلى جانب عمله فى مجال زراعة الأرض .

وكان والده مجيدًا للقراءة والكتابة ، يحفظ القرآن الكريم ، مشغولاً بالدين ، محبًا للعلم وأهله ، محبًا لعلماء الأزهر ، وكان لوالده - رحمه الله - أسلوبه المميز فى تربية أبنائه ، ومنهم الشاعر ، وكنت أعجب بهذا الأسلوب، فعندما يريد غرس فضيلة معينة ، أو الترغيب فى العلم ، والعكوف عليه يعرض قصصًا على سبيل الحقيقة أو الخيال لطلبة برعوا فى العلم ، وحققوا أمل آبائهم فى ذلك ، ويبدى إعجابه بهم ، ويوضح سعادة الآباء بهم ، وهو بهذا يطلب من أبنائه الجد والعمل ليس على سبيل الأمر فينفروا من ذلك ، ولكن بهذا الأسلوب التربوى الفطن ، وبلغ والده - رحمه الله - من حبه للعلم أن عمل على تحفيظ أخيه محمد - عم الشاعر - القرآن وألحقه بالمعهد الأحمدى بطنطا،

وقد ظل يراوده أمل أن يكون له عالم من علماء الأزهر إلى أن رزقـه الله بابنـه شاعرنا بعد ابنتين سابقتين عليه ، وحينمـا بلـغ الرابعـة مـن عمره دفـع بـه إلى كتّاب من كتاتيب القرية كان يقوم على تحفيظه القـرآن فيـه وتعليمـه الكتابـة والقراءة شيخان جليلان هما فضيلة الشيخ حسن سلام وكان مبصـرًا وشـيخًا وقورًا وفضيلـة الشيخ محمـود أبـو عكـر وكـان كفيـف البصـر لكنهمـا كـان منقطعين لتحفيظ القرآن يبدأ يومهما من الساعة السابعة صباحًا ، وينتهى بعـد صلاة العصر وقد انخرط الشاعر وهو طفل مـع رفقائـه مـن أطفـال القريـة فـى حفظ القرآن فى هذا الكتّاب ، وكان مجدًا ومطيعًا لشيخيه وبدأ يحفظ القـرآن عن طريق كتابته فى لوح كان يصنع من الصفيح ويكتب فيه بقلم من البـوص ويصححه على الشيخ حسن ويحفظه بعد ذلك مع مراجعة ما كان يسمى فـى ذلك الوقت بالماضى وهو ما حفظه قبل ذلك .

وعندما بلغ الشاعر العاشرة من عمره كان قد انتهى مـن حفـظ القـرآن كاملاً مجودًا وقد تحقق حلـم والـده فـى إلحاقـه بـالمعهد الأحمـدى بطنطـا سـنة ١٩٥١م وقد حالفه التوفيق بالنجاح فى اتمام المرحلـة الابتدائيـة سـنة ١٩٥٤م وهى ما تسمى بالمرحلة الإعدادية الآن وكان ترتيبه الأول على مستوى الجمهورية ، ثم انتقل إلى المرحلة الثانوية - وكانت الدراسة بها خمـس سـنوات - انتهـى منهـا سنة ١٩٥٩م بترتيب الثانى على الجمهورية وقد ظهر فى أثناء الدراسة الثانوية نبوغه وفواقه(١) العلمى الملحوظ وقد دفعه ذلك مع اهتمام الأسرة إلى مواصلة

---

(١) فاق أصحابه : فضلهم وصار خيرًا منهم فوقًا ، وفواقًا .

التعليم فى الجامعة وكان حلمه فى دخول كلية اللغة العربية يراوده مع إتاحة فرص أخرى له للتعليم فى غيرها حتى إنه يوم أن قدم أوراقه إلى الكلية قال :

تبـارَكَ ربّـى فى يديـهِ تقـدُّمى
فسِـرْتُ بفضـل الله أمتـلكُ الـذُّرا
هـدانى نجـاحًا باسـم الثّغر عاليًـا
فـأورق عـودى بالمفـاخر مُزهـرًا
وقد مَشَـتِ الأقـدارُ تحمى سعادتى
وتكلـؤنى بالعـلم نصـرًا مؤزّرًا(٢)
فطرت وأحـلام الطموح تفتحـت
رياضًا شَـذَاهَا يملأُ الكون عنـبرًا

وقد تحقق حلمه فالتحق بها سنة ١٩٥٩م/١٩٦٠م ولما جاء قانون تطوير الأزهر سنة ١٩٦٢م أضاف سنة تكميلية درسها قبل السنة الثالثة فى الكلية حسب النظام فى ذلك الوقت وبعدها ألغيت هذه السنة ، وتخرج سنة ١٩٦٤م وحصل على تقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف ، وكان ترتيبه الرابع على دفعته من الشعبة اللغوية ، ولم تطلب الكلية معيدين فى ذلك الوقت فعمل مدرسًا فى الأزهر فى معهد المحلة الكبرى الإعدادى الثانوى ، وواصل

---

(٢) أزر الشىء أزْرًا : قواه ودعمه ويقال : أزّرته تأزيرًا فتأزّر ، وفى حديث المبعث قال ورقة بن نوفل للنبى ﷺ : إن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا أى بالغًا شديدًا . اللسان ٥/٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ١/٢٤٦ ، ٢٤٧

دراسته العليا حتى حصل على درجة التخصص (الماجستير) فى أصول اللغة سنة ١٩٦٧م بتقدير جيد جدًا وكانت رسالته بعنوان (الاشتقاق المنهجى عند اللغويين) ، وعين معيدًا بالكلية سنة ١٩٦٩م وهو يواصل رسالة الدكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا رئيس قسم أصول اللغة وعميد الكلية آنذاك وحصل على الدكتوراه فى أصول اللغة سنة ١٩٧١م مع مرتبة الشرف الأولى وكانت رسالته بعنوان (ابن جنى اللغوى) ، ثم عين مدرسًا فى يوليو سنة ١٩٧١م وأستاذًا مساعدًا فى ديسمبر ١٩٧٦م ثم أستاذًا فى فبراير سنة ١٩٨٢م وشغل رئاسة القسم بعد أستاذه المرحوم الدكتور عبد الله عيد العزازى .

ثم سافر الشاعر إلى اليمن وقضى بها عامين من سنة ١٩٧٣م عمل فيها أستاذًا لفقه اللغة بجامعة صنعاء ثم إلى السعودية للعمل أستاذًا لفقه اللغة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقضى بها ثمانى سنوات متفرقة منذ سنة ١٩٧٦م وسافر أستاذًا زائرًا إلى كليات البنات بالسعودية عدة مرات سنة ١٩٨٦ ، ١٩٨٧م وخلال هذه المدة كان يعود ليشغل رئاسة قسم أصول اللغة باعتباره أقدم الأساتذة ، ولا يزال يشغله حتى الآن وقد حضر الشاعر مؤتمرات علمية عديدة داخل مصر وخارجها وهو عضو بالجمعية اللغوية التى كان يقوم عليها الأستاذ الدكتور كمال بشر .

وشارك الشاعر ببحث عن (الأقليات الإسلامية فى العالم) فى المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (رجب سنة ١٤٠٨هـ - مارس سنة ١٩٨٨م) الذى عقد بالقاهرة بمركز الشيخ صالح كامل بمدينة نصر تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد

الحق شيخ الأزهر آنذاك وحضر الشاعر العديد من مؤتمرات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية باعتباره أحد أعضائه فى ذلك الوقت فى لجنة الدراسات الفقهية المقارنة ، ولجنة التعريف بالإسلام ، وبعض المؤتمرات كان يعقد فى مصر وخارج مصر ، وكثيرًا ما يعهد إليه بجمع البحوث بفحص البحوث والكتب الإسلامية وإبداء الرأى فيها ، كما حضر ممثلاً للأزهر مؤتمر الأسرى الكويتيين الذى عقد بالكويت سنة ١٩٩١م وشارك فيه ببحث عن (السلام فى الإسلام) .

وفى أثناء عمله بالسعودية مثّل جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية فى لجنة تعريب العلوم التى تألفت من أساتذة مختصين بالجامعات السعودية ، وكانت تعقد جلساتها بمقر وزارة التعليم العالى بالرياض كما شارك فى مؤتمرات للتعريب فى مصر كتلك التى تعقدها الجمعية المصرية لتعريب العلوم ، ومنها ما عقد بجامعة الأزهر كما اشتغل الشاعر بالخطابة الدينية منذ كان طالبًا بالمعهد الأحمدى بطنطا فى المرحلة الابتدائية ، وقد اعتاد منذ نعومة أظفاره صعود المنابر فى قريته ، والقرى والمدن المجاورة ، واشترك فى مسابقات دينية كثيرة منها ما تم تحت إشراف مدير عام الوعظ بطنطا مما جعله خطيبًا متمرسًا بارعًا ، مالكًا زمام اللغة وعلوم العربية ، والعلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث وعلوم القرآن والسنة والتاريخ والثقافة الإسلامية بصفة عامة .

شاعريتــه :

(أ) العوامل المؤثرة فى نبوغه الشعرى :

توافرت عوامل كثيرة أدت إلى نبوغه الشعرى :

أولهــا موهبته التى حبّبت إليه هذا الفن منذ صغره : فعلى الرغم من أنه نشأ فى عهد كثرت فيه العامية التى يسمعها تقرع أذنيه صباح مسـاء فإنـه كان يميل إلى الفصحى وطبعه فيها حفظـه للقـرآن الكريـم الـذى يعـد العـامل الأول المؤثر فى تكوين لغة تخاطب أخرى تتصل بـالفصحى أكثر مـن اتصالها بالحديث العادى الدارج .

والعامل الثـانى تعلّمه فى الأزهر : ذلك أنه يقوم على دراسة العلـوم اللغوية والأدبية والدينية ويطلعه على روائع ما قيل من شعر ونـثر فـى العصـور الأدبية المتنوعة إلى جانب علوم الشريعة التى تنمى الملكة اللغويـة فكلهـا قائمـة على أساس لغوى .

وثـالــث تلك العوامل حبّه للقــراءة والاطـلاع منـذ صغـره : فكـان يغشى المكتبات العامـة لا سيما دار الكتـب بطنطـا والمحلـة الكـبرى والقـاهرة وفروعها وكلها تمتلىء بكثير مـن كتـب الـتراث ، ودواويـن الشـعراء وكتـب الأدب واللغة ، وقد حاول فى أول الأمـر أن يقـرأ كتـب المنفلوطى النظـرات والعبرات وتـأثر بخيـال المنفلوطـى الممـزوج بلغـة عربيـة فصحـى ، وراح يقـرأ للرافعى كتبه النثرية مثل وحـى القلـم ، وأوراق الـورد ، والسـحاب الأحمـر ، وتحت راية القرآن ، ودواوينـه الشـعرية وقـد أعجـب بهـذه الكتابـات الأدبيـة

ونهل منها وعكف على دواوين الشعراء فى مختلف العصور الأدبية وكان يختار ما يعجبه مما عذب ، وسلس عند الشعراء ويدونه فى مذكرات صغيرة الحجم ، ويعاود النظر فيها بين آن وآخر حتى حفظ الكثير منها ، وهو لا يكف عن القراءة صبور على الإفادة من القديم والحديث فى اللغة والأدب ، والتاريخ والاجتماع والفلك وغيرها فلا يكاد يقع تحت بصره كتاب حتى يضمه إلى مكتبته ، ويقبل على قراءته فتزداد حصيلته ، وتتسع مداركه .

العامل الرابع تشجيع أساتذته له : غزر محصوله اللغوى ، وتوافر له نتيجة هذه العوامل الكثيرة ، وسنحت له فرص لمحاولات شعرية دفعته إليها موهبته ، وتطلُّعه الشبابى إلى الحياة ، فبدأ يكتب بواكير شعره متبعًا ما تعلمه، وما حال بنفسه من موسيقى علم العروض والقافية ، وشجّعه على نمو هذه الموهبة وتفتحها بعض أساتذته الذين كانوا على علم جمٍّ ، ومعرفة بالآداب ، ففتحوا أمامه الأبواب ليعُبَّ من علمهم وفكرهم ، ويفيد من توجيهاتهم ، وعلى سبيل المثال فقد أثر فيه أستاذه الشيخ محمد فوزى خشبة الذى كان يدرس له ولرفاقه مادة (المحفوظات والمطالعة) فى معهد طنطا الثانوى ، وكان يستثير همم طلابه بأن يكتب على السبورة بيتًا أو بيتين من الشعر ويجعل عنوان الدرس (حاول أن تكون شاعرًا) ، ويطلب من طلابه كتابة بضعة أبيات تلى هذا البيت أو هذين البيتين ، وتجرى مباراة بتنافس فيها الطلاب ، ويتيح الأستاذ الفرصة لكل طالب أن يعرض ما كتبه أمام زملائه ، ويعلق الشيخ – وكان ذا فكاهة فى التعليق – بنقدة لغوية أو أدبية تفتح المجال لإصلاح هذه الأعمال الأدبية فى بواكيرها ، وقد دفعه تعلقه بهذا الأستاذ

وإعجابه بعلمه وتشجيعه لطلابه أن يعرض عليه شاعرنا بعض المحاولات الشعرية التى قالها مثل قصيدته (رحلة فى الليل) التى مطلعها :

خليلىّ انظرا ما كان أمْسَا

وحفنُ الليل فى الآفاق أمسى

وقد جعله الأستاذ يلقيها على أسماع زملائه وطلب منه أن يوضح لهم المراد فبيّن الشاعر أنه نظمها على طريقة الجاهليين ، وهذا ما يسمى بمرحلة المحاكاة فى حياة الشاعر ثم وجه الشيخ تلميذه بأنه بعد أن ينشىء القصيدة يبقيها معه خمسة عشر يومًا ينظر فيها كل يوم ، فيغير لفظة أو عبارة ، أو معنى غير مستحسن وبعد انقضاء هذه المدة يعرضها فى المجالس ، ويتلقى النقد، ويصلح ما فيها تبعًا لهذا النقد إن كان بنّاءً وكان ذلك بداية عهد جديد لتجويد الشاعر لشعره ، ومحاولة إتقانه ، وهناك كثير من الأساتذة فى معهد طنطا كالشيخ عبد الباسط سليم فى الفقه والشيخ عبد المجيد جميل فى النحو والشيخ توفيق سبع فى البلاغة وهو أديب ، ذو مواهب عدة ، والشيخ محمد سعيد النجار فى الأدب ، وغير هؤلاء ممن أفاضوا عليه غزير علمهم مما دفعه إلى مدح بعضهم(٣) ومدح معهده أيضًا لحبه له يقول فى قصيدة بعنوان (معهدى) :

معهدى وجهه كبدر التمام　　　قبس من سناه مجد العظام

وهو يرى أن الفضل فى نبوغه يعود إلى الأزهر الذى نهل منه عن شيوخه الأجلاء ، وراح يقتدى بهم فى نشر العلم ، وإفادة الناس فيقول :

---

(٣) انظر : باب المدح من ديوانه .

قضيت حياتى فى حمى الأزهر الذى
يذود عن الإسلام حصنًا ممنعًا
ويحمل من هدى السماء لواءه
ويستخدم البرهان لا السيف مدفعًا
لنا صولة فى ساحه نبتغى بها
بيان كتاب الله للناس مشرعًا
على لغة فصحى إلى العرب تنتمى
نصون بها وحى السماء ليصدعًا

العامل الخامس أثر الأحداث السياسية والاجتماعية : واكب الشاعر تفجر ثورة يوليو التى قامت سنة ١٩٥٢، وشبّ مع الثورة معجبا بها وبرجالها ، ومؤملاً نهضة الوطن على أيدى أبنائه قوّاد هذه الثورة فأذكت هذه الأحداث فكره ونشط فى نظم القصائد الوطنية التى تهيب بالمخلصين من أبناء الوطن أن يلتفوا حولها ويؤازروها وراح يلقى قصائده فى قصور الثقافة والمحافل والنوادى فى طنطا والمحلة الكبرى وغيرهما فى أعياد النصر .

ومن ذلك قوله :

إلى ثورة علمتنا الفدا أزِفُّ الفخار كطير شدا

العامل السادس نبوغه العلمي والثقافى : وقد سار قول الشعر مع نبوغه فى العلم متواكبين ، ففى الوقت الذى كان يتجه فيه هذا الاتجاه الأدبى كان عاكفًا على كتب العلم يعبُّ منها واستمر ذلك طوال حياته العلمية وزاد من حصيلته الشعرية اطلاعه على كتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ

والفلسفة والاجتماع وغيرها ، واستعمل حاسته اللغوية والأدبية في فهم كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وفي فهم أحداث السيرة النبوية ، وما مرَّ به الإسلام من تيارات ، وتطورات أذكت حماسه الأدبي وزادت من حصيلته اللغوية ، وقد استعمل ذلك فيما ظهر له من برامج إذاعية مسموعة ومرئية حول أصول اللغة والنسق القرآني أو لغة القرآن وعلومه ، وعلوم السنة النبوية ، وقضايا العصر والمجتمع .

مؤلفاته :

له كتب وبحوث كثيرة في مجال تخصصه وغير تخصصه ، فعالم الأزهر متعدد التخصص ، والاتجاهات ، ففي اللغة له مؤلفات كثيرة منها :

١ - علم اللغة بين القديم والحديث .

٢ - أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي .

٣ - العربية خصائصها وسماتها .

٤ - أصوات اللغة العربية .

٥ - مناهج البحث في اللغة والمعجم .

٦ - أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل .

٧ - اللهجات العربية نشأة وتطورًا .

٨ - تحقيق كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني .

إلى غير ذلك من الكتب والبحوث .

وفى العلوم الإسلامية أيضا :

١ - تفسيره للقرآن الكريم بعنوان (فقه اللغة وخصائص التعبير فى القرآن) انتهى فيه من تفسير بعض سور القرآن ، وأذيع ما كتبه وما يزال بعون الله وتوفيقه يواصل العمل فيه إلى أن يتمه الله عليه بفضله وعونه .

٢ - " الله والكون " أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وله بحوث عن القرآن وقضايا العصر ، وقبس من نور النبوة تنشر وتذاع.

٣ - تجويد القرآن الكريم من منظور علم الصوتيات الحديث .

(ب) مراحل شاعريته :

من المعلوم أن الشاعر فى العصر الحديث بعد عصور الفصاحة المعروفة ليس مفطورًا على الفصاحة منذ نعومة أظفاره وإنما يكتسب هذه الفصاحة نتيجة عوامل كثيرة ذكرناها من قبل ولذا نرى أن الشاعر مرّ فى طورين :

الطور الأول : المحاكاة :

وفيه بدأ الشاعر حياته الأدبية بمحاكاة الشعراء والكتاب السابقين فى طرائقهم واقتبس بعض معانيهم ويظهر ذلك جليًا فى شعره فى الغزل فى مرحلة الشباب التى كان يعيشها الشاعر ، وقد طرق المعانى التى تميل إلى الرومانسية بالتعبير عن البؤس ، والكآبة والبكاء متأثرًا بالمنفلوطى ، والرافعى ، وأضرابهما ، ومتأثرًا فى مطالع قصائده بالأقدمين من الشعراء .

ويبدو فى شعره فى هذه المرحلة التكرار للمعنى الواحد ، والألفاظ المترادفة والتراكيب الموزونة وزنًا غير دقيق أحيانًا وظهور بعض المخالفات العروضية وكان ذلك فى المرحلة الإعدادية وأوائل المرحلة الثانوية .

الطور الثاني : النضج والاكتمال :

لما شب عن الطوق ، ووصل إلى نهاية المرحلة الثانوية ودخل التعليم الجامعى واكتسب مهارات كثيرة وخبرات متنوعة نتيجة للعوامل التى أشرنا إليها من قبل ارتقت شاعريته فظهرت الألفاظ المنتقاة ، والعبارات الجزلة الرصينة والمعانى السامقة والوزن المحكم الذى لا يعتريه خلل عروضى وغير ذلك مما يتعلق بالموسيقى الداخلية ، والخارجية للشعر ، وتجلى هذا فى شعره الدينى .

(جـ) شـــعره :

للشاعر شعر كثير مخطوط نشر كثير منه فى الصحف والمجلات وقد عانيت كثيرًا فى جمعه من مظانه المختلفة فكثير منه تركه فى منزل أسرته بقريته مبعثرًا هنا وهناك ، ورقة عليها قصيدة ، وبجوارها أخرى غير مرتبطة بها ، وقصاصات من الورق طويلة ، وقصيرة ، وبعضها تائه بين ركام الكتب، مما يجعل العثور عليها أمرًا صعبًا ، ولا يزال الكثير منه مفقودًا أحاول جمع شتاته ، ومن الشعر ما نشره فى بعض الصحف والمجلات وليس فى حوزته أحيانًا نسخ منها .

أضف إلى معاناتى أن الشاعر كان غير مُهْتَمٍّ بجمع شعره وإخراجه لانشغاله بالعلم والتخصص ، وقلة اهتمام الناس بالشعر الآن بخلاف ما كان يجرى فى القديم من الاحتفاء بالشعر والشعراء وهو يخص شعره بجوانب ذاتية وتجارب انفعل بها وأثرت فيه ، ولا يطرق بابًا وهو غير منفعل به .

وبحمد الله استطعت أن أقوم بهذا الدور الذى يحافظ على هذا التراث الشعرى الذى يمثل جانبًا غير معروف على المستوى الاجتماعى للشاعر ، فهو عالم لغوى ، وإسلامى أما كونه شاعرًا فهى زاوية تقتضى الكشف عنها ، وقد وجدت عناء فى قراءة مسودات قصائده التى كانت غير معدة للقراءة مملوءة بالشطب والتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ، وحاولت قراءتها وتنسيقها وكنت فى أحيان كثيرة أرجع إلى الشاعر لتوضيح ما غمض من سطورها فيجيبنى أحيانًا ، وينشغل عنى أحياناً كثيرة ، وقد صححت كثيرًا مما وقع فى هذا الشعر مما يتعلق بالعروض ، وغيره مما غمض من الألفاظ بالرجوع إلى كتب اللغة ، والمعاجم ، وقرأت كتب السيرة التى اعتمد الشاعر على الأحداث فيها فى نظم قصائده .

أغراض شعره :

ودواوينه تتضمن أغراضًا شعرية متنوعة كالشعر الإسلامى ، وشعر الإخوانيات ، والشعر الوطنى والاجتماعى ، ومنه كثير عن عاطفة الأبوة ، كما أن له شعرًا فى الغزل تضمنه ديوانه (أغاريد الشباب) وقد اخترت الشعر الإسلامى فى ديوانه (هذا الضّياء) ليكون بدايتى مع دراسة شعره ومن الله أستمد العون والتوفيق .

الفصل الأول

التوحيـــد

التحليل الأدبى

لم يخلق العالم - بسمائه ، وأرضه ، والكائنات التى تعيش فيه - عبثًا ، إنما وجد لحكمة إلهية ، وخالقه أعلم بما يصلحه، وما يؤدى إلى استقامته ، ولذلك نرى الأدلة قائمة على وجود الخالق الرازق القادر على كل شىء .

وقد برهن سبحانه وتعالى على وجوده بالآيات الباهرات ، والدلائل الواضحات وبعث من أجل ذلك الرسل فى شتى العصور ، وأطوار الحياة الإنسانية ؛ لترشد الإنسان إلى خالقه الواحد الذى لا شريك له ، فيعرفه ، ويعبده حق عبادته كفاء نعمه عليه ، وتكفله برزقه وسعادته .

ومع كل رسول برهان من الله يبين به للناس ما أرسل من أجله .

وقد دار حديث الشاعر حول إرسال الله تعالى رسله ﴿ مبشرين ومنذرين لئلا يكون للنّاس على الله حجة ﴾(١) ، وتتابعهم بشرائعهم السماوية لإصلاح البشرية، ومجىء رسولنا محمد ﷺ برسالته خاتمة للرسالات السماوية وأثر ذلك فى إصلاح البشرية ، واستمرار معجزته الباهرة (القرآن الكريم) إلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى .

وللشاعر فى ذلك ثلاث قصائد عن الشرائع السماوية ، وأدلة الوحدانية لله تعالى ، ومعجزة القرآن الخالدة ، ونحللها بالتفصيل فيما يلى :

---

(١) سورة النساء . الآية ١٦٥

تحدث الشاعر عن الشرائع السماوية التى نادت جميعها بوحدانية الله،فلا شريك له ، ولا مثيل له سبحانه ، ثم تحدث عن تتابع الرسل من آدم إلى محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذى حمل الأمانة وأتى بمبادىء عادلة هى حصن الأمان للبشرية ، وكلّ من يعيش فى رحابها ينال المنى ، ويعيش فى ظل أحكم الشرائع وأنفعها للناس .

يقول الشاعر :

عبِقَ النسيمُ بديننَا يشدُو
الله أكبر ربُّنَا فردُ
غمَرَ البريَّةَ فجرُ وحدتهِ
فلهُ العبادةُ ما لَه نِدُّ
عبرَ الزمانَ علَى سَفينتِهِ
رُسلٌ تتابعُ ما لهمْ عَدُّ
من عَهْد آدمَ فى رسالتهِ
ومع الخليل تواصلَ العَهْدُ
ومحمدٌ أوْفى بغايتهِ
حملَ الأمانةَ مَا وَنى الجدُّ
وأتتْ مَبادئُ فى عدالتِهَا
حصنُ الأمانِ وقد صفَا الوُدُّ

وفى قصيدة للشاعر بعنوان (رحلة فى الليل) تحدث عن قدرة الله سبحانه وتعالى خالق كل شىء ، وكانت الرحلة فى سكون الليل مع رفيق له، وفيها تأمل السماء وقد كستها روعة السكون والصمت والبهاء وما يتجلى فى ذلك من بديع قدرة الله الذى يسلخ النهار من الليل ويسلخ الليل من النهار ، ففى النهار تدب الحركة ، ويظهر النور ، ومع الليل يأتى السكون وَتخمد الحياة ، وتركن إلى الهدوء والنوم ، وكل ذلك يؤكد أن خلق الكون ليس أمرًا سهلاً بل يدل على قدرة الخالق سبحانه ، ومن دلائل القدرة أيضًا النجوم التى خلقها الله فى السماء ترسل نورها ، فتمنح الأنس والهداية للسارين ، وتخفف من ظلمة الليل ، فسبحان من أبدع ذلك .

يقول الشاعر :

نظرنا فى السماءِ وقد عرانَا
وقارٌ من جلال الصمت يُكْسَى
وقد بعثَ الإلهُ رسولَ نورٍ
نجومًا تمنحُ السارين قَبْسَا
رأينا قدرةَ القهَّارِ تبدُو
وَتُرسلُ فى النفوس الذكْرَ جَرْسَا
وتغْمرُ كلَّ حىٍّ أو جمادٍ
تعالى البارِئُ الخلاّقُ بَأسَا

فمــاذَا غــــيرُ هــــذاَ مِنْ دليــلٍ

على ربِّـى الكريـمِ فكيفَ يُنْسَى

فما حَــوْلِى يُحـــدِّثُ عن إلـهٍ

عظيـمٍ لا يُمـــارىَ فيــه حَدْسَـا

ثم يخاطب الشاعر الملحدين ومـن أصـابهم الغبـاء ، فعجـزوا عـن فهـم قُـدرة الله تعـالى فـى خلـق الكـون مـن حولنـا ، وهـم فـى ذلـك استسـلموا للشيطان، وأطاعوه فجزاؤهم النار يعذبون فيها .

ثم يقول الشاعر إن الله سبحانه يهدى من يشاء إذا أعمل الإنسان عقله أما من سُلب العقل والحس فلا هداية له .

يقول الشاعر :

فَهــلْ لِلملحــدينَ ومن تَغـــابَوا

عن الحـقِّ الصُّراح عَمًى ورِجْسًا

رُجُـوعٌ عن فسـادٍ قــد أطَــاعُوا

وشيطانٍ رَمَى فى النــارِ رأْسَــا

وليــتَ الله يأخُــذ كلَّ وغـــدٍ

يضـلُّ عن الصَّـوابِ هَوًى وتعْسَاَ

وبئـس مـن ابتغَـى الكفـرانَ دِينًـا

بغيضًا عــاشَ ضلّيـــلاً وجِبْسَــا

وسـبحانَ الذى يَهـدى يُرشـدِ

ويسـلـبُ مَن يشَـا عقْـلاً وحِسًّا

وتحدث الشاعر فى قصيدة بعنوان (الإعجاز القرآنى) مبينًا أثر هـذه المعجزة الكبرى ، وصدقها .

وبدأها بالحديث عن الإعجاز اللغوى ، فالقرآن محكم ليس له نظير فى نسجه، لأنه من عند الله سبحانه،وعندما سمعه الكفار عجزوا عن الإتيان بمثله.

يقول الشاعر :

وضـع الكتـابَ وأحكـم الـ

آيـاتِ فصَّلهـا الخبـيرْ

نـورٌ تـراهُ ومـا لـهُ

فى نسْـجه أبـدًا نظـيرْ

غشَّـى عيـونَ القـومِ مـن

فَـرْطِ التَّـألُّقِ والسُّفُـورْ

سَـحْبَانُ صـار كباقِـل

عنـد التَّحـدى لا يُحـيرْ

وما زال الشاعر يواصل حديثه عـن الإعجـاز اللغـوى ، واقتبس المعنى القرآنى الوارد فى سورة الحشر وذلك فى قوله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القـرآن

على جبل لرأيته خاشعًا متصدّعًا من خشية الله ﴾(١) وأوضح أن كلمات القرآن لها وقع فى النفوس ولها حلاوة وعليها طلاوة ، ومن يسمعها يعرف ذلك إذْ تأخذ بمجامع قلبه إذا خُلّى ونفسه دون خضوع لكفره ، وعناده ، وحقده .

يقول الشاعر :

لم يعْهدوا أن يستحيـ
ـلَ الحرفُ معنىً فى الضَّمِيرْ
لم يشهدوا جَبَلاً تصدّ
عَ مثلَ كُثبانٍ يَهِيرْ
لم يعرفُوا الكلماتِ تخـ
ـشَعُ من طَلاَوَتِهَا الصُّخُورْ
ذاقوا حَلاوَتَها فأُلـ
ـقُوا سُجَّدًا طَوْعَ الشُّعورْ
أخَذَت مَجَامِعَ مَنْ تأمَّـ
ـلَ دونَ حِقْدٍ أو كُفُورْ

ومن وجوه الإعجاز التى ذكرها الشاعر إخبار القرآن عن الأمم السابقة، وأحوالها ، والرسل الذين أرسلوا إليهم ، وما حل بهذه الأمم نتيجة

---

(١) سورة الحشر : الآية ٢١

التصديق أوالتكذيب ، ولم يكن أحد يعرف هذه الأخبار التى جاء بها القرآن إلا قليلا .

يقول الشاعر :

أُمَـمٌ تتـابع زحفُهـا
من مولـد الزّمـن الغـرير
عَصَـت الإلـه وكَـذّبَتْ
برسولِهـا الـداعى النـذِيرْ

ثم تحدث عن إعجاز القرآن فى إخباره عن الحضارات السابقة ، فقد جاءت فى آيات القرآن صادقة غير مزيّفة كما جاء فى كتب المؤرخين من أساطير عن الحضارات ، وقد صحّحَها القرآن .

يقول الشاعر :

وحضـارةٌ يرنـو لهـا التـ
ـاريخُ من طَـرْفٍ حسـيرْ
طَمَسَـتْ معالمَهـا الجهـا
لَـةُ واستباحتْهـا الشـرورْ
جـاءت حقيقـةُ أمرهـا
فـى آيِ فُرقـانٍ مُنـيرْ

ومن المعجزات أيضًا إخبار القرآن عن أحداثٍ لم تقع ولكن ستحدث مستقبلاً كالإخبار عن انتصار المسلمين فى الغزوات ، وانتصار الروم على الفرس وحدث ما أخبر به القرآن مثل قوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله ﴾(١) وقوله سبحانه ﴿ الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾(٢) ووعد المسلمين وعودًا كثيرة تحققت ، وأخبر عن أشياء مغيبة عنا كحديثه عن الجنة والنار، ويوم القيامة حين ينفخ إسرافيل فى الصور مرة للموت ، ومرة للبعث : ﴿ونفخ فى الصور فصَعق مَنْ فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾(٣) .

يقول الشاعر :

يحـوى الغيـوبَ وَكُلُّ مُسْـ
تَـرقٍ لـهُ شُـهبٌ تُغـيرْ
يـومُ القيـامة سـوف يـأ
تـى - لا محـالـةَ - والنُّشـورْ
ذو الصُّـور جَبْهتَـهُ حَنَـى
حِينـًا ويَنتظِـرُ الصَّفِـيرْ

---

(١) سورة الفتح . الآية ٢٧

(٢) سورة الروم . الآيات ٢ - ٥

(٣) سورة الأنبياء . الآية . ٦٨

والقــــرنَ مُلْتَقِـــمٌ يُصِيـ

ـخُ السَّـمعَ للأمْـرِ الخطـيرْ(١)

ويخبر القرآن بأن الرزق والأجل والسعادة والشقاء مقدرة من قبل خلـق الإنسان ، وهى فى اللّوح المحفوظ يعلمهـا الله تعـالى ، وليـس معنـى ذلـك أن يتباطأ الإنسان عن السعى للرزق بل يجب عليه السعى ، فالطـير تخـرجُ جائعـة وتعـود وقـد أطعمهـا الله ؛ ولـذا دعـا الشـاعر إلى أن يعمـل الإنسـان بعـزم وشجاعة فى الأرض الواسعة ليحصل على رزقه الذى كتبه الله له .

يقول :

الـرزقُ والأجــلُ الســعَا

دةُ والشــــقاوةُ والفطُــورْ

مــا تُوعــدون ومــا لكُـــمْ

فى اللّــوح مخطُـوطُ السُّطورْ

لكـــنّ أسـبَابَ الحيــــا

ةِ مُوَكَّــــلاتٌ بالنُّفُــــورْ

كَخِمـاصِ طـيرٍ قــد غَـدَتْ

عَـــادَتْ بطـــانًا بالبكُـورْ

---

(١) إشارة إلى الحديث الذى رواه ابن حبان فى صحيحه عن أبـى سعيد الخدرى قـال : قـال رسول الله ﷺ " كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن ، وحنـى جبهتـه ينتظـر متـى يؤمر أن ينفخ ؟ المجلد الثالث من " الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان " ص ١٠٥ .

قم فـادْعُ ربَّـك وامْسـح الـ

ـعَبَراتِ لا تَخْـشَ العُثُـورْ

وتحدث الشاعر عن هداية القرآن البشـر لما فيـه الخير ، كما تحدث عن المكتشفات العلمية التى أفنى فيها العلماء أعمارهم حتى الآن وحكى عنها القرآن وبين ما كان مجهولاً منها ، وعلم البشرية لا يمثل ذرة فى بحر القرآن .

ويحاول أصحاب العلوم الحديثة كالفلك والكيمياء والطب والرياضة وغيرها تفسير القرآن على ضوء نظرياتهم العلمية ، فطلب منهم أن يتسلحوا بأدوات المفسر الصحيحة ليمكنهم الوصول إلى غرضهم ، فبعض هؤلاء ليس عنده القدرة على خوض غمار القرآن لعدم علمهم بالعربية وسياقها وأسباب نزول الآيات ، وعلوم القرآن فيقعون فى الخطأ حيث لا تكون الآيات على وفق ما يقولون من نظريات(١) .

يقول الشاعر :

قرآنُنَـا يحيـى الأنَـا

مَ ويهتـدونَ بمـا يُشِيـرْ

كـم من علـومٍ أنفقَـتْ

عُمُـر المُقَـدَّمِ والأخِيـرْ

---

(١) من ذلك تفسير (السلطان) فى قوله تعالى : ﴿ يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ فقد ذكروا أن السلطان هو سلطان العلم وأن الآية ترمز إلى غزو الفضاء بالأقمار الصناعية وغيرها ، لكن الصحيح أن الآية فى الآخرة ولا علاقة لها بغزو الفضاء بدليل سياق الآيات التى وردت قبلها وبعدها ، وهم قطعوا الآية عن سياقها . انظر : سورة الرحمن . الآيات ٣١ - ٤١ .

فتَحَ الكتابُ بآيهِ
مكنونَهـا خلفَ السُّتورْ
ولَكَمْ تسامَى نحوهُ
وتجاسَرَ الفَدْمُ الطَّريرْ
رامَ السُّلوكَ بآيةٍ
فى مَسْلكٍ وَعْرِ العُبُورْ
وَعَدَتْ بهِ آثامُهُ
فغَوى وسُحْقاً للغُرورْ
سيظلُّ هذا الرُّوح ينْـ
ـبِضُ بالتَّقدُّمِ فى المَسيرْ
ويُبينُ أن الحق أنـ
زَلَه على قَلْب البشيرْ

التصوير الفني في هذا الشعر

إن التأثير الشعرى الذى يأخذ بمجامع القلوب ، ويستولى على وجدان السامع والقارىء يكمن وراء الصورة الأدبية التى ينسجها الأديب أو الشاعر فى إطار تجربته الشعورية وعاطفته الصادقة .

والشعر الإسلامى نزعة دينية جياشة ترتكز على شعور متأجج يعانيه المتدين ، وليس الشعر الإسلامى وعظًا أو خطابة ، فهذا من خصائص النثر ، ومن هنا كان الشعراء المسلمون يبعثون كوامن التأثير فى النفس الإنسانية ويحركونها تحريكًا قويًا بما يستعملونه من أدوات التأثير التى تقوم على اختيار الألفاظ التى تحمل المعانى المرادة ، ووضعها فى إطار تركيبى مبنى على التصوير ، والخيال الأدبى الذى يكشف عن خفايا الفكر ، والإيحاء بالمراد، وكشف الحقيقة بجلائها ، ونصاعتها بعيدًا عن الزيف والخداع .

ونلقى نظرة نقدية فاحصة على هذه القصائد التى ضمنها الشاعر حديثه، ففى قصيدته (الشرائع السماوية) جعل للدين الإسلامى نسيمًا يهب على البشرية ويعلمها الاستقامة ، وكأنه طير يشدو ، ويغرد ، وقد جاء فجر الرسالات السماوية يضىء العالم، وجعل تتابع الأنبياء كتتابع الراكبين فى سفينة من عهد آدم إلى نبينا محمد ﷺ ، وأنهم مثل غدير نزل به ماء المطر الغامر فنما به الزهر وانتشر عبيره ، وهذا يدل على سعادة البشرية بهذه الرسالات ، وأنها نشرت الحياة المستقيمة على الأرض كأنها بحر له أمواج فكانت أحيانًا تتراجع وأحيانًا تتقدم كالمد والجزر ، وهذا نقل للمعنوى فى صورة المحسوس(١) .

---

(١) انظر : القصيدة فى الديوان .

وفى قصيدته (رحلة فى الليل) جعل الليل كالإنسان ، وعبّر عن سكون الليل بأنه نائم ، وأن عين النهار قد نامت أيضًا ، وهذا لأن الظلام قد خيم على الآفاق ، وكأن النهار قد خلع الثياب ، وهدأ وارتدى ثياب النوم ، وكل ذلك فى تصوير النور والظلام بأشخاص الأحياء .

وفى هذا الوقت خرج الشاعر وفؤاده ينبض كالنسمات التى تهب رقيقة ، ونقل صورة رفيقه وصوَّرَهُ بالبدر المطلّ وهى صورة مألوفة ، وأنه حدّثه حديثًا كالورد فى إمتاعه ونشوته ، وجعل للحديث رائحة ، وسار هو ومن معه فى هذا الليل الشبيه بالسفينة التى رست على الشاطىء ، وصوّر الكونَ وهو يلبس جلال الصمت ، والنجوم تمثل الرسولَ من قبل الله تعالى .

ويجعل ما رآه دليلاً على وجود الله ، ومن يعرض فهو مُعرَّض لنزغات الشيطان الذى يرميه فى النار ، وتعجّب كيف يسلب عقل هذا الفاسد وإحساسه فلم يتأمل فى هذه الدلائل على وجود الله تعالى وقدرته .

وفى قصيدته عن (الإعجاز القرآنى) ذكر أن القرآن نور ، وأنه أعشى عيون المعارضين بتألّقه ، وشدة وضوحه ، وأنهم عجزوا عن مجاراته فكأن سحبان الفصيح أصبح مثل باقل العييّ .

وبين أن للقرآن حلاوة ، وأن بعض الكفار لما ذاق تلك الحلاوة خَرَّ ساجدًا لاستيلائها على مجامع قلبه ، وهذا كان فى الإعجاز اللغوى .

أما عن الإعجاز التاريخى فقد جعل الأمم فى تتابعها كأنها جيوش تزحف أو نحوها .

وعبر عن أولية الزمن كأنها ميلاد ، وكأنه طفل غرير ، وصوّر نظرة التاريخ فيما مر به من حضارات هذه الأمم بأنه واقف يتأمل فيها ، وقد طمست معالمها ، وهذا تعبير عن ضياع معظم الحضارات من التسجيل والتدوين فكشف القرآن هذا المستور ، وفى أثناء حديثه عما أخبر به القرآن مما سطر فى اللوح المحفوظ من شئون هذا العالم كالرزق والأجل تحدث عن ربط أسباب الحياة بالعمل ، وأن على الإنسان أن يسعى مثل الطير التى لا تحصل على رزقها إلا بالسعى مصداقًا لقول الرسول ﷺ : (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خِماصًا وتروح بطانًا)(١).

وطلب من الإنسان أن يكون شجاعاً كالأسد فى السعى ، والعمل ، والكفاح ، وأن يحمل السهام ، والرماح ، فيرمى بها إشارة إلى الجهد الذى يبذله ليكون ناجحًا فى الحياة .

وجعل القرآن يحيى موتى القلوب من الناس أخذا من قوله تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾(٢) ، وأشار إلى أن له بروقًا ورعودًا تعد رزقًا للمهديين وضررًا على الضالين أخذا من قوله تعالى : ﴿ أو كصيّب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/٢٠ ، ٥٢ وجامع الترمذى ص٢٢

(٢) سورة الأنفال : الآية ٢٤

البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شئ قدير ﴾(١) .

كما تحدث عن العلم الذى أتى به القرآن ، وأنه ينبت النفوس كما ينبت الزرع فى الأرض ، وأن العلم كالربيع يجد الإنسان فيه كل شيء حسن .

وتحدث عن علوم القرآن التى قربت البعيد ، وكشفت المستور ، وجعل الباحث عنها كالذى يغوص فى قاع البحر ، وأن القرآن يوصل إلى ما خفى ، وأنه واسع العطاء كالسحاب الهاطل .

وفى التفسير العلمى للقرآن تحدث عن النازل إلى هذا المجال ؛ فإذا كان فاهمًا ، وخبيرًا وصل إلى غايته مثل من ينزل الأرض النامية بالزرع ، فيأخذ منها ما يحتاج إليه ، أما إذا كان جاهلاً فإنه يلوى الآيات عن المراد منها كالصاعد فى مسلك وعر يوشك أن يسقط منه أو يتعثر فتضيع حياته ، وهذا تعبير عن فساد رأى من يخوض فى القرآن بغير علم ، وأن هذا مثل من ينزل إلى بحر عميق وهو لا يعرف السباحة فيغرق فيه ، ثم بين أن القرآن روح ، وأنه كالقلب ينبض بتقدم البشرية إلى قيام الساعة .

أما من حيث الأسلوب ، والموسيقى فى هذا الشعر فإننا نلحظ السمة العربية واضحة فى جزالة الألفاظ ، وسهولتها ، ورصانتها ، وحسن ائتلافها مع غيرها فى الجمل والتراكيب .

---

(١) سورة البقرة . الآيتان ١٩ ، ٢٠

وقد اعتمد الشاعر في إبراز مراده على أوزان موسيقية مختارًا بحرين هما بحر الكامل تامًّا ومجزوءًا وبحر الرمل ، ففي قصيدته عن (الشرائع السماوية) استخدم بحر الكامل التام ، وعروضه حذاء ، وضربها أحذ مضمر(١) .

وقد جاءت الموسيقى في هذا البحر سريعة في أولها متدفقة في آخرها ، انظر مثلاً إلى قوله :

عبِقَ النسيمُ بديننا يشدُو
الله أكبر ربُّنا فردُ
غمَرَ البريَّةَ فجرُ وحدتهِ
فلهُ العبادةُ ما لَه نِدُّ

لاحظ الحركات المتوالية في صدر كل شطر في البيتين ، ثم الحظ عروض البيت ، وضربه وهما يتدفقان بعد السرعة السابقة بالحركات المتوالية، وهكذا تمضي القصيدة على هذا النحو إلى جانب اختيار الكلمات ذوات المد الطويل أحيانًا ، والحركات المتوالية أحيانًا أخرى مما يعطي الطول والقصر في الزمان ، وتتابع الأحداث من مثل قوله :

عَبرَ الزمانَ على سَفِينتِه
رُسلٌ تَتَابَعُ ما لهم عدُّ

---

(١) الكامل في العروض والقوافي د. محمد قناوي عبد الله ص١٦١ وما بعدها .

واستخدم مجزوء الكامل فى قصيدتـه عـن (الإعجـاز القرآنـى) بضربه المذال ، وكأنما أراد أن يتابع مظاهر الإعجاز القرآنـى فـى خفـة ؛ لأن العقـول تسلم بها وتخف لهـا متـأثرة بهـا ، وجـاءت الموسيقى الداخلية معتمـدة علـى الكلمات التى تشتمل على المد ، والحركات الطويلة أحيانًا ، والقصيرة أحيانـاً أخرى بما يناسـب الإبطـاء والسرعة فيمـا يحس بـه السـامع ، والقـارىء مـن شعور، وما يتلقى من تأثير يأخذ اللُّبّ ويأسر الخاطر ، يقول :

نـــورٌ تـــراهُ ومـــا لَـــهُ
في نســـجه أبـــدًا نظـــيرْ
غَشَّـــى عيـــونَ القـــومِ مِنْ
فَـــرْطِ التـــألُّقِ والسُّفُـــورْ
ســـبحانُ صـــار كباقـــلٍ
عِنـــد التَّحـــدِّى لا يُحـــيرْ

لاحظ الكلمات ذوات الطول الموسيقى فى الشـطر الأول ، والكلمـات ذوات الحركات القصيرة فى الشطر الثانى فى البيتين الأولين ، وتنوعهمـا بـين طول ، وقصر فى الشطر الثانى من البيت الأخير مما قسم الموسيقى بين نغمات متعددة أكسبت المعانى حلاوة ، وطلاوة .

أما قصيدته (رحلة فى الليل) فقد اختار لها بحـر الوافـر التـام بعروضـه المقطوفة وضربها مثلها(١) .

---

(١) الكامل فى العروض والقوافى د. محمد قناوى عبد الله ص١٥٧ وما بعدها .

ولا شك أن هذا البحر من البحور الخلابة الموسيقى الرائعة النغم ، وكأن الكون كله كان ينظم تلك المقطوعة الموسيقية التى تملى على الشاعر الإحساس بالموقف الرهيب الوقور الذى كان فيه وهو يتأمل السماء ، وما فيها ، وسكون الليل ، وما يضمه من صمت وما تومىء به مخلوقات الله فى هذا العالم من أدلة وبراهين على وجود الحق تبارك وتعالى ، والكلمات ، والأبيات كأنما تنزل على نفس السامع والقارىء بحلاوتها ، ومذاقها ، وروعتها ، ووقارها ، فيستسلم لها معلنًا استجابته ، وطاعته ، وانقياده ، اقرأ قوله :

خَليلىَّ انظُرا ما كان أَمْسَا

وجفنُ اللّيلِ فى الآفاقِ أَمْسَى

والمطلع كما ترى تأثر فيه بطريقة الجاهليين لكنه يبدو مقبولاً سلسًا لا تكلف فيه ولا التواء .

الفصل الثانى

المدائح النبوية

التحليل الأدبى

إذا استعرضنا المدائح النبوية فى الشعر الإسلامى فى ديوان (هـذا الضيـاء) وجدنا الشاعر محبًا للرسول ﷺ يتحدث عنه فـى ذكـرى مولـده(١) فـى عـدة قصائد جاءت إحداها ممثلة للميلاد وأحداثه متمشية مع السيرة النبوية واعتمـد على الصحيح المأثور من الأخبار .

ففى القصيدة التى تحدث فيها عن لحظة الميلاد المحمدى بدأ بمقدمـة تبين أمر هذا الميلاد العظيم الذى غير مجرى التاريخ يقول :

قـدومٌ إلى الدنيـا بـه الـدين كامـلُ

ونورٌ من العليـــاء بالوحـــى نـازلُ

وبين الشاعر فى المقدّمة حال العالم قبل البعثة المحمدية ، فالناس يعيشـون فى جهـل وظلـم ، فـالقوى يعتـدى علـى الضعيـف(٢) والأرحـام مقطعـة بـين الأقارب كل ذلك بعد فترة من الرسل قبل محمد ﷺ ، وكانت عبادة الأصنـام وغيرها منتشرة آنذاك ، فعقول القوم غافلة لاهية ومـع ذلـك وجدنـا قلـة مـن الناس تفكرت فى الكون وخالقه وعبدت الله وسط هذا الجـو المظلـم إلا مـن بصيص ضئيل من نور التوحيد وفى تلك الحال ظهر محمد ﷺ .

---

(١) ولد ﷺ - على الراجح - يوم الاثنين التاسـع مـن ربيـع الأول عـام الفيـل الموافـق العشرين من أبريل سنة ٥٧١م واشتهر أن مولده يوم الاثنين الثـانى عشـر مـن ربيـع الأول . انظر مروج الذهب ١٧٠/٢ والسيرة لابن هشام ١٦٥/١ والسـيرة للذهبـى ص٦ والسيرة للشيخ محمد مصطفى النجار ص١٢٢ .

(٢) سواء كان ذلك داخل الجزيرة أو خارجها كما كان يجرى بين الفرس والروم .

يقول الشاعر :

تجلى يعم الكون عدلاً ورحمةً وتملأ رحب الخافقين الفضائلُ

إلى قوله :

فقيـــل رســـول سوف يظهر أمره

ويختم رســـل ا لله والرشـــد آيل

ثم تابع الشاعر الحديث عن حمله ﷺ حيث رأت أمه (آمنة بنت وهب) وهى حامل فيه نورًا أضاء قصور الشام(١) ولم تجد عناء فى حمله ولا تعبًا(٢) يقول :

وآمنة فى حمله أبصـــرت ســـنًا

أضـــاء قُصَور الشام منه مشـــاعلُ

وما مســـها فى حمله نصـــب ولا

شـــكت ألمًا ممـــا تعانى الحواملُ

وكانت كل هذه الأمور مقدمات تشير إلى حـدوث أمـر غـير عـادىّ ، فهو علامة تسبق مولده ﷺ .

وقـد ذكـر الشـــاعر الإرهاصـات التـــى سـبقت مولـده ﷺ ، ففـى عـام مولـده جـاء أبرهـة(٣) بجيوشـه ليهـدم البيـت الحـرام فأرسـل ا لله عليهـم

---

(١) انظر : السيرة لابن هشام جـ١ ص١٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص١٧٣ .

(٣) فى مروج الذهب أنه ﷺ ولد بعد مجئ أبرهة بخمسين يومًا وهذا هو أشهر الآراء .

جماعات الطير التى رمتهم بالحصى الصغيرة التى أصابتهم إصابات بالغة(١) .

يقول الشاعر :

فأبـــرهة الطاغوت إذ جاء جمعـــه
وأفيـــاله قـــد آزرتهـــا الجحـــافلُ

يريدون إطفـــاء الشعـــاع لشعلة
أضاءت عنـــان البيت منها القنادل

حَمَى بيته الربُّ القـــديرُ محصـــنًا
ورد عـــداة الله عنـــه أبابـــلُ

---

(١) قصة الفيل كانت أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين الموافق ٥٧١م انظر السيرة لابن هشام جـ١ ص٥٤ و ٥٥ يقول ابن هشام : (فأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار تحملها : حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس (فى الشكل فقط) لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا) .

(فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة كلما سقطت أنملة اتبعها منه مدة تمثُّ قيحًا ودمًا حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون) .

وتحدث الشاعر عن إرهاصات أخرى منها : تصدّع إيوان كسرى وإخماد نار الفرس وإغاضة ماء ساوة .

يقول الشاعر :

وغيضَ له ماء بساوة زاخر
وقد عجبوا في أمرها وتساءلُوا

ونارًا تلظى يعبد الفرس جمرها
تشب لها من ألف عام مراحلُ

وبينا عبيد النار يجثون حولها
إلههم المأفون بئس العبادلُ

أتى يوم ميلاد النبي فأخمدت
له نار كسرى واستشاط العباهلُ

تصدّع إيوان لكسرى وقد هوت
به شرفات حطمتها الزلازلُ(١)

ثم جاء حديث الشاعر عن مرضعته حليمة السعدية(٢) وفي السيرة النبوية (خرجت حليمة إلى مكة تريد طفلاً ترضعه مع صاحباتها ، وكان

---

(١) قال الذهبي في السيرة النبوية (لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ (ارتجس) - يعني رجف - إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام) انظر ص١١ .

(٢) حليمة ابنة أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة ابن سعد بن أبي بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حضنة بن قيس بن عيلان . السيرة لابن هشام جـ١ ص١٦٨ .

الكل يبعد عن محمد لأنه يتيم ، ولم تجد غيره وأخذته مضطرة) وعندما عادت به وركبت رحلها جاء الخير إليها ، فانساب لبنها لترضع محمدًا ، وأخاه وكان قد جف من قبل ، وأسرعت راحلتها ، وقد كانت لا تقوى على السير ، وعندما وصلت عم الخير ديارها ، وازدهر العشب لرعي غنمها بعد أن كان المكان مجدبًا مما أثار عجب المحيطين بها)(١) .

يقول الشاعر :

حليمــة جاءت تبتغى مثــل غيرها
رضـــاع غــلام بعدهن تحاولُ
رأته يتيمًا قد جفتـــه مراضـــع
إلى طفـــل ذى مـــال عليهن باذلُ
محمـــد لما أرضـــعته حليـــمة
تفتــح ســـــرٌ للرســـالة هائلُ
رأت لبنًـــا يهمى بثدى رضـــاعه
وكم أرضعت من قبل والثدى هاملُ
وأسرعت العَير التى كان مشيُهـــا
وئيـــدًا وأعيــا عــيرَهُنَّ التثـــاقُلُ(٢)

---

(١) انظر : السيرة لابن هشام جـ١ ص١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) العير - بفتح العين - : الحمار ، وبكسرها : القافلة إبلا كانت أو حميرًا أو بغالاً . القاموس ٢/١٠١ .

وترعى سـوامُ الناس فى القفر مجدبًا

ويُعْشب فى مرعى حليمـة ما حلّ

ويعجب ناس أن تعود شـــياهها

بطانا وتأتيهم عجاف نواحـــلُ

ثم تحدث الشاعر عن شق صدره ﷺ(١) :

وجبريل شـق الصدر أخرج مضغة

لوسوسة الشـيطان والبرءُ عاجـل

ثم ختم الشاعر قصيدته بالحديث عن معجزة النبـوة التـى بهـرت العـالم وأرشدته إلى الله الواحد الخالق للكون الذى جـاء محمـد ﷺ بتعاليمـه ليهـدى الناس ، ويزيح الجهل عنهم ويقرب بينهم ليتعـارفوا ويتواصلـوا فالإيمـان مذاقـه عذب لمن مَنّ الله عليه به ، وفى ذكرى مولده العطـر يتذكـر الإنسـان معـانى النبوة الخالدة يقول الشاعر :

وكيـف يروم النـــاس حظ نبوة

هى المعجزات الباهـرات الـدلائلُ

تقـــول لكـــل النـاس إنّ إلهنا

هو الله فَرْدٌ وَهْوَ للنـــاس كافـلُ

---

(١) انظر : السيرة لابن هشام جـ١ ص١٧٢ .

وهـــذا رســول بالهـداية قـــادمٌ

يذكـر كــلٌ النـــاس ما ا لله فاعـلُ

أقـــام بنـــاء للحيـــاة قــوامُه

تحـاورُ فكرٍ لا ســيوفٌ غـــوائلُ

وقـرَّب بين النـاس كـــى يتعــارفوا

على وحـدة يزداد فيهـا التواصــلُ

إلى أن يقول :

رســالتُه تحــلو لمـن ذاق طعمَهـــا

ولا ينزفَــنْ عنهــا مشــوقٌ وآكـلُ

ومـن يُحْـيِ مـيــلادَ النبــى مُحَمَّــدٍ

يعـشْ فى ربيع عـاطرٍ وهْوَ حافـلُ

وتناول الشاعر البعثة المحمديـة وآثارهـا ومـا واجهتـه مـن صعـاب إبـان بدئها، وكيف تغلبت على المناوئين لها ، ففــى إحـدى قصـائده بعنـوان (هـذا الضياء) يتحدث عما كان يسود العالم من ضلال بعد أن بعدوا عن رسـالات السمـاء وراحـوا يتخبطـون فـى أوهـام وأبـاطيل لا يعرفـون المبـادىء أو المثـل الأخلاقية وقد كـان هـذا متمثـلاً فيمـا كـانت عليـه الجزيـرة العربيـة وقبائلهـا المتناحرة وما كان يسود الدول حولها من طغيان وجبروت .

يقول الشاعر :

العـالم الأرضى قــد هُــزَّتْ لَـهُ
جنبــاتُه فـى فرحــة وفخـــارِ
يـومَ الـبريـةُ فــى ضــلال واهـــم
والليـــلُ داج والسفـــينُ ســوارِ
جـالت بنفسى كلُّ هـائمة السُّـرى
لـترى هنـالك مولـــد المختـــارِ

وفى هذا الإطار يتناول الحديث عن البعثة المحمدية وأنها كانت إنقاذًا للعالم بإشراق نور الإسلام الذى حمله خاتم الأنبياء محمد ﷺ فصحح العقيدة بتوجيه الناس إلى التوحيد وقضى على ما فيه من تفكك وانهيار أخلاقى .

يقول الشاعر فى قصيدة بعنوان (مولد وضّاء) :

أنقـذتَ عالَمنـا القـديمَ مـن الرّدى
وبعثـــتَ إشـــراقًا عليـــه بهـــاءُ
صـحّحتَ مفهـوم العقيـدة للورى
ورفعْـتَ أرؤســهم فهـم عظـماءُ

ومن قصيدته (هذا الضياء) يشير الشاعر إلى ما كان فيه الناس من جهل وتخلف قبل الإسلام حيث التفاخر بالأحساب والأنساب ، فالظلم كان أسلوبهم فى الحياة يعتدى القوى على الضعيف والبقاء للأقوى ، لكن الإسلام هدم كل ذلك وسما بنفوس المسلمين موضحًا لهم مزايا الإيثار وحب الإنسان

لغيره ما يحبه لنفسه ، وعمت التقوى بين المسلمين ، وسادت حياتهم مخافة الله ورسوله ، وكل مسلم تمناها وعمل على الالتزام بها وبذلك ارتقت أمة الإسلام بهذه المبادىء التى تفوق الحديث عنها فهى تعظم عن كل كلام يمكن أن يقوله الإنسان فى بيان قيمتها ونفعها يقول :

قد كان قبلك للتفاخر سنةٌ
قامت على الأحساب والأوطارِ
الظلمُ كان هناك ديدنَ فعلهم
فهدمتَهُ وسموتَ بالإيثارِ
وأقمت للتقوى العزيزة ركنَها
وجعلتَها أملَ الحياةِ الوارىِ
علّمت أمتنا طريق رُقيّها
بمبادىءٍ جلّتْ عنِ الإخبارِ

ومن قصيدته (وقفتُ أحييك) بيّن الشاعر ما نشره الإسلام من رحمة بين الناس ، ودعوة إلى التوحيد لله وحده بكل ما هو بيّن ناصع من الآيات والحجج والبراهين وبدعوته عليه السلام اتضحت الأمور أمام الناس وتجلّى ما خفى منها عليهم ، فالله سبحانه خالق الكون وليس لبشر القدرة على فعل أى شىء ، يقول الشاعر :

أفضْت على الأكوان أنوار رحمة
وكنتَ لها سيفًا على كلّ طامعِ

دعــوتَ إلى التوحيـــد لله ربَّنا

صـــدعْتَ به بالبينات النواصـــعِ

فَبان بأن الخلـــق لله وحـــده

وليس له من دونه أىُّ صـــانعِ

وأفاض الشاعر فى الحديث عن البعثة المحمدية ومولد الرسول الكريم الذى حمل إلى العالم رسالة الأمن والأمان امتدادًا لرسالة الأنبياء السابقين فالدعوة إلى التوحيد هى دعوة الأنبياء السابقين كما قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا ﴾(١) الآيةَ .

فالشاعر يفتتح طائفة من القصائد بالحديث عن أثر البعثة المحمدية كأن يقول فى قصيدته (مولد وضاء) :

ا لله أكبر مـــولدٌ وضَّـــاءُ		يبدو عليه من الرُّواء صـــفاءُ

ويقول فى قصيدته : (وقفتُ أُحييك)

بدا نـــوركَ الوضـــاحُ حلوَ المطالعِ

ليبعثَ فى الدنيـــا حيـــاةَ المســـامِعِ

ويقول فى قصيدته (هذا الضياء) :

هـــذا الضـــياءُ يمـــرُّ فى أفكـــارى

متجـــددًا قـــد بَـــاحَ بالأســـرارِ

---

(١) سورة الشورى : الآية ١٣

في موكب الذكرى يفيــضُ جلالةً

ويموج كالبحر الخِضَـــــمِّ الجارى

وكأنه يشير بذلـك إلى نـور الإسـلام الـذى أذهـب ظـلام الجاهليـة مـن النفوس والعقول ، وبعثها إلى الحيـاة مـن جديـد بعـد ركـود غمرهـا ، وكأنـه يرقب ذلك حين قال فى قصيدته (وقفتُ أُحييك) :

(مُحمَّدُ) أنتم للوجود بعثْتُمُ   لتحيا البرايا فى أجلِّ الشـرائعِ

وفى كونه امتدادًا للأنبياء السابقين وشريعته امتدادًا لشرائعهم يقول :

أشْــرِقْ فأنت على القلوب مهيمن

بك بُشِّـــرت حــواءُ فى إسفارِ(١)

وأبــوك آدم والخليقـــة آمـــنت

بــك ســيدًا تهــدِيهمُ للبـــارى

وفى قصيدته (وقفتُ أُحييك) :

ســرى ذكــركُمْ بــين النبيين كلِّهم

إمامًا وفيهـــم أنت أكرمُ شــــافعِ

---

(١) كان النور المحمدى فى ظهر أبى البشرية آدم عليه السلام منذ جمع الله الخليقة كلها فى عالم الذر ، فحين (قيل له يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال : إنـى عبـد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته وسـأخبركم عـن ذلـك دعـوة أبـى إبراهيـم وبشارة عيسى لى ورؤيا أمى التى رأت) مسـند الإمـام أحمـد بـن حنبـل ١٢٧/٤ ، ١٢٨ والسيرة لابن هشام ١٧٣/١ .

فـدينُك ديـنُ الحــق آزرْت شملَهُــمْ

وجئتَ بمــا جاءوا رفيعَ التواضـــعِ

فمحمد إمام الأنبياء اختص بالشفاعة وجاء بما جاءوا به من توحيـد الله وعبادته فالإسلام اشتمل على ما جاءت به الديانات قبله ، والشاعر يشـير إلى اتصال الإسلام بالشرائع السابقة بل يشـير إلى أن الإسـلام هـو ديـن الإنسـانية كلها منذ فجر التاريخ كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السـلام ﴿ هـو سمـاكم المسلمين من قبل ﴾(١) .

يقول الشاعر :

وإســـلامكم دينُ البرية صانَها ومن زاغ لا يغنيه إفكُ الذرائعِ

فالإسلام دين الخلق جميعًـا ومن ضـل عنه فقد ظلـم نفســه لا يفيـــده ما يتعلل به من ذرائع خصوصًا إذا كانت هذه العلل واهية لا سند لها .

وأوضح الشاعر طريقته ﷺ فى نشر دعوته للناس وكيف بلغها بالمحبـــة والسماحة ، وعدم العنف ، وبدد المقــولة التى زعمهـا المغرضون بأن الإسلام انتشر بحد السيف فالدين لا إجبار فيه من أراد أن يسلم أسلم ومن رغـب فـى غير ذلك فعليه وزره ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾(٢) .

والسيف لم يكن إلا وسيلة لرد العدوان ، والدفاع عن الدين وحماية المسلم.

---

(١) سورة الحج : الآية ٧٨

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٦

يقول الشاعر :

أنقـــذتَ بالإيمـــان كلَّ مفكّـــر
بالـدعوة الحســنى وصـوت حوارِ
بلّغت دعوتك السـنية للـــورى
بمحبـــة وســـماحةٍ ووقـــارِ
ورفَعتَ للتوحيـــد رايـة مجـــده
خفـــاقة تعلو يـــد الأحــــرارِ
الســيفُ لم يكن الطريقَ إليهـــمُ
كلاًّ وما فى الديـــن من إجبـــارِ
بل كنت تكلـــؤهم بعـــين رعاية
وتذود أنفســهم عن الأخطـــارِ
فالتفَّ حولك كلُّ من بلغ النهـــى
وأتتْ إليــك جموعُهــم بخيـــارِ

وقد بين الشاعر ما حاوله المشركون فى مكـة من الوسائل والإغراءات لثنى الرسول عن دعوته ، ومحاولتهم تحريض عمه لتركه لهم ، أو صرفه عـن دعوتـه لكنه قال لعمه : " والله يا عمّـى لـو وضعـوا الشـمس فـى يمينـى والقمـر فـى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه"(١).

يقول الشاعر فى قصيدته (وقفتُ أحييك) :

لكم مبدأٌ لم تتركـــوه لظـالمٍ   وما الشمس والبدر المنيرُ بمانعِ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٨/١ .

وقد شرح الشاعر فى أساليب شعرية متنوعة حقيقة الدعوة الإسلامية وتبليغ رسول الإسلام لها بأنه جاء بدعوته خالصة لوجه الله لا يرجو من ورائها نفعًا دنيويًا وكان له من الأخلاق والصفات ما يربأ به عن التطلع إلى أغراض الدنيا الزائلة فكل همه أن ينقذ هؤلاء الواقعين فى الضلال والغواية ، يقول الشاعر فى قصيدته (وقفتُ أحييك) :

ألستَ أمينًا مذْ دَرَجْتَ وصادقًا
وكان لك الإكبارُ عند المبايعِ
ولم تسل الأقوامَ أجرَ نصيحة
فأنت أخو الإخلاص غيرَ مُدافَعِ
وأنت رسولُ الله تحمى ذمارهم
يسيرُون نحو الحق سيْر المُسارِعِ

ومن قصيدته (هذا الضياء) :

بل كنت تكلؤهم بعين رعاية
وتذودُ أنفسهم عن الأخطارِ
فالتفَّ حولك كلُّ من بلغ النهى
وأتت إليك جموعُهم بخيار

وهذا يؤكد ما يقوله المولى عز وجل على لسان رسوله ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى ﴾(١) وهذا هو ديدن الأنبياء جميعًا

---

(١) سورة الشورى : الآية ٢٣

فكل نَبيٍّ جاء برسالته داعيًا إلى توحيد الله كان يقول لقومه : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لك من إله غيره ﴾(١) ويقول لهم : ﴿ لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله ﴾(٢) أو ﴿ لا أسألكم عليه أجرًا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون ﴾(٣) .

وقد ورد ذلك فى القرآن كثيرًا ، وكان محمد ﷺ يسير على منوالهم .

وقد حاول الرسول ﷺ أن يتغلب على المعارضين بالحسنى ، وتحمل منهم ما تحمل من الإيذاء والعناد والصلف ، وقد اضطر فى النهاية أن يدافع عن دعوته بالقوة لما فشلت الأساليب السلمية معهم ، وكان موقفه موقف الدفاع لا الهجوم وفى ذلك يقول الشاعر فى قصيدته (هذا الضياء) :

لكنما أعملتَ سيفكَ فى العدا
لما بَغَوا إطفاء ذى الأنوارِ
وكما غزَوْكَ رَدَدْتَ كيدَ عِدائهم
فى نحرهم وفتكت بالكفّارِ
النّاقِمِين على الفضيلةِ والعُلاَ
النازلين منازلَ الفُجّارِ
راموا مغيب الشمس يسطع نورها
فتبدَّدَتْ أوهامُهُمْ بِبَوارِ

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٦٥ : ٧٢

(٢) سورة هود : الآية ٢٩

(٣) سورة هود : الآية ٥١

والرسول ﷺ صمد فى وجه المناوئين إلى أن انتصرت الدعوة الإسلامية وانتشر الإسلام فى ربوع العالم وردَّ الشاعرُ على ما يُزْعَمُ من انتشار الإسلام بحد السيف حين قال فى قصيدته (هذا الضياء) :

ورفعتَ للتوحيد راية مجده   خفاقة تعلو يد الأحرار
السيفُ لم يكن الطريق إليهمُ   كلاّ وما فى الدين من إجبار

ومعروف أن أساس الإسلام كتاب الله القرآن الكريم وسنة نبيه عليه السلام ففيهما الدستور السماوى الذى به نهضت الأمة الإسلامية وبه صلاح هذا العالم ، وقد أفاض الشاعر أيضًا فى حديثه عن هذين الدستورين .

يقول فى قصيدته (هذا الضياء) :

فينا كتابُ الله منهج شِرْعَةٍ   ميمونةِ الطّلَعاتِ للُنظّارِ
فى ظّله تبقى الحياةُ رشيدةً   وتحيد عن شرّ وعَنْ أوزارِ
والسُّنّةُ الغراء تحدو ركْبَنَا   وتَفُضُّ سرَّ الروحِ بالإظهارِ

ويقول فى قصيدته (وقفتُ أحييك) :

حَملْتَ كتابَ الله دستُورَ أمة
هى الأمّةُ الوسطى ودون منازَعِ
كتابُك قرآنُ الحياةِ الذى به
تُنَجّيهُمُ بالمحكماتِ الجَوامعِ

ومن هذين المصدرين وعلى أساسهما تقوم الحضارة الإسلامية على أسس صحيحة يقول فى قصيدته السابقة (وقفتُ أحييك) :

رَسَمْتَ لهم كيف الحضارةُ والعلاَ

وكيف يكون المجد سُلَّمَ طالِعِ

وفى قصيدته (مولد وضاء) يقول :

إنَّ النجاةَ الحقَّ فى قُرآننا وحديثك الميمونِ وَهْوَ دَوَاءُ

وفى قصيدته (هذا الضياء) يقول :

علّمت أُمَّتَنا طريق رُقيها بمبادىءٍ جلّت عن الإخبار

كما تناول الشاعر مبادىء الإسلام وقيمه وكما هو معروف فإن الإسلام أمرنا مع التوحيد بأن نقيم أركانه الأخرى من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وقد تحدث الشاعر عنها وعن أثرها فى صلة العبد بربه وإخلاصه فى عمله وصلته بقرابته وبأمته ، حين يقول من قصيدته (هذا الضياء) :

ولقد بهرت العالمين بما بدا

للدّين من يسر وحسن جوارِ

أقنعْتَ أهلَ المال أن يهبوا يدًا

لضعيفهم فينالَ فضلَ يسارِ

ووضعْتَ معيار الفضيلة للورى

تُعْليهمُ عن ذلة وصغارِ

فالصوم والصلواتُ رائدُ أمةٍ

تسعى بإخلاص وفى إصرارِ

وقد تعلق الشاعر بالرسول ﷺ فأخذ يناجيه ، ففى قصيدته (مناجاة الرسول ﷺ) يقول موضحًا أن نفسه متعلقة به ﷺ فإنه يراه أمام ناظريه فهو رجاؤه وشفيعه يوم القيامة .

يصول الشعر فى جَنَبَاتِ نفسى
لمدح المصطفى والهَمّ يُنسِى
فإنَّ سناهُ فى قلبى تجَلَّى
يفيضُ بذكره فيذيبُ يأسِى
نبىٌّ أرتجيه ليوم بؤسٍ
وهلْ لى من سواه رسولُ أُنس

وتمر بخاطر الشاعر بعد ذلك حياةُ الرسول الكريم التى أسسها بالرحمة والهدى ، ومبادئه التى غرسها فى الدنيا فهو يناجيه ، ويتشوق إليه ويتمنى لقاءه فهو المأمول الذى لا يرد سائله وهو المختار الذى يجد الإنسان فى رحابه الرضا والطمأنينة يقول الشاعر :

هو المأمول أنشده بعفو وأدعو الله إشراقًا لشمسِ
أناجى المصطفى فلديه ألقى حياة الصفو بالإسلام تُرسى

والشاعر عندما يتذكر رسول الله ﷺ يستعرض صراعه مع الكفر والمناوئين له فى أثناء دعوته وما لاقاه من ضيم ، وكيف نصره الله ورَدَ كيدهم فى نحورهم ، يقول :

وَمَا وَأَدَتْهُ أيدِ آثماتٌ أرادتْ أن تناوئَه بهَجْسِ

عصَابَاتٌ من الكفر استشاطت ... يُجلجل صَــوْتها رُعْبًا بجَرْسِ

فزُلْزِلَ عزمُهـــا خَوَرًا وجبنًا ... وقرَّتْ فى غيَابَاتٍ ونكْــسِ

معاركُ قد أدارهُنا(١) رحَاهَـا ... عليهمْ تأكُل السَّاعِىْ برجْـسِ

وباطلهـــم تردَّى فى لظــاها ... وأصبح عـــبرَةً ونذيـــرَ دَرْسِ

و لم تكنِ الحروب لديه مغزًى ... ولكن حفظُها للدّين قُدْسِــىّ

---

(١) يقصد فى الجزيرة العربية وما حولها وقد قال الشاعر هذه القصيدة فــى أثنـاء عملـه بالمملكة العربية السعودية .

مدح آل البيت :

للشاعر قصائد فى ذكريات دينية كثيرة كالحج والعمرة والإسراء والمعراج وشهر رمضان وعيد الفطر المبارك(١) وشعره فى هذه الأحداث لم يقتصر على ذكر المناسبة بل تناول فيها حياة الرسول ﷺ وكفاحه وصبره على المنارئين له وتناول أيضًا الشريعة الإسلامية السمحة وما تمتاز به من مبادئ وقيم رفعت شأن المسلمين بين الأمم .

وللشاعر قصيدة بعنوان (هاشمية فى رحاب الحسين) قالها فى حب آل البيت متمثلاً فى الحسين بن على رضى الله عنهما حينما كان يجلس أمام المقصورة يومًا ما وفى البداية تصور الشاعر أنه رأى فى رحاب الحسين نورًا أمامه ووجد نفسه فى حالة من الشفافية الروحية الممتزجة بالإيمان .

وذكر نسب الحسين السامى فهو من بيت النبوة وهو شرف لا يوازيه شرف ، وسبح الشاعر بخاطره ومرت أمام عينيه معارك الإسلام ومنها معركة كربلاء التى استشهد فيها الحسين على يد جنود يزيد بن معاوية وما حدث هو إرادة الله ، وسوف يلقى القتلة العذاب فى جهنم ثم توسل الشاعر بالحسين وطلب من الله الخير والرحمة وهو فى هذا الرحاب الطاهر ، وهو يعتقد أن الله سبحانه صانع كل شىء ويحيط الناس جميعًا بخيره .

قال الشاعر :

تلالا النورُ وارتفعَ الحجابُ

وزالَ الغيمُ وانكشفَ الضبابُ

---

(١) يأتى تحليلها فى بحث آخر عن الأحداث الإسلامية . انظر ص١٠٩ وما بعدها من هذا الكتاب.

وما جَتّ أبحر الإيمان حولي
زواخر لا يشقُّ لها عُباب

بِسَاحَةِ مَنْ لهُ الأنظارُ ترنو
وتخضعُ - مِنْ مَهَابَتِهِ - الرِّقابُ

قريشٌ آلهُ بل هاشميٌّ
تسامَى بيْتُهُ فهو اللُّبابُ

حَفِيدٌ جدُّهُ الهَادِي وأعِظمْ
به شرفًا يحقِّقُهُ انْتسابُ

تجلّى والبهاءُ عليه ثوبٌ
يشفُّ وتحتَهُ عجبٌ عُجابُ

رأيتُ معاركَ الإسلام دارتْ
وذكرني بها ليثٌ وغابُ

بمعركةِ المعاركِ كرْبلاءٍ
تهاوى البدْرُ فانْبهم الصوابُ

فهلاّ يومَ ذاك على يزيد
أتتْهُ عواصفٌ وأتى العذابُ

فعندكَ يا حسينُ رحوتُ بشرًا
من الله الكريم فأنْت بابُ

التصوير الفنى فى هذا الشعر

الشعر كما نعرف فى معالم الصورة الأدبية هو نبع الروح ، وترجمان النفس ، وهو فيض الإحساس الذى يتدفق نتيجة عاطفة جياشة تعتمدعلى تجربة يعيشها الشاعر أوالأديب ، ولما كان شاعرنا متأثرًا بحياته التى نشأ فيها مرتبطًا بعقيدة الإسلام السمحة وتعاليم شريعتها ودقائقها ومتعلقًا بحامل رسالتها خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ ورسالات الأنبياء الكرام وتمر فى خواطره أحداث الدعوة الإسلامية ، وتسلسلها ، وآثارها ، ونتائجها ونصر الله لها ، فقد ارتسمت خلال هذه القصائد صورة واضحة لمنشأ الرسالة المحمدية وما كان قبلها ، وبعدها فتبدو صورة العالم فى لوحة فنية فى مطالع هذه القصائد وهى صوة قاتمة فيها الجهل ، والضلال ، والظلم والنزاع القبلى ، وضياع تاريخ الأنبياء السابق ، ونسيانه وانتشار المفاسد ، والرذائل فى صورتها المظلمة وبينما العالم فى هذه الحال إذ يأتى نور الرسالة المحمدية مبشرًا بالأمل كاشفًا الظلمة ، وناشرًا العدل والرحمة ، وهو يقابل بين الظلام والنور، والظلم والعدل ، والقسوة والرحمة فى لوحة متقابلة الألوان ترسم المطالع فيها لوحة فنان يمسك بريشته فيضع الألوان ولون النور يزحف ببهائه وانتشاره ليمحو هذا الظلام ويزيله ويقضى عليه(١) .

---

(١) انظر : القصيدة (لحظة الميلاد المحمدى) (وهذا الضياء) المقطوعة الأولى وانظر مطالع القصائد الأخرى فى المولد النبوى من الديوان .

والتعبير بالنور مستمد من التعبير القرآنى بالنور عن الله وعن رسالة الإسلام كما قال تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾(١) (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾(٢) وصفات العدل والرحمة وردت كثيرًا فى القرآن الكريم مثل قول تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾(٣) .

ومثل قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾(٤) .

ومثل قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعًا بصيرا(٥) .

ومثل قوله عز وحل ﴿ وما أرسلنامن رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيما ﴾(٦) .

---

(١) سورة النور : الآية ٣٥

(٢) سورة الصف : الآية ٨

(٣) سورة الحديد : الآية ٢٥

(٤) سورة النساء : الآية ٤٠

(٥) سورة النساء : الآية ٥٨

(٦) سورة النساء : الآية ٦٤

ومثل قوله تعالى عن رسوله ﷺ ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾(١) .

وقد جاء التعبير بالنور عن رسالة الإسلام وظهور النور المحمدى فى صور شعورية متحركة تعطى لهذا النور حركات الأحياء فالنور قادم إلى الدنيا ، ونازل من العلياء ، والنور بتأثيره العلوى يمر فى أفكار الشاعر ويتحول إلى أدوات تثير الأحاسيس والوجدان ، وهو ينتقل من صورة إلى صورة ويتجدد كما تتجدد الأشياء ، وهو ينتقل سائرًا بين الأحياء فى مواكب ذكرى ميلاده ﷺ ، وهكذا يتحرك النور بفيضه العلوى وهو ليس نورًا هامد الحركة أو صامت الضياء ولكنه فاعل ومؤثر ، وذو جمال حيوى متألق يعمل فى الشعور النفسى عمله ، وهذا الطهر النازل لخير البشرية دافق الحركة دائب التأثير .

ثم إن العدل والرحمة ليستا فى الصورة التعبيرية العادية بل يحدث الشاعر حركة مخاض يولد فيها العدل والرحمة من خلال هذا ا لنور ، ثم يعطى الشاعر مظهر الكون وقد نسج العدل والرحمة عليه سياجًا ، ونسيجًا ينتظم هذا الكون كله ، والكون وعاء هائل يتضمن هذه الأخلاق والفضائل ، والتعاليم التى تدخل إلى النفوس ، وتسيطر على القلوب وتمحو الأدران التى رانت على هذا الكون ، وهذا الذى يراه الشاعر صورة لهذا الكون الفسيح بأرجائه طولاً وعرضًا صورة مجسمة تجسيدية تبدو للرائى

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٨

مثيرة مؤثرة لا شيئًا جامدًا لا حركة فيه ، ولا وجدان بل إن النور يطل من هنا وهناك على ظلام الجاهلية ، وهذا النور يأخذ صورًا شتى فى هذه القصائد فهو تارة تعبير عن مولد وضاء وأخرى يظهر فيخفى كل الأضواء ، بل إن هذا النور له مذاق . من نوع خاص فهو فى خيال الشاعر شيء لذيذ الطعم فهو حلو المطالع ، وكأنه غذاء للحياة فتدب فى الأموات من البشر الذين انصرفوا عن معالم العقيدة السمحة ، وهو يسكب فى الآذان تعبيرًا عن الأقوال المؤثرة وجعل هذا النور منهلاً عذبًا شرب منه وارتوى ثم جعله أيضًا محركًا قويًا لهذا العالم وكأنه هز الأرض من جميع جنباتها يحركها نحو الخير ، ويبشرها بانقشاع سحب الضلال ، وقد اصبح العالم فى خطر يحتاج إلى منقذ ، وهو كالسفينة التى تتقاذفها الأمواج فى ظلمات بعضها فوق بعض ، والأخطار تحدق بها من كل جانب فيأتى الإنقاذ السماوى واصلاً بها إلى مرفأ الأمان ، وتبدو صورة الأرحام الممزقة وكأنها أجسام ، ولحوم تمزق بالآلات التى تقطع ، وبينما العالم فى هذه الحيرة ممزق الأوصال يتطلع إلى الإنقاذ الإلهى تبدو بوادر الأمل بمولد خير الأنام محمد ﷺ .

ولا شك أن الحركة والشعور يجعلان نزول الرسالة المحمدية فى صورة حسية مغيرة لطبيعة العالم آنذاك .

ورأينا فى (لحظة الميلاد المحمدى) سوقًا لحقائق تاريخية خلع عليها الشاعر من وجدانه وخياله ، فهى رسائل تطوف بالآفاق ، وتمر هنا وهناك ، وأبرهه يريد هدم البيت أملاً فى إطفاء نوره ويأتى الرد الإلهى .

وتبدو صورة النار ، وحولها العبيد ، وصورة الإيوان وقد انهار من آثار هذا الميلاد الذى يمثل زلزالاً قويًا أطاح بالقصر وأذهل ساكنيه ، وكان كالصواعق التى أمطرتهم ، وتبدو صورة أهله بعد الأمن فى فزع داهم يجرون هنا ، وهناك ، ثم إن نور هذا الميلاد لم يكن حادثًا أول مرة ، بل هو معلوم من قبل ، ويقتبس الشاعر من السيرة النبوية ما يدل على أن نوره تنقل فى الأصلاب وكأن جميع العالم قد آمنوا به قبل مولده .

ويصوّر الرسل مع إمامهم عليه السلام فى صورة جمع متواصل يشد أزره ، ويقوى شأنه ، ويجعل القرآن أساس الحياة ، ومعلم الحضارة ، وكأنه يخطط ، ويضع علامات على الطرق معالم للسلام ويبنى ويؤسس ، ويرفع قمم الأمجاد ويضع المصاعد التى يمكن الطلوع بها إليها معتمدًا على ركائز حسن السياسة والحكمة ومشاركة أصحابه فى الرأى وهذا البناء المتكامل هو بناء الحياة التى تقوم على عرض الفكر أمام العقول وينفى عنه تلك الصور القبيحة صور سفك الدماء بالقهر ، والظلم والطغيان ، حين تصمت العقول وتتكلم الأسياف ، وتعتدى فهى سيوف غوائل ليس لأصحابها ما يوجههم أو يردهم عن العدوان ، وهى فى يد الغافلين لا فى يد الحكماء من دعاة هذا الدين ولم يكن الرسول ﷺ مكرهًا للناس على الدخول فى الإسلام بل كان - كما يرى الشاعر - فى صورة من يحنو ويتلطف ويأخذ بيد من لا يعرف الخطر الذى سيدهمه يقول :

بل كنت تكلؤهم بعين رعاية وتذود أنفسهم عن الأخطار

وهو اقتباس من قوله عليه السلام (أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلّتون من يدى)(١) .

وقد صور القادمين إلى الإسلام الداخلين فيه طواعية بصورة من التفّ حول مَنْ يحبه ويقتنع بفائدته ، ونفعه ، وهى صورة محسوسة مجسمة لأثر الحوار فى الإسلام على نحو صحيح معبر عن الواقع وقد جاءت الغزوات ردًّا لكيد الأعداء فى نحورهم وهى عبارة واضحة المعانى والبيان بما سددته إلى الأعداء من ردّ على عدوانهم وتمنيهم القضاء على الإسلام وجاء هذا فى صورة مَن يُنزل الشمس ويحجبها عن العيون وأنى له ذلك(٢) .

والإسلام هو الذى يدعو إلى التواصل والتراحم لا إلى القطيعة وهو دين الأخلاق التى تضحى أمام الناس نهرًا عذبًا يأخذون منه ما يطهرهم من الأدناس ، والأرجاس وهى صور محسوسة فالبناء ، والماء ، والسلم ، والصعود كل ذلك يعطى أصالة هذه الرسالة وشموخها ، وطهرها ، ونقاءها ، والناس يأخذون منها ، ويتقدمون ، ويأمنون ، ويطمئنون ، وهى صور حية تجعل القارىء والسامع يعيش فيها ، وينفعل لها ، ويأخذ منها صدق البرهان ، والدليل ، ومن لم يجربها فعليه أن يذوق طعمها ، وقد جاء التعبير بذوق الطعم الحلو من مشروب ومطعم طيب تعبيرًا عن صحة مبادىء الإسلام وأثرها الحقيقى فى سعادة الناس، وهذا البيان يترك أثره فى مشاعر السامعين ويجذب انتباههم.

---

(١) عن جابر رضى الله عنه قال : " قال رسول الله ﷺ : مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا ، فجعل الجنادبُ والفراش يقعن فيها ، وهو يذُبُّهُنَّ عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تفلّتون من يدى " رواه مسلم . الجنادب : نحو الجراد ، والحجَز جمع حُجزة وهى معقد الإزار والسراويل .
انظر دليل الفالحين لابن علان الصديقى جـ١ ص٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(٢) انظر : قصيدة هذا الضياء التى سمى بها الديوان .

وتكثر الاقتباسات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية مع صياغتها فى قوالب شعرية من مثل قوله :

وقـرب بـين النـــاس كـى يتعـــارفوا

علـى وحـــدة يـزداد فيهـــا التواصـل

وصور التقريب وزيادة التواصل صور متحركة فى بطء أو مسارعة نحـو الصلة والالتحام والالتئام وكلها من التجسـيد الأدبى ، ثـم إنّ الشـاعر تنـاول تمسك الرسول بمبدئه وكأن المبدأ شىء محسوس لم يفرط فيــه الرسـول الكريـم بحيث لا يستولى عليه غيره أو يضيعه حين قال :

(لكم مبدأ لم تتركوه لظالم) وهو تعبير عن قوله : عليه السـلام : (يـا عمى والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أتـرك هـذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .

كما أن الرسول لم يطلب أجرًا من أحد حين قال :

(ولم تسل الأقوام أجر نصيحة) أخذًا من مثل قولـه تعـالى : ﴿ قـل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى ﴾ .

وقد أوضح صورة بعد كثير من الناس عن رسـالة الإسـلام ، وتجـاهلهم تلك الدعوة التى تأخذ بيدهم إلى الرشـاد بإعلان كلمـة التوحيـد وعبـادة الله وصوّرهم فى غفلتهم وضلالهم وسوء عاقبتهم بقوم ركبوا سفينة جنحت بهم، وضلت الطريق وأهملت صوت الداعى لها إلى التوجـه الصحيـح ، وفـى ذلـك

اقتبس صورة قرآنية عن المشرك با لله في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ومن يشرك با لله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾(١)

يقول الشاعر :

وما ارتعدت هذه السفين بركبهم
وضلت بهم إلا بغيّ المنازعِ
فمن لا يراكم في نداكمْ له هوى
فتخطفه طير الردى والفواجعِ

وهكذا نرى أمام عيوننا الأهوال والأخطار تحيق بهؤلاء الذين لم يستجيبوا لكلمة الحق ، وما يحل بهم من كوارث مصورًا فى ذهاب الأمن ، وزعزعة الاستقرار ، لعدم طاعه من يريد إنقاذهم ، وهى صور تبدو وكأنها صراع هائل الخاسر فيه هو المعرض عن الحق والهداية ، وكل هذا فيه تجسيد وحركة شعورية فياضة بالدلالة ، وجاء واضحًا وصفُه للعالم الحديث بالتقهقر فى خطاه وتفشى الأمراض الاجتماعية فيه لبعده عن الصواب والحق ، وهو يخلع على العالم هذه الحركة والمشى وعدم استطاعته التقدم إلى الأمام حين يقول :

واليوم عالمُنا الحديثُ تقهقرت
منه الخطى وتفشّت الأدواءُ

(١) سورة الحج : الآية ٣١

وذلك ناشيء عما عليه العالم من نظم لم ترتكز على ما جاء عن الله من حق يصلح البشرية وينهض بها .

وقد صوّر قصور القوانين الأرضية وعدم صلاحها بحيث ملها الناس بصورة تجارة فقدت الربح ونالها الكساد وضاع أثرها كالهباء يقول .

كسدت قوانين وبارتجارُها وأتى عليها الدهرُ وهى هباءُ

وصورة التعامل والتطبيق أثبتت عدم جدوى القوانين الأرضية وأنه لا يصلح هذا العالم إلا هداية الخالق يقول :

لا يستقيم الكون دون هداية من خالق أو تسقط الجوزاء

وبيّن أن هذا العالم أخل بالعهد والأمانة التى صدق بها فى عالَم الذّر وقد صور الشاعر نقضهم للعهد وإبطاءهم فى تنفيذه بأنه مؤد إلى هلاكهم يقول :

فإن أبطأوا ضاعت أمانة عهدهم

وولى الهدى منهم بأيدى المطامعِ

وهذا مقتبس من القرآن الكريم حين يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾(١) .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٢

وصورة الإبطاء وضياع الأمانة والعهد تنقل إعراض هؤلاء عن الانصياع لأوامر الله ونواهيه وعن الإخلاص له وتجريد النفس من شهواتها وتخليصها من كبواتها ونوازعها تلك التى تمسك بها بمخلبها حتى لا تفلت من براثنها ويتجلى هذا فى قوله :

(بأيدى المطامع) وهى صورة حسية تجعل المطامع لها تلك الأيدى التى تمتد فتحبس الخير عن الناس وتمنعه عنهم وقد صور الشاعر الظلم فى البيئة العربية بصورته الهائلة المخيفة حين يهدمه الإسلام ويقيم مكانه الإيثار والتقوى وهى تشع نورًا فى جميع الأنحاء وكأن الخوف من الله ومراعاة أحكامه وشرائعه ماثلة فى هذا المظهر الذى يبعث البهجة فى النفوس ويغلغل الأمل فى القلوب ، ويفتح الباب أمام من يريد الحضارة والرقى على يد هذا البشير النذير محمد ﷺ والصورة واضحة فى قوله :

الظلم كان هناك ديدن فعلهم

فهدمته وسموت بالإيثار

وأقمت للتقوى العزيزة ركنها

وجعلتها أمل الحياة الوارى

علمت أمتنا طريق رُقيها

بمبادىء جلت عن الإخبار

ويتفق الشاعر فى هذا المعنى من بعض جوانبه مع شوقى فى قوله فى مدح الرسول عليه السلام :

أقمت لهم من الأخلاق ركنا

فخانوا الركن فانهدم اضطرابًا(١)

والشاعر يرى موكب فضائل الإسلام ومبادئه والحقوق والعدل وهى تبدو بأثرها الطيب فيمن يؤمنون بهذه الرسالة وينتهجون نهجها كأن لها حركة ولها حياة فهى تسير وتنبعث منها الأعطار التى يستنشقها الناس ، وتنفحهم بنفحاتها الطيبة وكأنها بأثرها تحكى صورة الجليس الصالح الذى مثله الرسول ﷺ بحامل المسك(٢) ، ويصور هذه المبادىء فى حماية الرسول ﷺ كأنها دخلت فى حماية جيش جرار وهو موكب حافل بالتأثير والصوت والصورة حين يقول :

ما زالت الأصداء تمشى بيننا

وتبثُّ فينا ذائع الأعطارِ

إن المبادىء والحقوق وعدْلَها

سارت بحولك فى حِمىً وقرارِ

ويعرض بعض مبادىء الإسلام كالزكاة والصلاة والصيام فى صور تجسيدية فالرسول يشرح ويوضح ويبين وحوله الناس يسمعون ويستجيبون ويقتنعون والرسول مقنن حكيم يزن الأمور ، ويعالجها ، ويزن الفضائل بميزان دقيق يجعله مثلاً يحتذى لمن له عقل يدرك ، وشعور ينبض ونفس تتحرك ممن يريد لنفسه العزة والإكبار .

---

(١) الشوقيات من قصيدته فى ذكرى المولد ومطلعها (سلوا قلبى غداة سلا وتابا) .

(٢) انظر دليل الفالحين لابن علان الصديقى جـ٢ ص٢٢٨

والصورة تموج بالحركة صورة المبلغ الأمين فيما جاء بـه عـن ربـه ومعـه الدليل والحجج والبراهين تمثل وسائل الإقناع وحسن التوجيه مع حسـن العرض ، وبراعة التبليغ والشاعر يتصور منهج الله متمثلاً فـي كتابـه وسـنة رسـوله ﷺ بأنهما تلك المظلة التي تقي الناس من الشرور والآثام ، وتحفظ عليهم حياتهم .

والسنة تسير في ركاب القرآن بحلية له مظهرة بهـاءه ، وروعتـه حيـث تكشف عن أحكامه وتعاليمه التي لا يعرف الناس سرها ، ونفعها فهو موكب متدفق بالحياة والشعور متدفق بالحركة .

وإن الحق ليسطع نوره من خلال هذا المنظر الرائع يقول :

فينا كتاب الله منهج شرعة[1] ... إلخ .

وهو في قصيدته مناجاة الرسول ﷺ تفيض مشاعره ويعـاود النظـر فـي التاريخ ليستحضر أمام عينيـه مبـدأ تلـك الرسـالة الخـالدة التـي حملـت الرحمـة والهدى ويصور نفسه راجعًا إلى المـاضي وقـد رجـع معـه الزمـان لـيرى الحيـاة الأولى إبان نزول الوحي ، وراح يتخيل الأيام وهي تمرّ عصرًا فعصرًا منذ أكـثر من أربعة عشر قرنًا ، وهو يتنقل فيها فإذا بكـل عصـر أقـوام تتحـدث وتفخـر وتثني على هذه الرسالة التي حملـت المبـادىء وجـاءت لإعمـار الكـون وهـي صورة يتحرك فيها الزمان ويناجي ويخاطب مع أن المقصود هم الناس فيه .

وتجسيد الزمن وهو يرجع وتجسيد الليالي وهي تتيه وتتحرك ينقل صورة من عاش فيها ممن انتفع بتعـاليم الإسـلام وتوجيهـه علـى لسـان خـاتم الأنبيـاء والرسل يقول :

---

(١) انظر : القصيدة هذا الضياء .

رجعــتُ مــع الزمــان إلى حيــاة

بنــاهــا رحمــةً وهــدى لإنــسِ

هنــاك وجــدْتُ أعـطاف الليــالى

تتيـــه بهــذه الآيــات أمسِ

رســالته مبــادىء للبرايــا

تعمِّــر هــذه الدنيــا بغــرسِ

وهو يصور رسول البشرية وقد تحمل ما تحمل من المصاعب والمشقات في سبيل نشر الدعوة ، وهو يشق الطريق المظلم بالمصباح الذى وضعه فى يده، وهو القرآن ، ويسوق عزمه على المضى ليقابل الأهوال فيقضى عليها ويمنعها أن تتغلب عليه ويثنيها عن الطريق الذى يسلكه بالناس ، والمصاعب تحاول منعه وهو يصارعها ويتغلب عليها وينقذ الناس من المآثم والأهوال والشقاء والفقر والبؤس وينشر ظلاله بما يحمل من هدى إلهى ويتصور الأيدى العابثة إبان نشأة الإسلام وهى تحاول الفتك به ، وهى تُجلب بخيلها ورجلها محاولة الانقضاضَ عليه ، ولكنها ترتد فاشلة مهزومة محطمة الرغبات لا تستطيع أن تنال منه يقول :

فكــم أزجــى إلى الأهــوال عزمًــا

أبــى أن يســتكين ليــوم نحــسِ(١)

---

(١) انظر : قصيدته فى المناجاة .

وتبدو أمام الناظر صور الأهـوال وهـى تصـارع العـزم العصىّ عليهـا ، فالمعانى تتحرك فى صورة أجساد قد نفخت فيها الأرواح ومظهر الظـل وهـو يمتد بالنعمة والقرآن المنير يمضى معه ويدفعه إلى تأدية واجبه دون خوف وترتد الأيدى الآثمة مقهورة ذليلـة صورة ذات شعور يُصّور صراع الحق والبـاطل وانتصار الحق على الباطل كما قال تعالى : ﴿ بل نقـذف بـالحق علـى البـاطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾(١) .

ويصور ثورة الباطل فيما كان يثيره كفـار مكـة مـن محـاولات للقضـاء عليه ولكن مكرهم كان يعود إليهم بصورة رحى تدور وتطحنهم بثفالها ويقع فيها باطلهم فيحترق ومظهر الرحى وهى تطحنهـم ومنظر النـار وهـى تلتهـم أهل الباطل منظر مروع مفزع وهو تصوير لما كانوا يحاولون من مكر وحفـظ ا لله لنبيه وهىصور لونها أحمر قان أو أسود قاتم من سوء ما صنعوا وما فعلوا.

وأخيرًا نرى الشاعر يلين جانبـه ويـروض نفسـه علـى المناجـاة والقـرب ومحاولة التذكر لهذا الرسول الكريم الذى شغل نفسه بحبه ، وجعل قلبه يعيـش فى ذكره وهو فى ذلك يرى نوره يغزو نفسه ، ويسيطر على وجدانه وخياله، وتبدو هذه الصورة إبان اشتغاله بالتدريس فى المملكة حيث المزار القريب مـن الرسول ﷺ وهذا جعل الشاعر يحاور الرسول ويخاطبـه ويسـائله ويطلـب منـه حسن الحديث الذى يذكره بما يعيد للعالم سعادته ، ويرى الشاعر سعادته فـى مناجاة الرسول وقربه منه يقول :

فطرتُ القـلبَ كى يزداد قربًا   وواعجبى أليس قرين حسّـى

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٨ .

فكيف نتصور قلبًا قد دفع به صاحبه ليترك كل مشاغله فيشقه شقًا ويلقى كل ما فيه من أغراض الدنيا وشواغلها ليفرغ للقيا الحبيب . إن صورة الفطر والشق والتطهير من هذه الأدران مقرونة بالتصور لما حدث فى السيرة النبوية من شق صدر الرسول وهو يستعد للقاء ربه ليلة الإسراء والمعراج والصورة تبدو حسية تخيلية إذ شق القلب لا يؤدى إلى تفريغه مما هو فيه إلا إذا كان على سبيل المجاز اللغوى .

وبعد هذا التطواف نخلص إلى أن هذه المدائح النبوية اشتملت على استعراض السيرة ، فهى تتحدث عن صفاته ﷺ من الأمانة والثبات على المبدأ ، وتحمل الأذى ، والدفاع عن الدعوة ، وانتشار الإسلام بالمودة دون القهر كما تعرض أساس الشريعة القرآن والسنة ، وهدفهما وهو إنقاذ العالم ، وتعرض صورًا من المبادىء الإسلامية والحضارة الإسلامية أيضًا وأثرها فى المجتمع ووضح منها كثرةُ الاقتباس من الكتاب والسنة .

وجاءت المعانى مستندة إلى هذه النصوص الموثقة على طريق الاقتباس ، ويعد ابن الأثير الأخذ من كتاب الله ، واستخراج المعانى منه ومن أحاديث نبيه ﷺ من المعانى المبتدعة إذا نقله أخذه إلى معنى آخر وطبق ابن الأثير ذلك على نفسه فقال (تَرِدُ الآية من كتاب الله أو الحديث النبّوى والمراد بهما معنى من المعانى فآخذ أنا ذلك وأنقله إلى معنى آخر فيصير مخترعًا لى وسأورد ههنا منه نبذة حتى يسلك إليها فى الطريق الذى سلكته ، فمن ذلك قصة أصحاب الكهف والرقيم ، فقد استخدم ذلك فى كتاب له إلى بعض المنعمين عليه فيقول الخادم يشكر إحسان المولى الذى ظل عنده مقيمًا ... ولما تمثل فى

الاشتمال عليه كهفا صار شكره فيه رقيمًا ويقول : وأما الحديث النبوى فإنى أخذت قصة قتلى بدر كأبى جهل وعتبة وشيبةوغيرهم ونقلتها إلى القلم ، فقلت فى وصف القلم : ولقد مرِح القلم فى يدى وحقّ له أن يمرح ومن شأنه أن يستقل على أعواد المنبر فلا ينتهى من خطبتها إلى فصلها ويقف على جانب القليب إلا أنه لا ينادى من المعانى أبا جهلها فالدواة قَليب والقَلم يقف عليه والمعانى التى ينشئها من باب العلم لا من باب الجهل(١) .

وهناك فى رأيه ضرب آخر من المعانى يحتذى فيه على مثال سابق ومعنى غير مبتدع إلا أن الأديب يستخرج من هذا المعنى الذى ليس بمبتدع معنى مبتدعًا من ذلك ما قاله من أن عبد الملك بن مروان بنى باباً من أبواب المسجد الأقصى بالبيت المقدس وبنى الحجاج بابًا إلى جانبه فجاءت صاعقة فأحرقت الباب الذى بناه عبد الملك فتغير لذلك وشق عليه ، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إليه كتابًا (بلغنى كذا وكذا فليهن أميرَ المؤمنين أن الله تقبل منه ، وما مثلى ومثله إلا كابنى آدم إذ قرّبا قُربانا فتقُبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فلما وقف عبد الملك على كتابه سرى عنه(٢) .

ومن ذلك رقعة كتبها ابن الأثير إلى بعض حجاب السلطان فى حاجة عرضت له وأرسل معها هدية يقول فيها : (الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ، ويدخل على القلوب من غير استئذان ، ولهذا قيل تهادوا تحابوا)

---

(١) المثل السائر لأدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير تحقيق د. الحوفى ود. بدوى طبانة ج٢ ص٥٦، ٥٧ بتصرف .

(٢) المصدر السابق ص٢١ .

ثم يقول ومما اشتملت عليه من المعانى قولى : وما من قلب إلا وصورتها تجلى عليه فى سَرَقة(١) ولولا شرف مكانها لما حلّلت للنبى ﷺ مع تحريم الصَّدَقَة) وهذان المعنيان مستخرجان من خبرين نبويين أحدهما أن النبى ﷺ قال : (جاءنى جبريل عليه السلام ومعه سَرَقة من حرير يعنى حريرةً بيضاءَ وفيها صورة عائشة رضىا لله تعالى عنها وقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة) والخبر الآخر أن النبى ﷺ قال حُرِّمت علىّ الصدقة وأحلّت لى الهدية)(٢) .

أما الضرب الآخر من المعانى وهو الذى يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة ولذلك قال عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم(٣)

وهناك ما يسمى بالمعانى التى يبتدعها مؤلف الكلام من غير أن يقتدى فيه بمن سبقه(٤) .

وبهذا يتبين أن اقتباسات الشاعر من النوع الذى يصوغ فيه معانى الآيات والأحاديث النبوية ، ويوقعها موقعها من الاستشهاد بها فى شعره .

---

(١) السرقة واحدة السرق – بفتحتين – : شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامة .

(٢) المثل السائر ص٤٣ ، ٤٤ .

(٣) المصدر السابق ص٥٨

(٤) المصدر السابق ص٧

الأسلوب والموسقى

من المعلوم أن الصورة الأدبية تقوم على أساس اللفظ، وملاءمته للمعنى، وأن اختيار الألفاظ وإفراغ المعانى فيها ليس عملية سهلة وإنما هى معقدة إذ تتوقف على عوامل كثيرة أهمها غزارة محصول الشاعر اللغوى، ودرايته بالتراكيب الصحيحة فى العربية، وقدرته على اختيار أشرف المعانى، وأحلها، وربط ذلك كله بعاطفته الشعرية وتجربته التى ينشىء لها قصيدته، وإن إحكام الصياغة يتطلب وضع الكلمة التى تساعد على إنشاء الصورة الأدبية، ورسمها الفنى لتكون العبارات والأساليب فى القصيدة كلاً لا يتجزأ، فاللفظ لا يحلو إلا فى موقع خاص، وقد لا تكون له تلك الميزة فى موقع آخر إذا اختل وضعه، أو لم يحسن اختياره، وكذلك الجمل اسمية، وفعلية والمتعلقات فيها من مفعول، أو تأكيد، أو حال، أو معطوف إلى غير ذلك، ويرى قدماء النقاد العرب - كما ذكرت من قبل - أن التضمين من عيوب القافية فى الشعر العربى وهو أن ترتبط أو تتعلق قافية بيت بصدر بيت بعده، لأن المعنى لا يتم إلا بالبيت الذى بعده، ومنه ما يكون قبيحًا كأن ينتهى البيت الأول باسم الموصول، ويذكر الشاعر الصلة فى أول البيت الثانى وما يكون جائزًا كأن يكون فى آخر البيت الأول فعل يحتاج إلى مفعول فيذكره الشاعر فى البيت الثانى وكذلك أى متعلق آخر يرتبط بهذا الفعل.

وقد رأى القدماء ذلك لأن البيت عندهم وحدة مستقلة لكن النقاد المحدثين يطلبون من الشاعر ألا يفصل بين الأبيات، بل يجمع بينها فى وحدة مترابطة، وهم لا يقصدون ما هدف إليه القدماء من الفصل بين الصلة

والموصول ونحو ذلك مما ذكروه ، وإنما يقصدون ارتباط المعانى فى القصيدة ، وتسلسل الأفكار بحيث تتابع متدرجة ولا يصح تقديم بعضها على بعض وإلا اختل المعنى .

ونأتى إلى شاعرنا فنرى من خلال شعره المدروس فى ديوانه (هذا الضياء) أنه قد تدرب على أساليب العربية ، وتمرس بها ولذا فهو يحرص على اختيار الألفاظ العربية الأصيلة التى يسميها علماء اللغة الجزلة الرصينة ، ويستعمل تلك الألفاظ فى معانيها أو فى مجازاتها اللغوية التى يمكن نقلها إليها، وترتبط بالمعنى الأصلى بوشائج القربى ، فلا تختل ولا تتناقض ، ثم هو يضع الألفاظ فى تراكيبها اللغوية الصحيحة ، فلم نعثر على خطأ نحوى ، أو تركيبى أو استعمال للضرورات إلا فى نطاق المسموح به لغويًا مثل ما أجازه علماء العروض من صرف ما لا ينصرف(١) أو إشباع الحركة(٢) فى روى بعض الأبيات ليتولد منها حرف مناسب فى القوافى أو قصر الممدود وهذا من النوع المقبول الذى أجازه العلماء ولم نجد عنده ما عده العلماء من الضرورات القبيحة مثل منع المصروف ، أو قطع همزة الوصل ، أو فك المدغم أو عكسه أو تقديم المعطوف إلى غير ذلك مما استقبحه العلماء فى الشعر .

---

(١) كتنوين مبادىء فى ذكرى المولد - وأراذل - فى قصيدة الشيشان وهما على صيغة منتهى الجموع التى تمنع الصرف .

(٢) كروى الأبيات الموصول ونحوه .

وهو يضع الألفاظ فى سياقها اللغوى ، والتركيبى ، ويحسن وضعها بحيث تشارك فى رسم الصورة الأدبية ، ويضعها فى مكانها المناسب لتؤدى دورها فى إثراء المعنى ، والخيال الأدبى ، ونضرب أمثلة من تلك الألفاظ التى أوقعها مواقعها فإذا قال مثلاً فى قصيدته عن (لحظة الميلاد المحمدى) :

قدوم إلى الدنيا به الدينُ كاملُ

ونورٌ من العلياء بالوحى نازلُ

فاستعمال كلمة (القدوم) لها دلالتها فى هذا السياق إذ تدل على حركة تصدر من إنسان يولد فى هذه الحياة ، ومع أن المعنى مجازى يراد به الإتيان بمعنى الميلاد لا الإتيان بمعنى المشى فإنه يضع أمام العين صورة الإقبال ، ثم يأتى بصورة الإشراق فى ذكره (ونور) واختيارها مع كلمة (العلياء) لما بينهما من رباط فأصل النور يأتى إلى الأرض من قبل السماء وما فيها من كواكب وأجرام ولكنه يقصد معنى أسمى لكلمة (العلياء) من المعنى المحسوس للضياء القادم من مكان عال ، فيقصد بها نزول الوحى من لدن حكيم خبير مما فوق السماء حيث الطهر والصفاء والنور الإلهى .

وفى قوله : (به الدين كامل) تعبير لغوى تقدم فيه الجار والمجرور لهدف معنوى تؤيده أصول العربية ، وأسرار تراكيبها ، فتقديم الجار والمجرور - هنا - يفيد الاختصاص ، والمعنى أن الدين قد كمل به لا بغيره مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾(١) ، وكأن الشاعر حين قدم (به) التفت إلى هذا المعنى.

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣

وعلماء الأدب ونقاده يطلبون الشعر الجيد حين يجدون حلاوة الموسيقى فيحومون حولها ، ويهرعون إليها ، وينصرفون عما يبعد عنها ، وقد وضعوا فى ذلك القواعد ، والأسس ، كأن تختار الأوزان الشعرية المناسبة للمعانى المرادة ، ومنها التام والمجزوء ، وكذلك القوافى ذات الرنين الموسيقى ، ويتأتى ذلك بالكلمات الشعرية الموسيقية التى تتعاون مع غيرها فى إبراز المعنى المراد مصحوبًا بمشاعر القائل وأحاسيسه ، ووجدانه ، فهناك القوافى المطلقة ، وهى التى تنتهى بحركة ، والقوافى المقيدة ، وهى التى يكون الروى فيها ساكنًا ، والقوافى المطلقة نجد منها ما يشتمل على الوصل ، والخروج ، والردف والتأسيس والقافية لها أثرها .

والقافية لها أثر فى وضوح الإيقاع الموسيقى ، والإيحاء ، كما أن الكلمات التى تدخل فى حشو الأبيات فى القصيدة قد تشتمل على حروف المد واللين ، وهذا أيضًا له أثره الموسيقى والإيقاعى ، ويسمونه فىعرف النقد الحديث بالموسيقى الداخلية وهذا يؤدى إلى التلاؤم بين اللفظ والمعنى ، ويثير المشاعر والوجدان ، ونلحظ ذلك كثيرًا عند شاعرنا فى هذه المواقف الدينية التى تحتاج إلى إثارة الشعور والإحساس عند القارىء وهذا يتطلب الأوزان الطويلة والقوافى المطلقة والعبارات التى تشتمل على كلمات داخل الأبيات مما يؤكد عمق الموسيقى ، ولذا نجد شاعرنا فى قصيدته لحظة الميلاد المحمدى يسلك هذا المسلك فى اختيار أوزانه ، وقوافيه ، وكلماته ، وإذا رجعنا إلى البيت الذى ذكرناه من قبل وهو مطلع هذه القصيدة وجدنا الرنين الموسيقى

الذى اعتمد على بحر الطويل ، وهو بحر له حلاوته (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن) مرتين .

ونجد القافية المطلقة (نازلُ) وتتلاقى مع العروض (كاملُ) قبلها ، وهى قافية مؤسسة ، وتتعاون الكلمات المشتملة على حروف اللين فى إبراز المعنى فى كل كلمات البيت تقريبًا (قدوم - إلى - الدنيا - الدين - كامل - نور - العلياء) وإذا جئنا إلى البيت الذى يليه .

تجلّى يعمُّ الكون عدلاً ورحمةً وتملأُ رحب الخافقين الفضائلُ

وقوله :

فأبرهةُ الطاغوتُ إذْ جاد جمعهُ

وأفيالهُ قد آزرتْهَا الجحافل

فنلحظ الألفاظ ، والقوافى ذات الرنين الموسيقى الطويل ، وإذا جئنا إلى قصائد كثيرة فسنجد أن الشاعر يختار ألفاظه ، وأوزانه ، وقوافيه من هذا النوع المشتمل على أصوات اللين .

ولكن مما يلاحظ على مطالع قصائد المدائح النبوية التى درسناها أنها متشابهة من حيث ما تعبر عنه من المعانى وإن أتت بألفاظ يغاير بعضها بعضًا ويلمح ذلك فيما يلى :

بدا نوركَ الوضاح حلو المطالعِ

ليبعث فى الدنيا حياة المسامعِ

الله أكبرُ مولد وضاءُ

يبدو عليه من الرواء صفاءُ

هـذا الضـياء يمـر فى أفكـارى

متجـددًا قـد بـاح بالأسـرارِ

فكلها تتحدث عن معنى النور الذى ظهر بمولد خير الأنام .

وأخيرًا فإننا نقول : إن هذا الشعر الإسلامى أخذ طابع التأثير ، والشعور الوجدانى المرتبط بالعواطف الدينية المتأصلة فى نفس الشاعر ، والتى تقوم عليها تجربته الشعرية ، ولا عجب فى ذلك ، فهذا ميدانه الذى نشأ فيه ، وترعرع ، ويعد من رجال الدعوة الداعين إلى الله على بصيرة ، فلا غرو أن يجىء شعره صورة لنفسه ، متدفقًا بمشاعره معبرًا عن صدقه فيما يهدف إليه ، ونلمح فيه السعة وثراء المعانى ، وغزارتها ، والحث على القيم التى جاء بها الإسلام ، والكشف عن خصائصها ، وتربيتها للنفوس ، وهو مع ذلك قد ساقها فى أساليب شعرية متنوعة وأطلق لخياله العنان فى التعبير عنها ، لكنه لم يجنح إلى المبالغات التى تفسد المعنى أو تشوه الخيال .

وإذا كان ابن حزم قد عوَّل فى النثر على الجانب الأخلاقى(١) ، وحاول أن يفرق بينه وبين الشعر لأنه يرى أن فى الشعر كذبًا لا يتلاءم مع

---

(١) يفرق بعض النقاد ومنهم ابن حزم بين الشعر والأخلاق والمواعظ والحكم والخير ، ففى الشعر خيال يجنح به إلى الكذب ، والأخلاق ، والمواعظ تقتضى الصدق ، ولذا وصف القرآن الكريم الشعراء بالغواية إلا من عصم الله فى قوله تعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كلّ وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا ﴾(سورة الشعراء : الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧) . انظر رسائل ابن حزم ص٦٥ - ٦٧ والتقريب ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

الأخلاق والآداب فإننا نرى أن كلامه بنطبق على الخطب المنبرية والندوات الدينية ، ونحوها ، وهى التى تخاطب العقل أكثر مما تخاطب الوجدان ، لكن الأدباء فرقوا بين النثر ، والشعر ؛ لأن الشعر ألذ فى الأسماع ، وأكثر تحريكًا للطباع ، وفى صورة الشعر الإسلامى الذى درسناه دليل على ذلك .

الفصل الثالث

الأحداث الإسلامية

- أحداث الذكريات الإسلامية .
- الأحداث الإسلامية الناشئة عـن الأحوال السياسية والوطنية.

الأحداث الإسلامية

شارك الشاعر بشعره فى كثير من الأحـداث الإسـلامية التى تعبر عن الذكريات الخالدة فى تاريخ الإسلام فتحدث عن الإسراء والمعـراج ، وصوم رمضان ،وفضائله وأحداث الشـهر الكريـم ،كغـزوة بـدر الكـبرى ، وتحدث أيضًا عن عيد الفطر المبارك .

كما تناول حج بيت الله الحرام باعتباره فريضة إسلامية ، وتـاريخ هـذه الشعيرة فى حياة الأمة الإسلامية ، وعبر عـن مشـاعره العميقـة فـى كـل هـذه الأحداث .

كما عبر بشعره عن الأحداث الإسلامية الناشئة عن الأحـوال السياسـية والوطنية فى كثير من قضايا الإسلام والأمة الإسلامية ، التى تتعـرض لأحـوال كثيرة فى حياتها السياسية والوطنية وتتغلب بفضل الله عليها ، بما يعتمـل فـى نفوسها من مبادئ هذا الدين القويم ، وحدب أهله عليه .

وسأتحدث عن شعره فى ذلك كله .

أولاً : أحداث الذكريات الإسلامية :

من الأحداث الإسلامية التى شارك فيها شاعرنا الإسراء والمعراج على صاحبهما الصلاة والسلام(١) .

تحدث الشاعر فى بدايتها عن جلال الحدث الذى كرمه الله به ، وشرفه بالقيام به ، وهو(حادث الإسراء والمعراج) وهذا الحدث لم يأت فجأة بل كانت الأقدار تعده ، والكون بأرضه وسمائه يستعدان لرحلته عليه السلام .

يقول الشاعر :

قد ملأْتَ الآفاقَ والأرجاءَ   شرفًا يزدهِي بكُمْ واصْطِفاءَ

لم يكن حولك الوجودُ غريقًا   فى سُباتٍ ولا الزمانُ هَبَاءَ

---

(١) وقع الإسراء والمعراج وهو بمكة فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسده وروحه ﷺ بعد المبعث وهذا مذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول عن ذلك إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل ، ويؤيد ذلك حديث أنس عند مسلم ففى أوله (أُتيت بالبراق فركبت حتى أتيت بيت المقدس) فذكر القصة إلى أن قال (ثم عُرج بنا إلى السماء الدنيا) ، وفى حديث أبى سعيد الخدرى عند ابن إسحاق (فلما فرغت مما كان فى بيت المقدس أُتى بالمعراج) . وكان الإسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة قاله ابن سعد وغيره وجزم به النووى وأيد ذلك . ابن حزم وقال إنه كان فى رجب سنة اثنتى عشرة من النبوة وقيل غير ذلك . انظر فتح البارى جـ ٧ ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ وعمدة القارى جـ ١٧ ص ١٩ إلى ٢١ .

ثم تحدث الشاعر عن وظيفة رسالته ﷺ التى جاءت لمحوالظلم بالشريعة السمحة ، فدعوتُه عليه السلام ملؤها التقوى والسموو الرقى .

يقول :

جئتَ تمحومعالمَ الظلم فيهم وتعيد الشريعة الغـرّاءَ

وكسا نورُك الحيـاة بدعوى ملؤها التقوى والسموو فـاءَ

ثم تحدث الشاعر عن سبب الإسراء والمعراج ، وأنه فضل مَنَّ الله به على رسوله الكريم، وتكريم له خصه به دون الأنبياء السابقين فالوحى بالنسبة له ولهم أما الإسراء والمعراج فقد اختص به محمد عليه الصلاة والسلام .

قال الشاعر :

فحباك الإله فضلاً جزيلاً ولـواءً تحـدوبـه الأنبيـاءَ

جاءك الوحيُ مثلَهم وتجـلّى يوم أسـرى بعبـده إسـراءَ

ثم تحـدث الشـاعر عـن تفاصيل الرحلة وفق ما جاء فى حديث البخارى عن الإسراء والمعراج وشروحه(١) فكان النبى ﷺ يبيت فى بيت السيدة أم هـانئ أم المؤمنين زوجه ﷺ(٢) وكان قائمًا يصلى متهجدًا ثم

---

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى للإمام ابن حجر العسقلانى جـ٧ ص ٢٠٠ وما بعدها . وانظر أيضًا عمدة القارى شرح صحيح البخارى للشيخ بدر الدين العينى جـ١٧ ص ١٩ وما بعدها ، جـ ٢٥ ص ١٦٩ وما بعدها .

(٢) حسبما ورد فى حديث أم هانئ عند الطبرانى أنه بات فى بيتها .

صلى الفجر وجاءه جبريل واصطحبه إلى المسجد الحرام بمكة وهناك شقّ صدره ﷺ(١) .

قال الشاعر :

كنت تغفو بجوف ليل بهىٍّ
زانه النورُ بالهدى وضَّاءَ
وفراشٍ لأم هانئ يبدو
دافئا - قد تركتَهُ - ما تناءَى
وبفجرٍ ببيتها وقيامٍ
أيقظ الصبحَ طولُه والمساءَ
....
....
شقَّ صدرًا بحكمة ويقين
أودعَ السرَّ فى الشَّغافِ صفاءَ
إذْ ستلقى فى عالم الغيب ربًّا
فتراه حقيقةً لا خفاءَ

---

(١) استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال إنما كان ذلك وهو صغير فى بنى سعد ولا إنكار فى ذلك فقد تواردت الروايات به وقد وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة . انظر ابن حجر ص٢٠٤ ، ٢٠٥ والعينى ص٢٣

ثم واصل الشاعر حديثه عن رحلة الإسراء وذكر بعض ما رأى الرسول فى هذه الرحلة من عجائب خلق الله وأفعال الصالحين وغيرهم ، وتصرّف فى بيان بعض المشاهد لكنها فى جوهرها لا تخرج عن أصلها ، وهى فى جملتها تقع فيما يرويه الطبراني والبزار عن أبى هريرة أنه ﷺ (مرّ بقوم يزرعون ويحصدون كلما حصدوا عاد كما كان قال جبريل : هؤلاء المجاهدون ومر بقوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ومر بقوم على عوارتهم رقاع يسرحون كالأنعام قال : هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة ومر بقوم يأكلون لحما نيئا خبيثا ويدعون لحمًا نضيجًا طيبًا قال : هؤلاء الزناة ومر برجل جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها ثم هويضم إليها غيرها قال : هذا الذى عنده الأمانة لا يؤديها وهويطلب أخرى ومر بقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت قال : هؤلاء خطباء الفتنة ومر بثور عظيم يخرج من ثقب صغير يريد أن يرجع فلا يستطيع قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم فيريد أن يردها فلا يستطيع(١) قال الشاعر :

قد ركبْتَ البراق تخترق الحُجْـ
ـبَ وتطوِى به هناك الفَضَاءَ
وترى ناسًا يحصدون نعيمًا(٢)
وترى ناسًا قد بدوْا أسواء(٣)

---

(١) انظر فتح البارى جـ٧ ص٢٠٠ وانظر السيرة النبوية للذهبى ص١٨٢ .

(٢) إشارة إلى المجاهدين .

(٣) رجلٌ سَوْءٌ وعملٌ سَوْءٌ : قبيح ج أسواء وهوإشارة إلى مانعى الزكاة .

وأناسًا تسيل منهم فروج

حاملات جريمة نكراءَ

يأكلون الطعام نيئًا خبيثًا

ويعافون ما يطيب غِذاءَ(١)

ولقوم حجارة من سعيرٍ

جَعَلتْ من رءوسهم أشلاءَ(٢)

ثم كنى الشاعر عن كل عمل صالح ، وكل عمل سيىء ببياض الوجوه وسوادها(٣) فقال :

وأناسٌ تبيضُّ منهم وجوهٌ ووجوه أخرى غدتْ سوداءَ

وتحدث الشاعر عن رسول الله ﷺ وهو يؤم الأنبياء في الصلاة في بيت المقدس(٤) وبين مكانته بين الأنبياء قبله فهو

(١) إشارة إلى جريمة الزنا ، ويقال : ناء اللحم ينيء نيئا : لم ينضج أو لم تمسسه نار . اللسان ١/١٧٤ .

(٢) إشارة إلى من تتثاقل رءوسهم عن الصلاة .

(٣) في حديث أبي هريرة عند البزار (أنه رأى وهوفي السموات العُلى أقوامًا بيض الوجوه وأقوامًا في ألوانهم شئ فدخلوا نهرًا فاغتسلوا فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فقال له جبريل هؤلاء من أمتك خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا) فتح الباري جـ٧ ص ٢١٥.

(٤) في رواية أبي عبيلة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال ﷺ " ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين بين قائم وراكع وساجد ثم أقيمت الصلاة فأممتهم " . فتح الباري ٧/٢٠٨ .

خاتم الأنبياء والمرسلين ودينه هو ختام الأديان يدافع عنهم ، ويحمل عبء الرسالة ويتصدى للمشركين ، وكانت المكافأة هذه الرحلة المباركة .

قال الشاعر :

وعلى الرُّسْل كنتَ فيهم إمامًا
بصلاة - فى القدس - فاحت زكَاءَ
باركوا رحلةً وولَّوا قيادًا
لرسولٍ بذكرهم قد جاءَ

....
....

فأخوهم (مُحمدٌ) عرفوهُ
كرموه وما أعزَّ إخاءَ
يحملُ العبءَ عنهمُ ويُلاقى
ما يلاقى عزيمةً ومضاء
كم تَصدَّى للشرك يُذكى حوارًا
بسنا حلمِهِ وزادَ بلاءَ

فـأرادَ الحبيـــب مـــدّ يـــدِ العَـــوْ

ن إليـــــه مُـــوَزَّرًا وعَـــــلاءَ

ثم واصل شاعرنا وصف الرحلة فتحـدث عـن المعـراج(١) حيـث صعـد ﷺ إلى السـموات يرقاهـا تتهـاداه الكواكـب واحـدًا بعـد الآخـر والسـموات واحدة بعد الأخرى وسرى ذكر هذه الرحلة بين أهل السماء وفتحت الأبواب أمام رسول الله ﷺ والتقى بالرسل ، فرحبوا به ، أما جبريل فكـان لـه مكـان لا يستطيع تجاوزه وإلا احترق(٢) وأما النبى ﷺ فقد دنا من ربه ، ورأى نـورًا ليس كمثله شئ إنه ربه الجليل(٣) .

---

(١) المعراج سلم يدل عليه ما رواه بن إسحاق والبيهقى فى الدلائل مـن حديث طويـل وفيـه (ثم دخلـت أنـا وجـبريل بيت المقـدس فصليـت ثـم أتيت بالمعـراج) وظـاهر الحـديث الذى رواه البخـارى عن مالك بن صعصعـــة رضى الله عنـــه أن المعـراج وقـع للنبى ﷺ على ظهـر الـبراق إلى أن صعـد السموات كلهـا ووصل إلى ما وصل ورجع وهوعلى حـاله وفيـه نظر لما ذكر . انظر فتح البـــارى ٧ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٢) قال جبريل : أنت لوتجاوزت احترقت وأنا لوتجاوزت احترقت .

(٣) فى رواية أنس بن مالك - حتى رواها عنه شريك بن عبد الله - " ودَنَا الجبار رب العزة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أوأدنى فأوحى الله فيما أوحـى إليـه خمسـين صلاة على أمتك كل يوم وليلة " .

عمدة القارى جـ٢٥ ص١٧٠ وهذا يفسر قوله تعـالى فـى سـورة النجـم ﴿ ثـم دنـا فتدلّى فكان قاب قوسين أوأدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ .... إلخ .

يقول الشاعر :

ومضــى يسـيقُ الزمـان إلى السبـــ
ـــع الطبـــاقِ المستحكماتِ بنـــاءَ

والـــدّرارِى مِرقـــاتُه لعـــروجٍ
تتهـــاداهُ رِفعـــةً وارْتقـــاءَ

وترَامـــى بـــين الملائك صـــوتٌ
باعثٌ فـــى أهـــلِ السَّما ســرَّاءَ

صـــوتُ ذكـــرى للعـــالمين جميعًـــا
هـــوصوتُ الإســـلام للنـــاس فـــاءَ

يُفتَـــحُ البـــابُ إثر بـــابٍ ويلقـــى
ســـالف الرُّسْـــلِ خلْفـــه سُعـــدَاءَ

آدمٌ واقـــفٌ يرحـــبُ بالإبـــ
ـــنِ وإبراهيـــمٌ يزيـــدُ ثَنـــاءَ

ردَّدُوا : مَرْحبًـــا بأحمـــدَ فينـــا
وأذاعـــوا الحـــديثَ والأنبـــاءَ

ثـم نـادى جـــبريل هـــذا مقـــامى
لـــوتجـــاوزتُه احـــترقتُ فنـــاءَ

....
....

إنـــه ربُّـــه الجيـــلُ عيـــانًا
ليـــس شـــئ كمثـــله لا مِـــرَاءَ

وتحدث الشاعر عما رآه ﷺ من سدرة المنتهى ومشاهد الخلد ، وقد فرضت الصلوات الخمس وهى فى الثواب خمسون .

قال :

ورأى مـــا رأى تَحـــلّى بديعًـــا
ســــدرةُ المنتهى بـــدتْ حســـناءَ
ورأى أعجـــب العجـــائب آبـــا
شـــاهد الخلـــد يكتســـى آلاءَ
....
....
صلـــواتٌ خمـــسٌ فُرِضْـــن علينـــا
وهى خمســـونَ فى الثـــواب جـــزاءَ

ثم تحدث الشاعر عن تكذيب قومه عليه السلام لـه عندمـا قصَّ عليهـم رحلته ، ولكن أبا بكر صدَّقه وردَّهم وسفّه كلامهم(١)

---

(١) عن أبى سلمة - فيما رواه البيهقىّ فى الدلائل - قال : " فـتن نـاس كثير - يعنى عقب الإسراء - فجاء ناس إلى أبى بكر فذكروا له فقال : أشهد أنه صادق قالوا : وتصدقه بأنه أتى الشام فى ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة قال نعم إنى أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء " فسمى بذلك الصديق . فتح البارى ٧ / ١٩٩ .
وقد كذبه قومه وسألوه أن يأتيهم بأدلة وقالوا لـه : تستطيع أن تنعت لنا المسجد (يقصدون المسجد الأقصى) فرفع الله له بيت المقدس وجعل ينظر إليه ويصفه -

يقول الشاعر :

عادَ للقوم ينشرُ الوحى فيهم إذ تَلَقّـاهُ صـادقًا مِعْطـاءَ
كـذَّبوُه فراعَهُـم ببيـان يُفحم الخصمَ حُجَّةً بيْضَـاءَ
وحكوا للصديق زعْم خليـل أكثروا القـول فريةً وادّعـاءَ
وأبـوبكـر ردَّهـم بحـديث سفّه الحـاقدين والجُهَـلاَءَ

ومن الذكريات الدينية التى شارك فيها الشاعر التنوية بشهر رمضان المبارك وله فيه قصيدتان ، الأولى بعنوان (خير الشهور) والثانية بعنوان (استقبال رمضان) .

وفى قصيدته (خير الشهور) خاطب هذا الشهر الكريم قائلاً :

إن قدومك خير وبركة وسرور وسعادة وأنت تمد يدك بالهداية والنجاة للناس وفيك الكرم وأنت الوقت المناسب لمن يريد أن يغسل ذنوبه بالصوم

- لهم فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لما كذبتنى قريش قمت إلى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه " فتح البارى ٧ / ١٩٦ وهذا أبلغ فى المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس فى طرفة عين لسليمان وما ذاك فى قدرة الله بعزيز ، كما سألوه عن إبل لهم فى مكان كذا وكذا قال نعم والله قد وجدتهم قد أضلوا بعيرًا لهم فهم فى طلبه ومررت بإبل بنى فلان قد انكسرت لهم ناقة حمراء وذكر لهم عدة إبلهم فى القافلة وما فيها من الرعاء ففيها فلان وفلان فكان كما قال . فتح البارى ٧/٢٠٠.

والصلاة فهو لا يصوم عن الطعام والشراب فقط بل يكفّ لسانه ويده وكل جوارحه عن فعل المعاصى .

يقول الشاعر :

رمضان يا خير الشهور أقبلتَ يغمرك الحبورْ
عيقَتْ بك الآفاقُ تمـ لؤُها بأنفاس العبيرْ
وتمدّ كفّك بالهدا ية والنجاة من الثبورْ
أنت الملاذ لعابدٍ غسل الذنوبَ من الطّهورَ

ثم تحدث الشاعر عن قراءة القرآن فى رمضان التى تصل العبد بربه ، وتحف الملائكة قارئ القرآن تسمع صوته الخاشع فى جوف الليل .

يقول الشاعر :

قرأ الكتابَ وأسمع الـ آيات فى ذات الصدورْ
ناجَى الإلهَ ومنه جا ءته البشارة فى السطورْ
وملائكُ الرحمن تغـ ـبطُهُ على هذا الصريرْ
صَوتُ تهّدجَ بالعبا دة واطمأنَّ بلا غرورْ

ثم تحدث الشاعر عن الشريعة الإسلامية السمحة وبين بعض مزاياها فهى تدفع العدوان ولا تبدأ به ، تناصر الحق وتحمى من يلوذ بها من الضعفاء ، فتشد أزرهم وتقويهم ، ثم هى تأخذ على أيدى الطغاة ، وتنشر مبادئ العدل لكل الناس ، وتحمل السلام للشعوب وتنشر الحب بينهم .

يقول الشاعر :

وشريعــة الإســلام تــد فــع كل عــــدوان وزورْ

أَزَرَتْ عُــرى الحــق الصُّــرا ح ســلاحُها الذكــرُ المنــيرْ

أخَــذَتْ على أيــدى الطغــا ة وحطَّمـت غُــلّ الأســيرْ

جــاءتْ ســلامًا للشــعو ب وبلســمَ الحُــبُّ الأثــيرُ

ثم نصح الشاعر فى نهاية قصيدته أخاه المسلم بألا يكسل بحجة الصوم فالعمل واجب على الإنسان فى الصيام والفطر ، وثوابه مع الصوم أكثر .

قــم يا رفيــق الصــوم لا تكســلْ عن العمــل الكثــيرْ

أما قصيدته الثانية (استقبال رمضــان) فقد أخذت اتجاهًا آخر ففى بدايتها تحدث عن مجيئ رمضان وما يحمله مجيئه من الذكرى العطرة ، ففيه تمتلئ النفس بشاشة وبشرًا بالسماحة والمروءة فى هذا الشهر الكريم .

يقول الشاعر :

رمضانُ أقبل قم فحَيِّ هــلالاً يزهــو ســناهُ ويبعث الآمــالاَ

لبس البهاء كما ترف ورودُه تهْدى إليــك شمــائلاً تتوالَى

فيه السماحةُ والمروءةُ والنَّدى خُلقتْ جميعًا ما أجلَّ خلالاَ

ثم بدأ الشــاعر يذكر الأعمال العظيمة التى حدثت فى هذا الشهر الكريم الذى أوحى فيه إلى النبى ﷺ وأصبحت فيه دولة الإسلام قوية لا تعرف الذل ، والهوان ، وفى رمضان نزل القرآن الكريم دستور المسلمين الذى

اشتمل على المبادئ والقيم التى تهب الحياة لأمتنا العظيمة على حين كان الغرب يعيش فى ظلام ويغط فى نوم عميق بلا حضارة ولا تقدم .

يقول الشاعر :

فى مثل هذا الشهر كان محمدٌ
يُوحى إليه فحطّم الأغلالاَ
فى شهرنا هذا بنينا دولةً
(إسلامُها) لا يعرف الإذلالاَ
فى ظله نزل الكتابُ مبينًا
نهجًا لمجتمع يريد كما لاَ
أسرى بها جبريل يوم تنزلتْ
بمبادئٍ عليا عدِمْنَ مثالاً
قانونه يهبُ الحياة وجودَها
فمثاله أبدًا يكون محالاً
فى حين كان الغرب يرسفُ فى الدجى
ويغطّ فى نوم كسَا جُهَّالاَ

ثم وجه الشاعر خطابه إلى عالم المسلمين لينهضوا ويحافظوا على مجدهم، وتراثهم ، وطالبهم بالبعد عن الكسل وأن يخلصوا لدينهم لينالوا ثواب الآخرة وطلب أن يقتدى المسلمون بالرسول ﷺ وبأصحابه الذين سمت أعمالهم وكانوا يتقربون بالصوم والصلاة وبهما طهرت نفوسهم .

وما زال الشاعر يوجه نصائحه مطالبًا بالدفاع عن الإسلام ، والعمل بمبادئه وتعاليمه التى تنهض بالمسلمين وتحقق لهم المحال ، وترفع شأنهم وتعيد أمجادهم ، وإذا فعل المسلمون ذلك ملكوا الأرض ، وسادوا فيها ، ورجعت أمجادهم كما كانت .

يقول الشاعر :

يا عالَمَ الإسلام قُم وانْهضْ وثبْ
واحفظْ تراثك لا تكُن مكسالاَ
سرْ مثل ما كان الرسول وصحبُه
نَبُلتْ خلائقُهم سمَوا أعمالاَ
يتبتلون بصومهم وصلاتِهم
وبعزْمِهم قد صدّقوا الأقوالاَ
ذودوا عن الدين الحنيف ولا تنُوا
إن الحياة تبدّلتْ أحوالاَ
تجرى بمضمار السباق طليقةً
بخطى تحققُ ما يكون محالاً
قد كنتمُ إخوانَ صدقٍ سالفًا
عودوا فأحيوا ما تمزقَ حالاَ
تحيوا تسودون البسيطة كلّها
وترون ذا التاريخ حتمًا آلا

وقد جرى الشاعر فى استنهاض الهمم ودعوة دولة الإسلام لتسابق الأمم فى الرقى والرفعة لتستعيد سالف مجدها جريا على طريقة كثير من الشعراء ، فمع المناسبات الدينية لا يقتصرون على ذكر المناسبة بل يضمنون قصائدهم حث المسلمين على نبذ الخلاف والعمل والاقتداء برسول الله ﷺ فى جهاده .

ومن الجوانب الدينية التى شارك فيها شاعرنا أيضًا التهنئة بعيد الفطر المبارك فبدأ الشاعر يصوِّر العيد الذى أقبل يحمِل الأمانى ويزف البهجة والسعادة فى الحياة لحنًا جميلاً يكسوبه الوجود ، ونورًا يغمر الكون ، وفيه تقوى صلة القربى والرحم التى تتبادل فى العيد حيث تذوب الخلافات بهذه المناسبة الدينية العظيمة .

يقول الشاعر :

أقبل العيد بالمنى يتغنى
ويزف السرور والسعد لحناَ
وينا غى الحياةَ صفوا جميلاً
وبهاءً على الوجود وحسنَا
عيدُ فطر بعد الصيام تجلّى
مشرقَ الوجه زانَ بالنور كونَا
عيدُ حبٍّ على القرابة والأر
حام يحنو وجَذْوة الحقِد تفنَى

وعاد الشاعر مرة أخرى للحديث عن رمضان الذى يليه عيدُ الفطر بعد الحديث عما يحمله العيد من فرحة وبهجة فذكر صيام رمضان الذى يطهر الإنسان من الكبر ويزينه بالتواضع والصائم يكثر من صلاة النافلة وقراءة القرآن وتدارسه مستوعبًا معانيه العظيمة ، وذكر الشاعر صلاة التراويح التى يسعى إليها المسلمون ويكثرون من الذكر والدعاء فيثيبهم ا لله على ذلك بعد تحمل مشاق الصوم والعبادة .

يقول الشاعر :

رمضان به صيامٌ وطُهرُ   وعبادُ الرحمن يمشون هونَا
عبدوا ربهم فصاموا وصلوا   وأقاموا له على القَلْب ركنا
سَهِروا ليله وقاموا جنودًا   يقرأون الكتاب لفظًا ومعنى
وصلاةٌ هى التراويح يسعى   نحوها الخاشعون للّه مثنى

ثم ذكر الشاعر العيد مَرَّةً أخرى وسعادته التى تفوح منها رائحة العطر مع نسماته ، وإشراق يومه .

وانتشى العيد كالنسيم عليلاً
بارق الثغر فى نداه نَعِمْنَا
منه فاح الشذا عبيرَ زهور
ومن العذب فى الشفاه رشفْنَا

ويتحدث شاعرنا عن مزايا الدين الإسلامى الذى يصون النفوس من الذنوب ، ويأمرنا بالتسامح ، ونشر العدل ، والبعد عن الظلم ، ويدعونا إلى التراحم لتكون الأمة الإسلامية جسدًا واحدًا .

يقول الشاعر :

إنه ديننا يصون نفوسًا عن ذنوب يُقيم للروح وزنًا

جاءنا الشارعُ الحكيمُ بدين يأمرُ الناس بالسماحة حُسنَى

بعث الإسلامَ الحنيف بنور عبقرىّ أعزَّ إنسًا وجنًّا

نشر العدلَ حرَّم الظلم فينا ودعانًا إلى التراحم صَوْنًا

ونرى الشاعر متألمًا لما صار إليه حال المسلمين من قطع للأرحام ، وفرقة بين الأقارب الذين أوصى الإسلام بهم ، وحث الشاعر على وحدة المسلمين ، ففى اجتماع شملهم قوة لا يستهان بها ، ولو درى المسلم جزاء العفو لعفا وتسامح ، ولو درى جزاء القطيعة لبعد عنها ، ثم عدّد الشاعر ما أمرنا به المولى سبحانه من فرائض كالصلاة والصوم والزكاة وحج البيت الحرام وأثرها فى قوة المجتمع وتماسكه .

يقول الشاعر :

لِمَ قطعُ الأرحام يزداد يومًا

بعد يوم وفرقةُ الضَّعف بَيْنَا

لم يغدو القريب منا بعيدًا

ويصير البعيدُ بالقرب خِدْنًا

وحــدةُ المسلمــين تجمــع شمـــلا

كأســـود العــرين بأســا وحِصْنَــا

ثم انتقل الشاعر إلى الحديث عن مصر وما تعيشه مــن سلام وأمـن وأن ذلك كله تحقق بفضل الجهد الذى يبذل من أبنائها يقول :

هـذه مصر فى ظـلالِ سـلام وأمـان لمـجدها نحـن عِشنـَا

ليس هــذا منَّـا بعيـد منـال بهـدى ربِّنـا وجَهْـدِ بذلْنَـا

وبعد أن واصل الشاعر حديثة عن تكافل أبناء مصر فيما بينهم وبعدهـم عن التعصب والتطرف هنأ بالعيد وطنه وأهله والمسلمين جميعًا .

فلمصر الهنـاءُ فى يوم عيــد ولأهلــى ســعادةٌ وهنئنَــا

وهنيئًــا للمسلمــين جميعًــا وهنيئًــا للناس ريفا ومُدْنَــا

وتناول الشاعر فى شعره الإسلامى غزوة بدر الكبرى(١) ففى قصيدة له بعنوان (يا لها من بطولة) (غزوة بدر) تحدث فى بدايتها عمــا كـانت عليـه البشرية قبل الإسلام من ظلام وجهل حتى أشرق نوره ورفع أمــة الإسـلام إلى قمة المجد وأعلى من شأن الإنسان الذى ذاق الهوان والظلـم حـين كـان يحكـم بشريعة الغاب .

---

(١) وقعت فى يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وانظــر : السيرة لابن هشام ٢/١٨٠ .

يقول :

وحـى تألـق والوجـودُ ظـلامُ

فأضـاءَ فيـه وأشـرق الإسـلامُ

ومن الحضـيض بنـاهُ فى عليـائهِ

صرحًـا على هـام السـماكِ يُقـامُ

كم كـابدَ الإنسـانُ ظلمًا فادحًـا

ومضـى على مـرِّ القـرونِ يُسـامُ

وأُذيق من كـأس الهـوان وصابِهَـا

غُصَصًـا تؤجِّـج نارَهـا الآلامُ

ثم يتحدث عن الدين الإسلامى وهـو يخوض معركـة المصير يستعذب أهلُه الموت فى سبيل ذلك وأخذ الشاعر يصور المشركين الذين جـاءوا لمحاربـة الدعوة الناشئة يقودهم غرورهم وضلالهم متوهمـين النصـر ، ولكـن المسلمين كانوا على درجة عالية من اليقظة فهم الأسود فى شجاعتهم فضلاً عـن تـأييد الله لهم يقول الشاعر :

هـذا هـو الدينُ الحنيفُ يخوض معـ

ـركـة البقـاء يحثّـه الإلهـامُ

يمضى وكأسُ الموت عـذب عنـدهُ

وكأنّهـا يـومَ اللقـاء مـدامُ

زحفت عليـه جحافل الشرك الذى

ثـارت بـه الأوثـان والأصـنامُ

سـارُوا بطغيـان يقودهُـم العَمـى
وتدفّقُـوا ملء السـهول وهـامُوا
وتـذاكروا أيّامهـم فـى بأسـها
يرتـاعُ منهـا الفـارسُ المقـدامُ
زعمـوا بـأن مصـيرَه بأكُفّهـم
رهـنٌ يقـررُه بهـنّ حسـامُ
كـذبُوا فإن منـاَله مثـلُ الكـرى
حُلْـم تحققـهُ بـه الأوهـامُ
أفَلـمْ يروْا أن اللّيـوثَ روابـضٌ
حـول العـرين كأنهـا الآكـامُ

وتحدث الشاعر عن محاولة المشركين القضاء على الحق وإطفاء نوره وأنهم لم يتحقق لهم ما أرادوا فقد كان محمد عليه الصلاة والسلام فى مقدمة صفوف المسلمين قائدًا لهم وإمامًا وتحدث عن نصر المؤمنين الذى وعدهم ا لله به ونزول الملائكة تشد أزرهم ، وتحارب معهم فقد كانوا قلة بالنسبة للمشركين .

يقول :

وغـداة بدر شمـرتْ عن ساقهـا
حـربٌ لهـا فى الخـافقين ضـرامُ
والمسـلمون أتاهـم النصـر الـذى
وعـد الإلهُ ورفـرفتْ أعـلامُ

نزل الملائكةُ الكرام ليربطوا
فوق القلوب وتثبت الأقدامُ
كرّوا فما أبقوا على أعدائهم
وانجاب ليل الشركِ وهو سحامُ

وصور الشاعر بعد ذلك نهاية المعركة حين أمر الرسول بدفن قتلى المشركين فى بئر بدر ، ثم وقف يناديهم يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا؟ فقال له بعض الصحابة إنهم موتى لا يسمعون فقال : ما أنتم بأسمع إلىّ منهم(١) ، وهذا ما عبر عنه الشاعر بقوله (فأجابه الإعجامُ) ، ثم تصور الشاعر أنهم أجابوا بقولهم : هذا هو الإسلام دينُ الحق الذى يبنى للحياة وغيره يهدم ، وما حدث كان جهلاً منا وكبوة ، فعقيدة التوحيد هى الدين الحق ، وكان هذا الرد الذى تصوره الشاعر بمثابة اعتراف من المشركين بأن الدين الصحيح هو الإسلام ولكن اعترافهم هذا بعد فوات الأوان .

يقول الشاعر :

وثوى بأعماقِ القليب قتيلُهم
يشقى وجرح أساه لا يلتامُ
وقفَ الرسولُ مناجيًا أوجدتُموُ
حقًّا هنا ؟ فأجابه الإعجامُ
هذا هو الإسلام يبنى للحيا
ةِ مفاخرًا وسواؤه هدَّامُ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٠٧ .

ضلّتْ بنا عنهُ الجهالةُ يا لَهـا
مِنْ كبْوةٍ زلّت بها الأفهامُ

ثم أخذ الشاعر يعدد الانتصارات التى حدثت فى رمضان وقوّتْ من شأن المسلمين كانتصارنا على التتار فى عين جالوت وعلى الصليبيين فى حطين وانتصارنا فى مصر على إسرائيل فى العاشر من رمضان وتحطيم خط بارليف وتحرير سيناء بقيادتنا الرشيدة .

يقول الشاعر :

كم جاء فى رمضانَ نصر باهرٌ
وشدا بعز المسلمين سلامُ
ذدْنا التّتار عن الحضارة والعُلا
وبعين جالوت أُذِلّ طَغَامُ
وبيوم حطّينٍ قصمنَا مَنْ بغى
واسأل صلاح الدين وَهْو هُمامُ
وسل انتصارًا حققته كنانةٌ
مثلا تُذيعُ حديثَه الأقْلامُ

وتحدث الشاعر أيضًا عن (غزوة بدر) فى قصيدته(استقبال رمضان) .

فتحدث عن قيادة الرسول عليه السلام لجيوش المسلمين فى هذا اليوم وهم يحملون سلاحهم ليصرعوا به العدو يلقى حتفه ، وكان المسلمون على

درجة عالية من الشجاعة والقوة لا يرهبهم العدو فتقدموا ليرتفع شأن الإسلام ويسمع صوته فى أنحاء الدنيا .

يقول الشاعر :

فى يوم (بدر) والرسول يقودُها
هزُّوا الحسامَ وأقبلوا إقبالاَ
صرَعُوا العدوَّ وأوردُوه إلى الرَّدى
يُسقى الحمامَ بكأسه هطَّالاَ
فى يوم (بدر) سار ركبُ رسولنا
بالحق زلْزَل إفكهم زِلْزَالاَ
فمشوا ودينُ الله يرفعُ رأسه
لا يرهبونَ تقدُّمًا ونزالاَ

وعندما أدى الشاعر فريضة الحج عام ١٣١٣هـ ١٩٩٣م جلس فوق جبل المروة بعد إتمام السَّعْى وقد فاضت مشاعره بمطلع هذه القصيدة :

السَّعىُ مُنْبثقٌ يجرى به قدرُ
هلِّلْ وكبِّر فإنّ الحق منتصِرُ
طهِّر ذُنُوبَكَ فى هذا المقام وَقُلْ
إنّ الحجيج لهذَا الطُّهر قد نَفَرُوا

فهذه الفريضة التى جعلها الله ركنا من أركان الإسلام يتطهر الإنسان بها من الذنوب التى اقترفها ، فالحجيج تجمعوا قاصدين التوبة ، وقد كسا وجوههم النورُ فوق ما يأخذون من شرف القيام بهذا العمل الذى يغسل خطاياهم ، ولو كانت كزبد البحر ، وهم فى تدافعهم لأداء هذه الفريضة تزحف جموعهم متلاطمة كموج البحر ، وقد استعار الشاعر ما يحدث فى البحر من المدّ والجزر حيث تأتى الأمواج لترتطم بالشاطىء ثم تتراجع مرة أخرى لرسم صورة هذه الجموع المحتشدة وهى تسعى بين الصفا والمروة أو تطوف بالكعبة يقول :

يعلو وجوهَهُمُ نور على شرف
يُزيل رجسَ الخطايا وهْو مُنْهمرُ
كأنهم حين تنساب الجموعُ بهم
زواحِفُ الموج مدًّا ثمَّ تنْحَسِرُ

ثم يربط الشاعر بين الحج والتاريخ ويحكى قصة ذلك حين أتى إبراهيم الخليل إلى هذا المكان(١) .

أتعرف الوحى والتاريخ حين أتى
خليلُ ربك بل قد شاقك الخبر

---

(١) وردت هذه الأحداث التاريخية التى ذكرها الشاعر فى حديث طويل رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما . انظر دليل الفالحين لابن علان الصديقى جـ٤ ص٧٥١ وما بعدها .

ثم بدأ الشاعر يربط الأحداث بالتاريخ فهاجر تجرى فى هذا المكان باحثة عن الماء لوليدها ، وقد تركته يبكى بكاء شديدًا من العطش .

وطلب الماء بعيد المنال فى هذا المكان الذى يفتقد الماء ومن الصعب العثور عليه وهاجر تجرى وأنفاسها تتلاحق وقَلبها مملوء بالخوف على ابنها خشية أن يموت عطشًا .

وهى تنظر إلى البيت حيث تركت إسماعيل والحرارة شديدة تحرق وجهها من توهجها فى هذه الصحراء التى لا ماء فيها ولا ظل ، ويبلغ بها اليأس مبلغه فمن ينقذ إسماعيل من العطش وقد أوشك أن يموت ، وأحس الكون بما هو فيه فالأرض تتألم والسماء تسمع صراخه وتشاركه الآلام بل تكاد تنفطر حزنًا لما يعانيه هذا الطفل الذى لا ذنب له فيما هو فيه من آلام يقول الشاعر :

كانت هنا هاجر تجرى يؤرقها
شوق الحبيب وقد ألفته ينتَهِرُ
بحثًا عن الماء هل تلقاه واهمةً
حرَّى الفوادِ وفى أنفاسها بَهَرُ
تلوى أعنّتها للبيت هائمةً
ووجهُهَا بلظى البيداء ينصهرُ
هل من صريخ لإسماعيل ينقذُهُ
مِن الأوام فهذا الطفلُ يحتَضَرُ

ضجت له الأرض والآفاقُ هالعـةٌ

وكادت السمواتُ بالأنّات تنفـطرُ

ثم يذكر الشاعر عناية الله التى لا تغفل ولا تنام ، فقد أدركت إسماعيل وتفجّرت من تحت قدميه زمزمُ وفاض ماؤها صافيًا نقيا من أى كدر فهى كالسحابة التى لا يشوبها شىء يعلق بها ، وعبر الشاعر هنا عن فرحة هاجر بتفجُّر الماء ، فقد هلّلت له ومشت نحوه عندما رأته ينسابُ ، وتحقّقت دعوة إبراهيم الخليل عندما ترك أهله بهذا المكان وقال : ﴿ ربَّنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾(١) .

فالناس من كل مكان تجمعوا فيه حول زمزم يشربون منها ، ويسقون دوابهم، وامتلأ بالحياة وعمر بالسكان وبعد ذلك قصده الناس للحج وما يزال حتى الآن مقصدًا للمسلمين جميعًا يلتقون عنده ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾(٢) من تجارة وتعارف وغير ذلك .

يقول الشاعر :

لكـن عنـاية رب العـالمين قضـت

فلتنبجِـسْ زمـزمٌ وليُـرتو البَشَـرُ

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٧

(٢) سورة الحج : الآية ٢٨

من تحت رجليه فاضتْ سَلْسلاً وهمت
كالسُّحب هطـالةً ما شـابها كـدرُ
فهلّلـت لِلّقـا تمشى على عجـل
أُمُّ الصَّبـىِّ وفيـضُ المـاء ينحـدرُ
وكـبرّت حـول بيت الله كوكبـةٌ
من الملائـك للرؤيـا التـى عَبَـرُوا
ودعـوةٌ لخليـل الله قـد صـدقت
فالنـاس مـن كلِّ فـج ثمَّ تنتشـرُ

ثم تحدث الشاعر عن بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة فهـذا الغـلام ووالـده قاما يرفعان القواعد من البيت ، وأذَّن إبراهيم الخليل فى الناس بـالحج مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾(١) .

يقول الشاعر :

هـذا الغـلامُ الذى من تحت أرجلـه
تدفّـق المـاءُ حتى أخضـل الحجـرُ
قـد قـام يرفـع للمعمور قاعـدة
مـع الخليـل بأمـر الله يأتمـرُ

---

(١) سورة الحج : الآية ٢٧

بثَّ الأذان عبـــادَ ا لله قاطبـــةً
هيَّا تعـالوا هُنَـا للحجِّ واعتمـروا

وشَبَّ عن طوقـه واشـتد سـاعده
وأورق العـود فيـه الحـبُّ والثمـرُ

ثم تحدث الشاعر عن الرؤيا التى رآها إبراهيم الخليل وأُمر فيها بذبح ابنه إسماعيل ، وما أحسه إبراهيم نحو فلـذة كبده الـذى استجاب لما سمعه ، وخضع لتنفيذ ما أمر به ربُّه فهذا قدره .

يقول الشاعر :

ثم اجتبـاه الـذى أعطـى لوالـده
رســالةً نُورهـــا الإســلامُ تنتشـر

وافى أبـاه(١) برؤيـا ولّهت كبـدًا
والقـلب منهـا مَرُوعُ الفكـر مختَـبرُ

كيف الخـلاص وفيهـا فَقْـدُ فلـذته
بذبحـه وفق وعـد ا لله ما النظـر ؟

هـذا الغـلام حليـم مُنْذَرى نبـأً
يُجيـبُ والـده ما هالـه خَطَـرُ

---

(١) الموافى هنا هو الحق الجليل سبحانه فقد أطلع إبراهيم علىالرؤيا . يقال وافى القـوم أتاهم .

مُطَمْئِنًّا لأبيه إذْ يُناوله

سكِّينةُ رَاضيًا لِبَاسُهُ الصَّبْرُ(١)

وذكر الشاعر بعد ذلك فداء إسماعيل الذى جاء من عند الله جزاء لوالده على طاعة ربه ولإسماعيل على صبره ، وصار الذبح نُسُكًا فى شريعتنا الغراء عونًا للفقراء وتقربًا إلى الله .

يقول الشاعر :

جاء الفداء بذبح جلٍّ واهبه

جزاء مَنْ صَدَّقُوا الرؤيا ومَنْ صَبَرُوا

وصار نُسُكًا به جاءت شريعتُنا

وكان عونًا لمن بالتُّرب يعْتفِرُ

ثم ختم الشاعر قصيدته بالحكمة من فريضة الحج التى شرعها الله للمسلمين ففيها وحدتُهم حينما يلتقون ويتذكرون قصة هذه الفريضة والهدف السامى منها يقول :

كم ردَّدَتْهُ على طول المدى أُمَمٌ

تناقَلَتْهُ حديثًا ظل يُدّكَرُ

هى الحقيقةُ هذا البيتُ مَعْلَمُهَا

توحيدُ ربِّك لا زيفٌ ولا غَرَرُ

---

(١) اسم جبل باليمن أو جبل لطئ . اللسان ٦ / ١١٢ ، ١١٣

هـذه الفريضـة فيهـا وحـدةٌ لكـمُ

فيهـا مناقبكُـم تسـمو وتزدَهِـرُ

وجلس الشاعر أيضًا قبل الفجر بجوار الكعبة فى أثناء أدائه لمناسك الحج أيضًا(١) ، ونظر إلى الكعبة فوجد النور ينبعث منها ، ووجد نفسه ، وقد ملأها البشر لحظة نظره إليها يقول :

إلى النـور أرنو إلى الكعبـة إلى حجر السَّعـد فى لحظـةِ

إلى قـبس الله إذْ جـاءنى ببشـر تفجّـر فى فجـأةِ

ثم راح يتذكر فجر الإسلام مع بداية دعوته فهو فى مهبط الوحى تدور أمامه الأحداث التى واكبت الدعوة الإسلامية فى بدايتها فقدجاهد المسلمون جهادًا عظيمًا وتحققت لهم دعوة إبراهيم الخليل فقامت الحياة فى هذا المكان واستقر العمران .

يقول :

تجلّت علىَّ تباشيرُ فجـرٍ

وضـيءٍ نقـىٌّ من الكُـدرةِ

دُهشتُ وكانت هنـا ذكريـاتٌ

تَجِلُّ عن الوصـف فى قصـةِ

---

(١) سنة ١٩٧٣ .

هنـــا مهبــطُ الوحــيِ يَــا روعــةً
رأيتُ ومـــا زِلْـت فـى صـــبوةِ
بكـــلٍّ الجهـــاد مضـــتْ أُمـــةٌ
فشـــقَّت ينـــابيعَ فـى الصَّخـــرةِ
حيـــاةٌ تـــدبُّ كمـــا قَـــدْ دَعـــا
أبونـــا الخليـــل وقـــد قـــامتِ

ومـا زال الشـاعر سـابحًا بفكـره مـع أحـداث الدعـوة الإسـلامية يذكـرُ الصحابة ، وهم صفوة الناس ومعهم رسول الله ﷺ فقد كان يجلس هنـا مـن أحقابٍ ، والشاعر يتمثلـه أمامـه وهـو يدعـو لربـه ونشـر دينـه ، وقـد كـافح الرسول فى قـوة لينصـره الله ، وتعلـو كلمـة الحـق ، ويذكـر الشـاعر مقاومـة الكفار للرسول حتى يرجع عن هذا الديـن ولكنـه أبـى فـى تصميـم وعـزم أن يُعرض عن دعوته .

يقول الشاعر :

هنـــالك دارت حـــوادثُ تـــترى
تقـــصُّ الحيـــاة مـــع الصفـــوة
تقـــول بـــأن الرســـول الكريـــم
هنـــا كـــان يجـــلس من حقبـــةِ
ينـــاديكَ منـــذ القـــرون الخـــوالى
إلى حصـــن ربِّـــك ذى العـــزةِ

سبحت بفكرى فكان الرســـول

أمـــامى ينــــافح فـــى قـــوة

يصـــارعه الكفـــر حتـــى يثـــوب

إلى غـــىّ هـــذا الفريـــق العتِـــىّ

ولكنـــه فـــى صمـــود يجيـــبُ

لـــدينُ الحنيفـــة مـــنْ مِلّتـــيِ

وظل الشاعر يرقبُ بفكره كل هذه الأحداث ونفسه متشـوقة إلى الجنة التى وعد الله بها عباده المؤمنين .

لقد ظلت أرقب ما قد جرى ونفســى تطـــيرُ إلى الجنـــة

الصورة الأدبية فى أحداث الذكريات الإسلامية

الصورة الأدبية هى مجموعة من الوسائل التى يتوصل بها الشاعر إلى التعبير عن مراده ، وإيصاله إلى المتلقى .

وهذه الوسائل تكمن فيما ينبع من الحواس المختلفة للإنسان عن طريق الوعى والتفكير ، والخيال والوجدان وهى تشتمل على صورة جزئية ، تقوم على التجسيم والتشخيص ، وصورة كلية تتمثل فى عناصر كثيرة منها : الموقع - الحركة - الجسم - الشكل - اللون - الطعم - الرائحة .

والشاعر الحقيقى (الدقيق الإحساس الملهم الفطرة لابد له من ذوق أرق من الألفاظ ، ذوق يستطيع الملاءمة فى الإحساس ، والتناسق فى التعبير)(١) .

واللفظ (يعبر عن الحالات الشعورية بعدة دلالات كامنة فيه هى دلالته اللغوية ، ودلالته الإيقاعية ، ودلالته التصويرية ونقص أى من هذه الدلالات الثلاث فى الشعر مؤثر فى مدى تعبيره عن التجربة الشعورية الفائقة التى يتصدى لتصويرها ، ويغض من قوة الإيحاء فى نفوس الآخرين)(٢) .

وصور الخيال ترفع من قيمة الفكرة وتعطى لذة وامتاعًا(٣) .

ولا يصح أن يسمى الشاعر الأشياء بأسمائها بل لابد أن يلجأ إلى الخيال والشعر فى حاجة إلى اللغة المجازية التى تعتمد على الألفاظ .

---

(١) مهمة الشاعر فى الحياة وشعر الجيل الحاضر لسيد قطب ص٧٥ .

(٢) النقد الأدبى أصوله ومناهجه لسيد قطب ص٧ .

(٣) أسرار البلاغة ص ١٢٦ .

والخيال هو الذى يقرب الحقيقة المرادة إلى الأذهان وهو أنواع كثيرة وبعضهم يقسمه إلى :

١ - الخيال الابتكارى :

وهو ما يعبر عن صورة مستحدثة جديدة منتزعة من تجارب الشاعر ومشاهداته الكثيرة المتنوعة وتخيلاته لها كتلك الصورة الخاصة التى صور بها عنترة الروضة حين يقول :

جـــادت عليهـــا كل عـــين ثرة
فـــتركن كل حديقـــة كالدرهـــم
وتـرى الذبـاب بهـا يغنى وحـده
هزجًـا كفعل الشـارب المـترنم
غـردا يحـك ذراعـه بذراعـه
فعل المكِبِّ على الـزناد الأجـذم

٢ - الخيال التأليفى :

وهو الذى يحكى صورة ناشئة من عدة صور أخرى كرؤية الإنسان الأشجار حين تصفر أوراقها وتتساقط وتخلو من الثمار فى الشتاء وقد كانت من قبل مورقة خضراء تزينها الأزهار فيتذكر بذلك انقضاء العمر ونهاية الشباب.

فيقول : كم أثارت هذه اللحظة فى نفسى من عبر وعظات عجبًا لتلك الأوراق المصفرة متعلقة بأغصانها وكانت منذ حين منابر الطيور الصداحة هكذا يطوى العمر وينهب الشباب(١) .

---

(١) أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب ص٢١٥ .

٣ - الخيال البيانى أو التفسيرى :

وهو ما يقوم على بيـان أسرار الجمـال عـن طريـق التشبيه والاستعارة المعروفين فى البلاغة .

وينبغى ألا يتنافى الخيال مع العقل وألا يتناقض مع الواقع كما فـى قـول أبى نواس :

يـا أمــين الله عــش أبــدا　　　دمتــم على الأيـام والزمــن

فليس فى طباع الإنسان أن يعيش أبدًا(١) .

ويشـترط أيضـاً أن يكـون الخيـال خيـالاً صحيحًـا " وإن قـوة الصـورة الشعرية تكمن فى إثارة عواطفنا واستجاباتنا إلى العاطفة الشعورية "(٢) .

وينبغى أن تكون الصورة متلائمة يقول قدامه : (أحسن التشبيه هو مـا وقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيهما حتى يدنـى بهمـا إلى حـال الاتحـاد)(٣) و(إن الشـاعر إذا اسـتطاع أن يصـور لنـا نفسـه وعواطفه يكون أخرج لنا صورة من الحياة النابضة الحساسة صـورة مميزة عـن بقية الصور يزين بها متحف الحياة الجامع)(٤) .

---

(١) نقد الشعر ص١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) الصورة الشعرية . سيسيل دى لويس ترجمة أحمد نصيب الجنابى وآخرين ص٤٤ .

(٣) نقد الشعر ص٥٥ .

(٤) مهمة الشاعر ص١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ .

وإذا رجعنا إلى حديث شاعرنا عن أحداث الذكريات الإسلامية فإننا نجد الصورة الأدبية واضحة المعالم بارزة القسمات وإذا طبقنا عليها أسس النقد الحديث فإننا نكشف عن أجزائها وارتباط الصور الجزئية فيها بالصور الكلية للموضوع الذى يتحدث فيه وتبدو معبرة عن مراده بوضوح غير خارجة عن حد المألوف مع العاطفة الجياشة والتجربة الصادقة ، ففى حديثه عن الإسراء والمعراج سمح لفكره أن يسبح فى عالم من التهيؤ لملاقاة هذا الحدث الذى حرك وجدانه فتصور أن الدنيا بأسرها تنبهت له ، وسرت سرورًا عظيمًا ، وأن الوجود كله لم يغفل لحظة عن هذا الحدث الجليل ، وإنما تحرك له وأحس بأثره ، وما سيحل بالعالم من تغيير فتزول ممالك الظلم والفساد ، وهوان الحياة ، وانحطاطها ، إلى اتجاه تستقيم فيه على الجادة وينمحى فيه الشر ، وعدوان القوى على الضعيف ، ويعود الإنسان إلى كرامته، وما ميزه الله به من عقل وتفكير ، وقد تصور الشاعر أن شرف هذا الحادث واسع وكبير وأنه شيء محسوس قد وضع فى وعاء العالم الواسع ، وهو يعطى تصورًا لشيء ضخم مجسد وهو معنى من المعانى نقله إلى عالم المحسوس ، ثم تصور الزمن بصورة كائن حى ينام ، ويسهر وأنه لم يقع فى بحر النوم العميق ، وكأن هناك بحرًا للنوم يغرق فيه الزمن أحيانًا كما يغرق الناس ، لكن الزمان واقف على قدميه متأهب مفتوح العينين ينظر ماذا سيحدث ويعد العدة ويقيم الاحتفال لهذه اللحظات ، وهكذا تتحرك الجمادات والأوقات مع أنها لا حركة لها بوجود روح فيها تمشى بهامشى الأحياء ، ووصف الممالك التى ستزول بأنها تستذل وهذا تعبير عن طمس معالم العهود الظالمة بما ستتمخض عنه رسالة الإسلام نتيجة هذا الحدث ، وما

تأتى به من مبادىء وقيم تزيل الظلم ، والهوان ، والاستبداد، وجعل الحياة تعزّ بعد ذلتها ،وكأنها تتعرض للإهانة بوضعها الراهن ، وينهب خيراتها الأقوياء ولا مجال فيها للضعفاء فزروعها ومياهها تصبح من حق الجميع ، وهكذا تبدو الحياة حية نابضة بالحركة وبزرعها ومائها وهكذا نجد صورة الممالك الزائلة وصورة الحياة فى حالين حال الذلة وحال العزة بهذا القدوم الذى ينشأ عن تلك الرحلة الإلهية العظيمة الإسراء والمعراج .

وتساءل الشاعر بقوله (أنّى يصير سَعْدٌ شقاء) على سبيل الاستفهام التعجبى الذى يعبر عن حال الناس قبل هذا الحادث وأنهم فى شقاء ينبغى أن يعود إلى سعادة وهناء .

وأشار إلى رسالة الرسول الكريم وأنها نور يبدد ظلام الشرك وأن الشريعة الإسلامية جاءت على يديه تحطم كل معالم الظلم وصوّر دعوة الإسلام بأنها شىء يستوعب كل المبادىء والقيم .

وفى إشارته إلى المعادين لها وعملهم للقضاء عليها يصور عملهم بالسهام التىتوجه لقتل النافع المفيد وأن هذه القوى الغاشمة بمثابة من يريدون إطفاء النور وهذا مستمد من التعبير القرآنى ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ﴾(١) .

وقد جعل إمامة النبى الكريم فى هيئة من يحمل لواء ويتقدم به الصفوف وهو تجسيد للمعنوى .

---

(١) سورة الصف : الآية ٨

وحينما بدأ فى عرض خطوات الرحلة تحدث عن ليلتها ووصف الليل بالبهاء ، وأن نور الهدى كان يتلألأ فى جنباته وهو نقل للصورة القاتمة من الظلام إلى بهجة الهداية وجمالها .

وفى خياله الذى صوّر به قيام الرسول فى تلك الليلة مصليًا حتى الفجر وأنه قضى الليل فى الصلاة بأن هذا التهجد بطوله كان يقظة للصبح النائم ، وللمساء الذاهب ، وهكذا خلع الحياة على الصباح والمساء ، فلهما يقظة ولهما هجوع وجعل النبى ﷺ حين انتقل إلى الكعبة مع جبريل يزداد جلاء وكأنه يحتاج إلى زيادة نقاء فشق صدره الشريف ليودع فيه سر الصفاء ، وتخفى كلمة السر وراءها ما يعجز الإنسان عن تفسيره من إعداد للقاء الرب الجليل . وحينما صوّر ركوبه البراق تخيل الحجب والأستار الكثيرة فى المسافة بين مكة وبيت المقدس وأنه كان يخترق هذه الحجب وكأنها صفحات تطوى بعضها إثر الأخرى إذ يقول :

قد ركبت البراق تخترق الحُجْـ

ـبَ وتطوى به هناك الفضاءَ

وكأنه مأخوذ من قول الحق تبارك ويقال :

﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ﴾(١) .

وفى تعبيره عمن رآه من الناس وجزائهم بحسب أعمالهم كالمجاهدين ومانعى الزكاة والزناة والمتثاقلين عن الصلاة عبر عن مضمون بعض

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٠٤

التى وردت فى ذلك ، وخلع عليها لونًا من خياله الشعرى فأناس رآهم يحصدون نعيمًا - مع أن الوارد فى الحديث أنهم يزرعون ويحصدون وكلما حصدوا عاد كما كان - فجعل ذلك نعيمًا لهذا الفريق من الناس بحسب ما يرمى إليه من رمز ، ودلالة كما جعل ناسًا تسيل فروجهم وكأنها تحمل الجريمة فى هذا المظهر القبيح ، وأتبع ذلك بما ورد فى الحديث من أكل اللحم نيًّا خبيثًا ، وترك النضيج الطيب منه ، وهذا تعبير عمن يترك الحلال من الزواج لاحقًا إلى غير ما شرع الله وأعطى صورة تشمئزّ منها النفوس وكأنها مشاهدة مرئية .

وعندما تحدث عن (قوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت) أعطى صورة خيالية بأن هذه الحجارة قد جاءت من جهنم وأنها تمزق رؤوسهم وكأنها أشلاء مبعثرة .

ونقل صورة القوم الذين رآهم فى السموات بعضهم بيض الوجوه وبعضهم فى ألوانهم شىء فدخلوا نهرًا فاغتسلوا فخلصت ألوانهم تعبيرًا عمن خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فصور فريقين فريقًا تبيض وجوههم وفريقًا تسودُّ منهم الوجوه لمن عمل صالحًا ومن عمل طالحًا وجعل رسالة الرسول الكريم هى التى تطهِّر سود الوجوه سواء كانوا عصاة أو مشركين فرسالته تغسل الأرواح وتزيل الذنوب وكأن الرسالة ماءٌ طهورٌ والشرك والعصيان نجاسة بارزة للعيان ، وهذا يعطى صورة جمال الإسلام ومبادئه وقبح الشرك وما ينطوى عليه .

وعبر عن صلاته فى القدس بأنها تفوح كما تفوح الرياض بشذاها العاطر ، وأشار إلى ما جاء فى القرآن الكريم من مضمون شريعة الإسلام وأنها شرع الأنبياء جميعًا ، وأن الرسول جاء ليحمل العبء عن هؤلاء الرسل بعزمه ، ومضائه ، وهذه كنايات عما جاء به من رسالة خاتمة للرسالات وكأن العبء شيء يحمل بهذا المظهر الحسى الذى يوضح عظم الأمانة التى يحملها الرسل .

ولما جاء إلى تصوير المعراج تصور أن الرسول سبق الزمان بصعوده إلى السموات السبع ، وكأن الزمان قد توقف حتى يصعد فى هذا الوقت الوجيز؛ إذ يحتاج الأمر إلى ملايين السنين فكأنه أشير إلى الزمان أن يقف حتى لا يحتسب وقت ما ، وأنه ركب النجوم فهى سُلّمه للصعود ، وهذا من خيال الشاعر تعبيرًا عن تلك السرعة الهائلة التى وصل بها فى الوقت القصير من الليل ، والوارد فى الحديث أنه قد وُضع له معراج صعد عليه لكن الخيال جعل الشاعر يتمثل أن الكواكب قد نزلت إليه وتُسلمه واحدةٌ إلى الأخرى ، وهكذا تسلمه السموات واحدة إلى الأخرى ، وكأن لها حركة ، وإدراكًا ، وترحيبًا ، وهذا يعطى الكون الصامت حياة الأحياء ، ويرسم فى مخيلة القارىء والسامع صورة هذا العروج الهائل واحتفاء أهل السموات به .

ثم نقل ما ورد فى الأحاديث من ترحيب الأنبياء بمحمد عليه الصلاة والسلام وصاغ فى هذا أحاديث وآيات قرآنية كقول جبريل حينما وصل إلى السماء السابعة لنبينا عليه السلام (تقدّم فهذا مقامى أنت لو تقدمت اخترقت وأنا إذا تقدمت احترقت) .

ونظم آية قرآنية من سورة النجم ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾[١] معتقدًا أن الذى دنا هو الله لا جبريل كما يذهب بعض المفسرين والنص ملىء بالاقتباسات بل هو مستمد من الأحاديث التى وردت فى الإسراء والمعراج .

وفى قصيدة (خير الشهور) جعل الشهر الكريم إنسانًا وتخيل أنه يمد كفه للناس مقدمًا إليهم الهداية والاستقامة هذه الأمور المعنوية لتى صورها بالمحسوسات ، ثم إن الروح تتطهر فى هذا الشهر فالشهر نهرٌ والروح تسبح فيه يقول :

وبساحكم سبح الندى　　　بالروح فى الصفو النمير

ثم إن الصائم فى ليل رمضان تعتريه إلهامات وإشراقات فتحرك وجدانه كما تحرك الريح الأغصان الناضرة وجعل الشاعر الصّرير وهو صوت القلم مُعبرًا عن صوت الإنسان .

وصور الشاعر الصومَ صاعدًا بالنفوس الساعية إليه رغبة فى الوصول إلى الملأ الأعلى بصورة من يصعد ويتحرك على الحقيقة مع أنه فى بيته لا يتحرك .

وجعل الشاعر القرآن سلاحًا يحمى به المسلم نفسه قال :

(سلاحها الذكر المنير) .

وجعل للشريعة حصونًا يلجأ إليها من يريد العزة كما يلجأ الأسد إلى عرينه وأن الشريعة بلسم يشفى النفوس المريضة .

---

(١) الآية ٨

وفى قصيدته عن استقبال رمضان يذكر أن رمضان فى تكرره كحديث للأجيال يذكرها بربها ، وخالقها وأن به متعة ونفعًا ، فهو يلبس البهاء وترف وروده .

ثم وصف القرآن الكريم بأنه كالفجر ، وكالزرع الناضر فى جماله ، وبهائه ، وهذا يعنى أنه مرشد للناس وأن مبادئه هى التى تحيى الوجود ، وجعل الصوم ماءً يطهرٌ ، ومعلمًا يربى ويكوّنُ الرجال ، يقول :

فالصوم طهرٌ للضمير ووازعٌ ربّى لمجد المؤمنين رجالاَ

ثم وصف العصر بأنه عصر سباق تحقق فيه المستحيل وكأن الزمن إنسان يكرّ ويفر ، وهذا يقتضى المحافظة على الإسلام وشعائره حتى ينتشر فوق هذه الأرض .

وفى حديثه عن (عيد الفطر) وصف ما فيه من فرح وسرور بالغناء ، وأن العيد يغنى وأنه مبتهج مشرق الوجه نشر نوره على الكون .

وجعل الحقد فيه يختفى كأنه جذوة من نار قد خبت(١) وجعل صلاة التراويح ترقق الشعور ، وتكسو أصحابها بالضياء وأنهم يسكنون فى داخلها تعبيرًا عن راحتهم وسكونهم إليها ، وفى شهر الصيام تجنى الروحُ الثمرات وترتوى بالود والمحبة ، وصلة الأرحام وكأنها زروع وماء وهو تصوير للمعقول بالمحسوس .

---

(١) انظر : مطلع القصيدة .

وجعل العيد فواحَ العبير مبتسم الثغر يظلل الناس بما فيه من ابتهاج ، وفرحة بعد شهر الصوم كأنها شجر يظلل ، وكأن ما يصل إليه الناس من الأمانى طير تغنى وتغرد ، والروح لها وزن فى الإسلام .

والعيد يمثل دعوة إلى الوحدة التى تؤدى إلى القوة كالأسود التى يحمى بعضها بعضًا .

وأوضح أن الصائمين بالعيد قد جنوا ثمار عملهم كالزرع الذى يحين حصاده .

ودعا الشاعر إلى عمل الخير فهذا يؤدى إلى أن نرتقى ونترك الظلم الذى يشبه الظلام ، وذلك بالتعرف على مبادىء الإسلام بيسر وسهولة ، والبعد عن التعصب .

وجعل العيد سعدًا ويسارًا ، ومنة من ا لله .

وفى الحديث عن (غزوة بدر الكبرى) بين أن العالم كان فى ضلال وانتقل إلى الهداية فكأنه كان فى الحضيض ، وانتقل إلى العلياء وكان تائها فأرشدته منارة الإسلام .

وحكى عن الظلم الذى كان قبل الإسلام وأن أناسًا تحملوه كما يذاق الشراب المرّ الذى يترك غصة فى الحلق وأن الطريق قد وضح ، وأشرق الحق ، وخرج المظلومون إلى العدل وتحطمت القيود ، وجعل الموت كأسًا مثل كأس الخمر يقبل المسلمون على شربها تعبيرًا عن إقدامهم على الموت بحبّ ، وشغف ، وأن السماء فى هذا اليوم كانت كالصواعق التى تنزل على المشركين تعبيرًا عن مساندة الحق للمؤمنين .

وصوّر الأوهام التى عِلقت فى أذهان المشركين وحلمهم فى التغلب على المسلمين بأنها سرابُ مخدوع ، وبين أن النيل من الإسلام غير ممكن كالحلم الذى يراه النائم فى المنام ، فهو وهم خادع ، وأن المسلمين لهم من الجرأة ما يشبه جرأة الأسود حين تدافع عن عرينها ، وأن رماحهم يسيل منها الموت على الأعداء .

وجعل الحرب تُشمر عن ساقها كما هومعروف فى العبارات القديمة ، وأن الكفار يريدون أن تغيب شمس الإسلام ، ثم نظم آيات من سورة الأنفال عن المدد من الملائكة وغير ذلك .

وجعل قتلى المشركين فى شقاء ، وأن جروحهم لا تلتئم كالأحياء تعبيراً عن نهايتهم الأليمة وجزائهم الذى ينتظرهم بالعذاب والهلاك المستمر يقول :

وثوى بأعماق القَليب قتيلُهم

يشقى وجرح أساه لا يلتام

ثم عرض لبعض الانتصارات فى شهر رمضان وقال عن انتصار أكتوبر (رمضان) إن خط (بارليف) سقط بالأعداء وإن أحلامهم سقطت أيضًا تعبيراً عن هزيمتهم ، وتحدث عن الفرحة الغامرة بأن الدنْيا قد امتلأت بالحياة الحرة الكريمة .

وقد استعرضت فى هذا التحليل قصيدتين فى مناسبة الحج الأولى بعنوان (الحج والتاريخ) والأخرى (فى جوار بيت الله الكعبة) وهما ناشئتان

عن تجربتين حقيقيتين عاشهما الشاعر بحجه مرتين فى عامين مختلفين بينهما فاصل زمنى كبير .

ومع الشعور الدينى الفياض الذى يعترى حجاج بيت الله الحرام الذين يؤدون مناسكه ، ويستمتعون بهذا الشعور الدينى العظيم ، ويغمرون بفيوض الرحمن فى هذه الأماكن المقدسة حيث يتجلى الله عليهم بأنواره وأسراره ويحفهم بمغفرته ورضوانه ، ينساب الشعور ويلتهب الوجدان فى عاطفة لا تعرف الحدود ، أو القيود وسط هذا الجمع الزاخر من الناس ، والتجلى الإلهى الذى يملك على الإنسان لبّه فى هذا المقام ، بدأ الشاعر بإحساسه المتدفق بالحديث عن السعى بين الصفا والمروة ، وانطلق منها ليتحدث عن الحج وذكرياته ، وقد تصور السعى وهو منبثق وكأنه ماء متفجر يجرى هنا وهناك وما ذلك إلاعلى سبيل التجلى الذى ترتسم لوحته فى وجوه هؤلاء المؤدين لشعيرة السعى متمثلة فى هذه الجموع التى تسعى بين الصفا والمروة وفى اللوحة تبدو جموع الحجاج كأنها أمواج بحر تتحرك ، ويدفع بعضها بعضًا بين شطى البحر المائج فى ساحة السعى وهى تعلو وتهبط ، وتقل وتكثر وتزدحم وتنفرج صورة لا يحس بها إلا صاحب الشعور ، والمشاهد لها وهى تبدو فى مطلع القصيدة بحركتها وازدحام المنظر فيها ونزول التجلى الإلهى ورؤيته مجسدًا يقضى على الذنوب البارزة التى تتساقط هنا وهناك ، وهى نقل حى ملىء بالحركة والنشاط ومرسوم بريشة الشاعر وتجسيده لهذا المظهر الرائع .

ثم استعرض التاريخ ، ورسم صورة منتزعة من شعور الحجاج ، وإحساسهم ، وما يتراءى أمام عيونهم ويمر على صفحات وجوههم ، وهم

يتدافعون فى السعى وكأن هواء عليلاً هب من ماضى العصور يذكر هؤلاء المهرولين الذين يشتد انفعالهم ، وشوقهم ، بخليل الله إبراهيم وزوجه هاجر ، وابنهما إسماعيل ، وبصورة البحث عن الماء .

والقطعة التالية للمطلع ترسم الحركة والشعور عند السيدة هاجر ، والعطف ، والانفعال ، والجهد من أجل إنقاذ ولدها كيف لا والسماء بمن فيها ، وما فيها والأرض ومن عليها فى خيال الشاعر كلها تتحرك وتنفعل لهذا الطفل العطشان ، ويرسم الشاعر لونًا قاتمًا للجو النفسى المسيطر على الساحة إبان البحث عن الماء ، وعن وسائل الحصول عليه ، ثم تشرق الصورة ، وينفرج الكرب ، وتأتى الملائكة وينفجر الماء ، وما بعد الضيق إلا الفرج ، والشاعر يعرض ذلك كله بوجهين وحالتين نفسيتين يرى منهما القارئُ ما يحرك وجدانه ويقلقه أول الأمر ثم يؤدى به إلى الهدوء والطمأنينة .

ويشير الشاعر إلى دعوة الخليل بإعمار هذه المنطقة القاحلة كما يحكى القرآن الكريم﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ﴾(١) .

ويسترجع ماضى التاريخ حين أمر المولى سبحانه الخليل إبراهيم عليه السلام بقوله : (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)(٢) ويقتبس هذا المعنى فى قوله :

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٧

(٢) سورة الحج : الآية ٢٧

ودعــوة لخليــل ا لله قــد صــدقت

فالنـــاس من كل فــج ثَمَّ تنتشـــرُ

واسترجع ماضى التاريخ حين كبر إسماعيل واشترك مـع والـده فـى بنـاء البيت .

هنا يتخيل الشاعر إسماعيل منذ طفولته حتى كبره فالماء تدفق مـن زمـزم حتى ترعرعت الحياة فى هذا المكان وشب الطفل عن الطوق بمعنى أنه بلغ سن الرشد بعد أن كان صغيرًا واشتد ساعده كأنه العود الذى نما وظهر فيه الحـب والثمر وهى كلها صور تعطى نضـارة الحيـاة وحسـن الشباب وتدفقـه وقوتـه وعنفوانه ، ثم ما يلبث أن تأتى كارثة الذبح ويصور الشاعر مدى الهلـع الـذى اعترى نبى ا لله إبراهيم وكأنه سقط فى خندق يحيط بـه ويكتـم أنفاسـه حتـى بلغ به الفزع ما بلغ واستبدت بـه المخـاوف تنهـش إحساسـه وتلفـه بآلامهـا المفزعة وقد بلغ به الألم ما بلغ وكأن سكينًا تمزّق جسمه قطعة قطعـة وصـورة إبراهيم عليه السلام ترتسم جياشة بالألم فياضة بسوء الحالة النفسية فى صـورة حسية ، فمن خندق وقع فيه إلى آلام كالأسود تنهشه إلى وخز يعتصـر فـؤاده كالسكين التى تنغمس فى الأحشاء فتسيل الدماء ، وتأتى بالعناء وتمنـى معهـا أن تصعد روحه إلى بارئها وهناك فى الجانب الآخر يبدو الابن هـادىء الطبـع مستجيبًا لأمر ا لله وفى اللوحة يظهر الابن واضعًا عنقــه وجبهتـه علـى الأرض وفى يد أبيه السكين تقع منه فيناوله إياها فى هدوء وحلم وأناة وصبر ، وكأنه الجبل الراسخ ، وقد خلع الشاعر على الدنيا صورة تحس فيها بالحادث الفظيـع كـأن الـروح قـد دبـت فـى جنباتهـا ، ورفعـت صـوت حناجرهـا بـالدعوات

وهددت أن تبيد ، أو ينفجر هذا الكون أسى لما سوف يحدث ، وتصوير الدنيا واقفة تدعو والقمر والشمس تهددان بالهبوط على الأرض كأنما الوقت وقت الساعة أو نهاية العالم ، وكأن الشاعر يستوحى هذا المعنى من مظهر الأهوال يوم القيامة، وتشقق السماء ، ونهاية العالم بهذا اليوم الفظيع كما قال تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾(١) وكما قال سبحانه ﴿ السماء منفطر به ﴾(٢) .

فالصورة قاتمة اللون تلونها الدماء التى تكاد تسيل من نبى يذبح .

وإذا بالصورة تتحول مرة أخرى إلى الهدوء والسكينة والفرح ، والطمأنينة ، بنزول الفداء ، كما قال تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾(٣) .

ويقتبس الشاعر بعض الآيات القرآنية فى قوله :

حـاء الفـداء بذبـح حـلٍّ واهبـه

جزاء مَنْ صدّقوا الرؤيا ومَنْ صبروا

وهذا تعبير مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾(٤) .

وكما فى قوله سبحانه - عن الحوار بين إبراهيم وإسماعيل - :

---

(١) سورة الرحمن . الآية ٣٧

(٢) سورة المزمل . الآية ١٨

(٣) سورة الصافات . الآية ١٠٧

(٤) سورة الصافات : الآيتان ١٠٤ ، ١٠٥

﴿ فلما بلغ معه السعى قال يا بنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾(١).

وفى ختام هذه القصيدة يجعل الشاعر هذا التاريخ نسيجًا خيوطه تمتد من عهد إسماعيل حين نزل مع أمه بطن مكة ويمتد على مر العصور ويستمر حتى الآن ، وبعد الآن نسيجًا تظهر فيه قدرة الله ، وهو يحفظ بهذا البيت الذى يعد معلمًا للتوحيد يأتى إليه كل من يريد أن يستجلى صور البطولة والتضحية والفداء ، ويرمز إلى أصل هذه الفريضة التى تنمو فيها الفضائل وتترعرع فيها المكارم .

وفى القصيدة الثانية (فى جوار بيت الله الكعبة) تجربة شعورية فياضة دافقة تخلع على الزمان والمكان البهاء والنور فالشاعر جالس فى حضن الكعبة قبل الفجر وإبان إشراقه وهو يتطلع إلى الكعبة ، وإلى الحجر الأسود ، ويرى صدور الأنوار من الحجر والفجر معًا بما كسا الشاعر بحالة شعورية من نوع غير معهود فى هذا المكان الذى كان مهبط الوحى ، وقد تسمرت عيناه بالنظر إلى الحجر مستعرضًا خواطره ومارا فى ذهنه شريط الذكريات ، والصورة تعطى ملامح حالة شعورية فريدة ينفصل فيها الشاعر عن عالمه الأرضى ويصعد إلى عالم علوى قد يبدو عاديا أمام الناس لكن من يقرأ تلك الصورة الشعرية يجدها متدفقة بالانفعال والطهر والصفاء والنقلة الشعورية إلى هذا الرحاب الأعلى حين يقول :

إلى النـور أرنو إلى الكعبـة إلى حجر السـعد فى لحظـةٍ

(١) سورة الصافات . الآية ١٠٢

وهو يـرى غـير مـاتراه العيـون ويتتـابع الشـوق ويـزداد الوجـد وتنفعـل المشاعر وتتدفق .

هنا مهبــط الوحـى يا روعـةً　　　رأيتُ ومـا زلـتُ فى صـبوةِ

وترق الألفاظ وتعذب من هذا الفيض ، ويستعرض الشاعر وهو جالس فى هذا المقام الطاهر صورة هذا المكان قبل قرون حين كان قفـراً لا حيـاة فيـه ثم أصبح عامرًا تدب فيه الحياة وتتقدم ، وتغنى وتقنى ، ويتذكر دعــاء الخليـل الذى ذكرناه من قبل، ثم تتتابع على فكره صور أخرى ويرى الرسول ينادى، ويزيد الشعور والتأثير فالمكان نفسه بجماله الفتان وطهره وبركاته بمثابة المحـرك الذى يؤثر فى القلب بكثرة الخفقان ويصف المكان بالإشراق وكأنه كوكب منير.

شـــهدت مكانًــا له مشرقًــا　　　يهـــز الجـــوانح بالخفقـــةِ

وتتوالى المشاعر كأنها بحر يسبح فيه الشاعر بفكره وتنقل ذاكرته صورة كفاح الرسول لنشر الدعوة الإسلامية فـى مجتمـع يسوسـه معـارضون جبابرة واللوحة تضم صورة نبـى الإسـلام الداعـى إلى ا لله علـى بصـيرة وهـو يعـرض دعوته ، ويجد صدًّا ومجابهة ذات رعونة وجفوة ، وظلم وجبروت ، تصد عـن دين ا لله وتطلب منعه من التأثير فيمن حوله ، وهو لا ييأس ولا يقنط ويسـتمر فى دعوته لأنه على الحق ثم يختم الشاعر قصيدته بأن يتصـور مـا هـو فيـه مـن ذكريات حقيقة واقعة أمام عينيه يتمثل فيها كل ما يتمنـى مـن خـير وكـل مـا بذل من جهد ونتيجة طاعة الطائعين بالثواب الجزيل فى الجنة وكل هذا أمـلاه عليه شعوره وخياله الذى سبح فى مجـال فسيح إلى عـوالم أخرى نقلهـا نقلـة شعورية تتدفق فى سلاسة ويسر وبهاء وجلال وجمال .

ثانيًا : الأحداث الإسلامية الناشئة عن الأحوال السياسية والوطنية

ويتضمن ذلك بعض قصائده عن فلسطين ، وأطفال الحجارة وعودة طابا ، والبوسنة والهرسك ، وأفغانستان الجريحة ، والشيشان والوحدة العربية.

وسوف نجتزئ منها بما يرتبط بالجوانب الإسلامية ، ففى قصيدته (فلسطين السليبة) أوضح الشاعر فى أثناء حديثه عن هذه القضية مبادىء الإسلام التى تنادى بالسلم لكل الناس إذا كان لديهم الرغبة فى ذلك فالقرآن دستورُ المسلمين به آيات كثيرة تتحدث عن السلام وتنادى به كقوله تعالى : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكّل على الله إنه هو السميع العليم ﴾(١) فعقيدتنا شعارها السلام ، وتحيتنا مبدوءة بالسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) والأمان سمة خاصة بدين الإسلام فنحن لا نبدأ بالعدوان إلا أن يعتدى علينا فيكون من واجبنا الدفاع عن أنفسنا ضد أى عدوان قال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾(٢) وللإسلام مبادىء سرنا عليها وتمسكنا بها لا نحيد عنها .

يقول الشاعر :

نمــدُّ يــدًا لكل النــاس سلمًــا

إذا جنحــوا للقيــاهُ يقينَــا

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦١

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٤

فـآىُ السِّـلم فى القـرآن تـتْـرى

تُبَشِّـــر بالســـلام الخائفينَـــا

تُهـــدِّىء من يُـرَوَّعُ كـلَّ يــوم

من العــدوان تحـمى المؤمنينَـــا

عقيـــدتُنَا تحيَّتُنَـــا ســـــلامٌ

وديدنُنَـــا الأمـــانُ لمـن يلينَـــا

دفـاعُ النَّفـس حـقٌّ إن توالـــتْ

عليهـــا عاديـــاتُ الجـائر ينَـا

فـــلا عـــدوانَ إلا إن تعـــدى

علينَـــا من يَخُـون العهـــد فينَـــا

وتلك مبـــادىءُ العـــدل اسـتقرت

شـــعائر إن أردنـــا أن نَدينَـــا

وأخيرًا أوضح الشاعر أن السلام منّا ليس عن ضعف فإذا قوبل السـلام منا بالسلام من أعدائنا فلا بأس وإلا فالدفاع عن النفس شرعة الإسـلام يقـول الشاعر :

فإن فاءوا إلى السـلم استجبنا وإلا فالمهنـــد مصلتينـــا

وفى قصيدة للشاعر بعنوان (عودة طابا) تحدث عن رسالة الأنبيـاء، وحمايتهم للحق ، ودفاعهم عنه ، فجميع الرسل كانت مهمتهم الأولى الدفـاع

عن الحق لأنهم وجدوه ضائعًا فأرسوا التعاليم والمبادىء التى تعطى كلَّ ذى حقٍّ حقه وتمنع اعتداء أى فرد على حقوق الآخرين وبعد أن أوضح شاعرنا أن هذا كان شعار جميع الرسل تحدث عن نبينا محمد الذى حمل لواء الأنبياء قبله مكملاً ما أرسوه من الهداية للناس جميعًا ، فقد دافع عن المبادىء والفضائل ونتيجة لذلك تراجعَ الظلم وأفل نجمُه ليظهر الحق واضحًا منتصرًا يؤيده جميع الناس .

والرسول الكريم رائد هذه الأمة غرس مبادئها التى أقبل عليها الناس ينهلون منها ، وهذه المبادىء توجههم وتهديهم إلى الطريق القويم ، وقد أرسى ﷺ قواعد العدل الذى هو شعار هذه الأمة وأقامه شامخًا عاليًا تتجه إليه الأبصار والأفئدة .

يقول الشاعر فى قصيدته :

لابدَّ للحق القويم من الظُّبَا
تحميه أو يضحى سرابًا خامدًا
أرأيت كلَّ الرُّسْل كيف تدافَعُوا
يحمونه لَمَّا رأوه مكابدًا
ونبينا حمل الهداية للورى
ومضى بأنوار الفضيلة ذائدًا
فتراجع الطغيان أحفل جمعه
والعدل للمظلوم أقبل رائدًا

كم كانَ بالإســلام مُنقــذَ عــالِمٍ

غــرس المكــارم للأنــامِ موائــدًا

ســهرت مبــادئُه توجِّــهُ أمْنَهــا

للنــاس تهـديهم طريقًــا راشــدًا

الله يكلـــؤه ويرعـــى نـــورَه

ويُقيـــم منـــه مآذنًـــا ومعـــابدًا

وفى قصيدته (أفغانستان الجريح) يدعو الشاعر لإنقاذ هذا البلد المسلم الذى حاول الروسُ هدم الإسلام فيه بالعدوان عليه واحتلاله ، ويدعو إلى الجهاد لإنقاذه ، فالجهاد مبدأ من مبادىء الإسلام يُدفَع به الظلم عن النفس والدين والوطن ، ويبين الشاعر أن هذا المعتدى لا دينَ له وأنه أنزل بهذا البلد المسلم شتى الويلات محاولاً طمس معالم الإسلام فيه بالقضاء على الفضائل ونشر الرذائل .

يقول الشاعر :

تداعى الغــاصبون لســلب أرضــى

فغانســـتانَ وهـــى لـــه مُقـــامُ

فبالإســـلام قـــامتْ واســتقرتْ

وبالإســـلام عـــاشت لا تُضـــامُ

وهـــذا الـــدين منهجـــه جهـــادٌ

يـدكّ الظُّـــلْمَ وهْـوَ لـــه حِمـــامُ

وإن الــــروس مُــذْ بــدأوا حيــاةً

لصــوصٌ للعقيــــدة بـل طَغــامُ

لقــد نهبــوا من الإســلام قطــرًا

عزيــزًا شُــرِّدتْ فيــه الكــرامُ

أولئــك عُــدَّةُ الإســلام يقضــى

عليهــا عصبــةُ البغْــى اللئــامُ

يدوســـون الفضـــائل بالرزايـــا

ويمحــو النــورَ فى يدهــم ظــلامُ

وفى قصيدة الشاعر عن (البوسنة والهرسك) دَعَا فى بداية النص باسم الإسلام أن يهب المسلمون لنجدة إخوانهم ممن اعتُدى عليهم وضاعت حقوقهم بسبب الظلم الذى يتعرضون له .

ألا هبوا بيأسكم الـدءوبِ		وبالإســلام قومــوا للوثوبِ

أقيلوا الحــقَّ عثْرات الليــالى		فقد أودى به ظُلْم الشــعوبِ

وينعى الشاعر على الأُخُوَّة التى غربتْ شمسها حين أحجم المسلمون عن أزر بعضهم بعضًا ، وإيثارهم الفرقة التى تسبب الضعف والوهن .

يقول الشاعر :

أفى الحق الأُخوةُ قـد توارتْ		ومالتْ شمسها نحو الغــروبِ

بمشرقنـــا ومغربنـــا ترانـــا		بعيــدًا عن مــؤازرة الحبيــبِ

تفرّقْنــا فأصبحنَــا ضِعافًــا		وخـار العزم فى وهن عَجيبِ

ويبين الشاعر أن الرسول ﷺ القدوة الحسنة للمسلمين جميعًا كان لا يتوانى عن مساعدة الضعيف سواء كان قريبًا أم بعيدًا ، وكان المسلمون فى القديم متيقظين يصونون الحق ويحافظون عليه فنعِم العالم الإسلامى وأصبح الأمان والملاذ والملجأ لكل الناس يقول :

رسولُ الله كان يمدُّ عونًا   لمن شطَّ المزارُ أو القريبِ
وكنّا فى عيون الدّهر يقظى   نصون الحقَّ بالرأى المصيب
أقمنا الأمن روضًا مستزادًا   لكل النّاس بالعدل الرحيبِ

ويتعجب الشاعر من قطع الرحم بين المسلمين مع أن الإسلام يوصينا بصلة الرحم ، وواجب المسلمين الحرص على ذلك ، وعدم التوانى عن تحقيق هذه الصلة ، والإنسان إذا لم يلتزم بما أوصاه به دينه استحق غضب الله تعالى عليه يقول الشاعر :

أفى الإسلام يقطع كلُّ عرق
من الأرحام فى اليوم العصيبِ
أتعرف أن دينك منك ينأى
إذا خنت الأمانة بالنكوبِ

وللشاعر قصيدة بعنوان (طلائع النور) عن المقاومة الشيشانية للعدوان الروسى(١) .

---

(١) شيشينا تقع على السفوح الشمالية لجبال القوقاز التى يصل ارتفاعها إلى ٤٤٩٣ مترًا وهى مكسوة بالغابات الكثيفة التى يقطعها عدد من الأنهار الصغيرة العميقة -

بدأ الشاعر قصيدته بالحديث عن هذا البلد المسلم الذى عاش على دين الإسلام ومبادئه لم ينغمس فى المعاصى والخروج عن الدين .

يقول الشاعر :

هــذى بــلادٌ بأمــن الله آمنـــة
ودينهـــا المرتجـــى نـــورٌ وعرفـــانُ
بكفِّهـــا تغـــرس المعـــروف تنبتُـــهُ
يظـلِّل النـــاس دَوْحٌ وهـــو فَينـــانُ
عاشتْ على الخير ما زلّت بها قـدم
لم يغرهـــا باطِلٌ أعْمـــى وعصيـــانُ

- التى تنبع من الجبال ويسكن شعب الشيشان فى مزارع منعزلة أو قرى يبلغ عـدد بيوت القرية الواحدة منها مئات البيـوت ، ولا يزيـد شعب الشيشـان على المليـون ونصف المليون ، وقد ظل شعب الشيشان بلا دين حتى القرن السابع عشر ثم انتقل إليه الدين الإسلامى من الشعوب المجاورة كالداغستان وبخارى والقرم وهـم يتبعـون المذهب الحنفى وتنتشر بينهم الطرق الصوفية وخصوصًـا القادريـة والنقشـبندية وقـد زحفت القيصرية الروسية على بلدان التركستان والقوقاز لاحتلالهما فى نهاية القـرن الثامن عشر وظل شعب الشيشان صامدًا مـدة خمسـة وثلاثـين عامًـا فـى مواجهتهـا بقيادة إمامه الشيخ محمد شامل الداغستانى ، وظل جهاد شعب الشيشـان مستمرًا من عام ١٩٢٠ - ١٩٢٢م وتعرض لكوارث وهجرات وتشريد ولكنه ظـل صـامدًا ثم تجددت الحملة العسكرية الروسية على الشيشان فى أواخر عام ١٩٩٤م واسـتمر كفاح الشيشان ضد أعداء الله والوطن .

وحولها فتنةٌ ضجت بمزدَحم

وفى مآتمها قد ماجَ طوفانُ

ويتحدث الشاعر عن الروس واعتدائهم على المساجد وهدمها دون مراعاة لشعور المسلمين يقول :

تبكى مآذنُها والموت يقصفُها

لم يوقظ الحسّ عند الروس وِجدان

ثم أخذ الشاعر يصور القائد (دوداييف) وخلفه الشعب فى الشيشان بصورة المسلمين الأوائل يعتدى عليهم المشركون الجبابرة وهم موحّدون لا يرهبهم التعذيب وليس لديهم السلاح الكافى ولكنهم يتسلحون بالعزيمة والصبر ، وطاعتهمْ لأمر الله ، والعبادة الخالصة له سبحانه (سيهزم الجمع ويولّون الدبر)(١) ﴿ سنُلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾(٢) والمسلمون فى الشيشان يدافعون عن الدين والوطن ورغم قلة عددهم تصور الشاعر أن مددًا جاءهم من السماء كماحدث مع أهل بدر يقول الشاعر :

لم يرضَ بالضيم هذا الشعب واندفعت

جنوده خلفَ دوداييف (سلمانُ)

يعنو لخالقِهِ لا ينحنى أبدًا

لغيره ويردُّ الجورَ غضبانُ

---

(١) سورة القمر : الآية ٤٥

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٥١

ولا تبـــاعُ بتخـــويف كرامتُـــهُ

ولا تُهـــانُ وراعـــى الحـــىِّ يقظـــانُ

مدجَّجـــون بعـــزمٍ أو مصـــابرة

وطـــائعون لأمـــر ا لله رُهبـــانُ

وصـــادقون يرومـــون الجنـــان لهـــم

مـأوى إذا مـا ثـوى فى النـار مَنْ مانُوا

يصـــاوِلُون عنِ الـــدين الحنيـــف وعَنْ

أوطانِهـــم وعمـــادُ الـــدين أوطـــانُ

يـــؤازرون خطـــاهُ لا يزعزعُهُـــمْ

حمـــاقَةُ الإفـــك مهمـــاَ يبْغ غيَّـــانُ

أنتـم قليـــل ولكـــن عنـــدكم مـــددٌ

مسوَّمون وهـــمْ فى الزحـف عِقبـانُ

ثـم أوضـح الشـاعر مبـادىء الإسـلام فـى الحـرب فهـو ديـن يتصـف بالسماحة فلا يعتدى على الأطفال والنساء والشيوخ ، ولا يهدم البيوت ، ولا أماكن العبادة فالمسلمون لا يرتكبون أى مخالفات ، وهم يتمسكون بـالآداب الإسلامية الموحى بها إليهم من عند ا لله .

يقول الشاعر :

فلقّنوهـــم دُروسًـــا من مبـــادئهم

هـــى السـماحةُ والإســلام برهـانُ

لا يعتـدونَ على طفـل ولا امـرأةٍ

ولا كـبيرٍ لهـم أيـدٍ وإحسـانُ

ولا على عابدٍ فى جوفِ صَومعـةٍ

يفزّعـون ولا ينهـارُ بنيـانُ

ويذعِنُـونَ لآدابٍ وموعظـةٍ

من فـوقِ سَبْعٍ وَمَا لِلْبَطْشِ إذعـانُ

وبيّن شاعرنا أن الإسلام دين السلام لا يبدأ بالعدوان ، ولكـن يـردّه إذا اعتُدِى عليه وأحيانًا يعفو ويقابل السيئة بالإحسان عن قوة وليس عن ضعف فالعزائم قوية ، والإيمان با لله قوى يقول الشاعر :

فدينُنَّـا ديـنُ سِـلْم لامنـازعةٍ

إنْ خاصـم النـاسُ لا يُغوِيه عُـدوانُ

جـزاءُ سيئـةٍ عفـوٌ ومغفـرةٌ

يسـوسُ بالحكمة الحسنى إذا دَانُـوا

وإن تمـادَوْا عنـادًا فى تطاوُلهـم

يصـدُّ مـا حـاولوا عـزمٌ وإيمـانُ

ثم قارن الشاعر بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب فى حالة الحرب، وخاطبهم ليحكموا بأنفسهم على سمو حضارة الإسلام وتدنى حضارة الغرب.

يقول الشاعر :

هـذى الحضـارةُ إن رُمْتُـم حضارتَنَا

أنعـم بهـا من حضـاراتٍ لها شـانُ

قيسُوا عليهـا سرابًـا من حضـارتكُمْ

وليكشـف الزيفَ إسرارٌ وإعـلان

أرسـوا قواعـدَ للأخـلاق صالحـةً

حتـى تقـوم ومـا تنهـدٌّ أركـانُ

والشاعر يطلب باسم الإسلام النجدة لهؤلاء الإخوة المسلمين الذين زحف عليهم العدوّ ، وكاد يقضى عليهم والسفينة توشك أن تغرق بالمسلمين والشاعر يحرك الهمم ، ويستنهض العزائم أن تهب من رقدتها ويقول : أين الإخاء ؟ أين البذل ؟ ثم يطلب من المسلمين الوقوف بجانب إخوانهم لله لينقذوا المسلمين وإلاّ ضاع الأمرُ وأفلت من أيديهم عندما يضيع الوفاء ، وتنسى العهود ، وما زال شاعرنا يذكرهم بالتاريخ المجيد للمسلمين الذين كانوا فيه سادة لقيامهم بتعاليم الإسلام من صلاة وصوم ، وزكاة ، وما ترشد إليه تلك العبادات من نهى عن الفحشاء والمنكر ، والشاعر يدعو إلى المؤازرة والعون ، والمعروف ، وتخيل الشاعر أبطال الإسلام الأوائل مثل أسامة بن زيد، وخالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، وهؤلاء كانوا قوادًا عظامًا فى الفتوحات الإسلامية .

ثم يُنهى الشاعر حديثه بقوله : إذا التزمتم بكل ذلك عاد الحق المسلوب لكم تحرسكم عناية الله وخصوصًا إذا كان القرآن دستوركم نصب أعينكم تنفذون تعاليمه وأحكامه .

يقول الشاعر :

قـد عاد ما كان خرقًا فى سفينتنـا
أنتقـذ السُّفْـرَ أم قدتـاه رُبَّـانُ ؟
أين الإخـاءُ وأين البـذل طيبـةً
بـه الأشقـاءُ أم للمـال تَختـانُ
أم أيـن وقْفتكـم لله صـامدةً
مثل الذين قضـوا بالحـق ما لانُـوا
أم أين إنقـاذُكم للمسـلمين وقـد
عـزَّ الوفـاء أمـا للعهـد ذكـرانُ ؟
لو ظِلْتم فى سـباتٍ ضـاع أمركُـم
وأفلـت الحبـلُ لم يمسـكْهُ رُعْيـانُ
عـودُوا لتـاريخكم بثـوا مفـاخرَهُ
صلوا وصـوموا وزكُّوا يرق إنسـانُ
كونوا أسـامة كونُوا مثل خـالدهم
كونوا كطارقهـم تشتـد عَـدْنانُ

وللشاعرة قصيدة عن جوهر دودابيف ، وهو قائد متمرس ومناضل مسلم من الشيشان فى العصر الحديث .

خاطب الشاعر فى بدايتها هذا المناضل الذى وهب روحه من أجل الدفاع عن دينه ، فوقف فى وجه الظلم مسَلحًا بقوة الإيمان لا يرهبه ولا يخيفه الظلم ، ولذا حالفه التوفيق ، بنصر الإسلام وقوة الحق ، ويتوقع الشاعر له حسن الثواب وجنة الخلد مثوى له إن شاء الله .

يقول :

سيفتح الخلدَ إذ يلقاكَ رضوانُ
فاعْجلْ لِبُشْرَى حباكَ العهدَ شيشانُ
وَهَبْتَ روحكَ للإيمانِ تسكبُها
دمًا زكيًّا وقلب الصبِّ ريعانُ
وقفتَ للظلمِ بالمرصادِ تدمغهُ
بقوةِ الله لم يرهبْكَ طُغيانُ

ثم يوالى الشاعر الحديث عن هذا المناضل الذى طار ذكره فى الآفاق ، وسجل باستشهاده أعلى المراتب ، فكان فى المعركة يتقدم الصفوف يدافع بقوة ، ويقود الجيش واثقًا من نصر الله له ، وقد استرجع الشاعر موقف الرسول حين قاتل المشركين فى غزوة الخندق(١) ومرّ بخاطره أن هذا المناضل

---

(١) كانت سنة خمس من الهجرة .

صالح مثل داود عليه السلام فهو فى كفاحه وصبره وتفرغه للجهاد كداود فى انقطاعه للعبادة .

يقول الشاعر :

فكُنْتَ إذْ حَمِـىَ الوطيسُ أقربَهــم
ترود أُسْـدَ الشَّرى والروحُ هيمــانُ
تقــودُ صــفَّ خميــس لا يُســاوِرُهُ
إلا انتصــارٌ لـــه ينشـــقُّ إيــوانُ
شققْتَ خنْدقَ غـارٍ شـقَّ مسلَكهُ
ما عـاق عن هـدفٍ وغـرٌ ووديــانُ
نعـــم المقـــاتلُ أوّابٌ تحــاوبُه
شُمُّ الجبـالِ ونجـمُ الأفـقِ ولْهــانُ

وأشار الشاعر بعد ذلك إلى سرية مؤتة التى وقعت بين المسلمين ، والرومان وكان جيش الرومان أكثر من مائتى ألف مدجّجًا بالأسلحة والعتاد فى حين كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف على رواحل ومعهم مائتان من الفرسان وأسند الرسول القيادة إلى ثلاثة على التوالى أولهم زيد بن حارثة ، والثانى جعفر بن أبى طالب والثالث عبد الله بن رواحة ، وبعد استشهاد الثلاثة تولى القيادة خالد بن الوليد ، وعاد بالجيش منتصرًا ، وسماه الرسول سيف الله المسلول ، ويدلل الشاعر بذلك على أن معركة الشيشان معركة غير متكافئة وسينصرهم الله تعالى كما نصر أولياءه فى غزوة بدر .

يقول الشاعر :

تُعيدُ قوادَنا أبطالَ معركةٍ(١) تأرجحتْ كَفُّها واختلَّ ميزانُ

---

(١) هى سرية مؤتة وكانت سنة تسع من الهجرة ، وتقع مؤتة على مسافة ١٥٠كم جنوبى بيت المقدس على البحر الميت فى فلسطين ، وكانت تحت نفوذ امبراطورية الروم ، وكان الهدف منها توجيه الأنظار إلى عمومية الإسلام وإن كان بعض المؤرخين يقولون إنها كانت للثأر من أمير مؤتة لقتله رسولاً من رسله ﷺ الذين أوفدهم إلى الأمم المجاورة ، ووقعت هذه المعركة غير المتكافئة فى جمادى الأولى سنة ثمان وابتدأت فيالق الروم تتحرك مع من يعاونهم من بعض العرب ، ولم يستطع الجيش الإسلامى مقاومة هذه القوة الدافقة وقد شاط زيد - القائد الأول - فى رماح القوم فحمل الراية جعفر بن أبى طالب وقاتل حتى قتل بعدأن قطعت يمينه وشماله واحتضن اللواء بعضديه قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضى الله عنه وهوابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . السيرة لابن هشام ٣ / ٢٦٣ .

ثم استلم الراية عبد الله بن رواحة فاشتد الأمر على المسلمين وتردد بعض التردد ثم تقدم وقاتل حتى استشهد ، وجاء جندى آخر لم يكلف بقيادة المعركة فأخذ الراية وهو ثابت بن أرقم وما كاد يحدث اضطراب وقتال حول الراية حتى أخذ الراية خالد بن الوليد وغير فى نظام الجيش فجعل مقدمته ساقة وبالعكس وكذلك فعل بالميمنة مع الميسرة وتظاهر بالهجوم على الرومان فانسحبوا إلى أماكن للاستعداد له حتى خيم الظلام وانسحب خالد بجيش المسلمين قافلاً إلى المدينة .

(زيدٌ) مضَى وذِرَاعَا " جَعْفَرٍ " حَمَلاَ
لـواءَ (مؤتـــةَ) حتى رِيــعَ رُومـــانُ
واستُشــهِدَ (ابنُ رَوَاحَــةٍ) وكَرَّبِهــمْ
سَــيفٌ مِنَ الله مَسْـلُولٌ وشُــجْعَانُ
(ينْدَرْبَيِيفُ) جــرىءُ الرأى مثلكـــمُ
يهــوى جهــادًا ولا تهـــواه أشجـــانُ
يـا (دُودييفُ) كبـــدرٍ يومُ نصــركُمُ
عمـــا قــريبٍ سيشــدُو فيه حسَّـــانُ

وللشاعر قصيدة عن (الوحدة العربية) تحدث فيها عـن وحـدة العرب القديمة والحديثة ، وبين مقومات هذه الوحدة إلخ .

- وقد روى البخارى وغيره تولية هؤلاء القـواد علـى الجيش وإخبـار الرسـول عـن حالهم عـن عبـد الله بـن عمـر رضـى الله عنهمـا وعـن أنـس رضـى الله عنـه وفـى البخارى أن ابن عمر كان إذا حيا ابن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذى الجنـاحين وعن النبى ﷺ : رأيت جعفرًا يطير فى الجنة مع الملائكة ، ولقب بالطيار أيضًا .
انظر : عمـدة القـارى شـرح صحيـح البخـارى جـ١٧ ص٥٦٧ ، والإحسـان فـى تقريب صحيح ابن حبـان جـ١٥ ص ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٢٧١ والسـيرة النبويـة لابـن هشام ٣ / ٢٥٨ - ٢٦٥ والسيرة النبوية بقلم الأستاذ محمد محمد مصطفـى النجـار ط ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م دار الطباعة المحمدية ص ٢٥٤ - ٢٥٨ .

ثم بين شاعرنا أن الوطن العربى موطن الرسالات السماوية نبيًا بعد نبى ، وجاء محمد ﷺ برسالته ونادى كغيره من الأنبياء بالتوحيد لله لا شريك له .

يقول الشاعر :

هو مهد للأنبياء جميعًا   يلّغونا رسالةً وكتابًا
وأتانا المختار خيرُ نبىٍّ   وإلى العالمين ألقى خطابًا
وأذاع التوحيدَ لله ربًّا   واحدًا لا شريكَ لا أربابا

ثم بيّن أن رسالة محمد وغيره من الأنبياء نهت عن الخلاف وأوصت بالاعتصام بحبل الله جميعًا لأن الأمة الإسلامية ألّفها الله ، واصطفاها ، ومنحها الأخلاق وأوجب عليها العدل فالاختلاف شرٌّ يبدد الطاقات ويضعف الأمة .

يقول الشاعر :

ونهَى القومَ عن خلاَف ووصَّى
باعتصام با لله أمرًا مُجابًا
ألَّفَ الله أمَّةً مصطفاةً
وحباها الأخلاق والآدابَا
وُيزكِّى مبادىءَ العدل فيهم
ويرُدُّ المريبَ والمرتابَا

إنمـــا الاختــــلاف شـــرٌّ وبيـــلٌ

وافـــتراق الأهلـــين يُغْـــرى الإهـــابا

ثم أخذ الشاعر يعدّد مظاهر وحدة المسلمين ففـى الصـلاة يلتقـى النـاس فى وقت واحد إذا صلى كل فى مكانه ، وبلده ، فضـلاً عـن صـلاة الجماعـة التى لها ثواب عظيم فهى تفوق صلاة الفـرد بسـبع وعشـرين درجـة ، وأيضـاً يجتمع المسلمون فى صلاة الجمعة التى تسبقها خطبة يقوم بها الخطيب موضّحًا للناس ما ينير طريقهم ، ومن مظاهر وحدة المسلمين أيضًا الحج والعمرة ووقفة عرفـات حيـث يلتقـى المسـلمون جميعًـا فـى هـذا اليـوم العظيـم عربًـا وعجمًـا يتشاورون فى مشكلاتهم ويشهدون منافع لهم .

ثم يبين الشاعر أن دين الإسلام يدعو إلى الصفح والعفو مما يجمع قلـوب المسلمين على الحب فالمؤمن يكون ودودًا لا بخيلا ولا مانعًا عـن إخوانـه محبتـه وعطفه ومودته .

يقول الشاعر :

وحـــدة فـــى صلاتنـــا كلَّ وقـــت

يلتقـــى الـــدانى والقصـــىُّ صحـــابا

وصـــلاةٌ مـــع الجمــــاعة فــــاقت

مـــن يصـــلى فـــذًا وزادت ثـــوابًا

درجـــاتٌ مـــن المليـــك وفضـــلٌ

يتـــوالى حتـــى نَزيـــد اقـــترابًا

واجتماعٌ فى جمعة بعد أخرى

وخطيبٌ ينير فينا شهابًا

وبحج وعمرة وطواف

يتراءَون جيئةً وذهابًا

وقفة المسلمين فى عرفاتٍ

عربىٌّ وأعجمى تحابًا

لم يَكُ المؤمنُ الودودُ بخيلاً

أو منوع عن جاره ترحابًا

الصورة الأدبية فى هذا الشعر

قد تحدثت عن الصورة الأدبية فى الشعر الجيد فيما سبق من تحليل أدبى، وبيان للصورة فى شعره فى أحداث الذكريات الإسلامية .

وهذا أمر ينظر إليه الناقد بعين بصيرته فيما يحلل من شعر ، وما يتأمل فيه من صور أدبية وفنية ممتعة .

ونجىء هنا لعرض شعره فى الأحداث الإسلامية الناشئة عن الأحوال السياسية والوطنية ، فنعرض هذا الشعر لبيان ما فيه من صورة فنية ومدى تأثرها بالوجدان والشعور والتجربة ، وأثر ذلك فى السامع والقارىء .

ففى حديثه عن (فلسطين السليبة) يذكر أن المسلمين يمدون يدهم للسلام إذا جنح الطرف الآخر لذلك تعبيرًا عن أنهم أهل سِلْم لا يعتدون على الآخرين إلا إذا اعتدوا عليهم .

ويذكر أن آيات القرآن تبشّر الناس بالأمن والأمان وأنها تهدّىء ، وتطمئِنُ ، وتحمى ، وهذا دليل على أن الإسلام دين المودة والوئام .

وفى قصيدته (انتفاضة الحجارة) يستحلف المسلمين بحق القدس ألا يناموا عن حقهم فى هذه المدينة المقدسة وأن يفكوا قيد المسجد الأقصى فهو أسير فى أيدى الأعداء وأن يحرروا أرضهم المغتصبة وأن خير بلادنا لا يباع ولا يشترى يقول :

توحى إليه بحق قدسك لا تنم

حطّم به الأغلال حرًا طاهرًا

هـذِى بـلادكَ خـيرها ونعيمهـــا

مَا عشْتَ يومًا إذْ تُبـاعُ وتُشْتَـــرى

وفى قصيدته عن (عودة طابا) يذكر أن الحق لا بد أن يحاط بالســلاح الذى يحميه أو يصبح كالسراب الخامد ويبين أن الرسل كـانوا يحمـون الحـق ، وأن نبينا محمدًا ﷺ كان يذود عن حاه الفضيلـة ، وأن الطغيـان تقهقـر ، وأن العدل أقبل وأن الرسول غرس المكارم وقدمها كالموائد يأكل منها الناس وكـل هذا من المعانى التى انتقلت من المعقول إلى المحسوس وهو ما يسمى بالتجسـيد فى عرف النقاد المحدثين وما يخلعه الأديب على الأفكار من حركة ونشاط .

وفى قصيدتـه عـن الأفغـان فـى جهـادهم ضـد الـروس إبـان الاحتـلال الروسـى جعـل الـروس كـاللصوص فـى احتلالهـم وسـلبهم حقـوق الآخريـن وكالطغام فى حقارتهم ، ونذالتهم ، وأنهم يدوسون فوق الفضائل بمخازيهم، ويحاولون محو النـور ، وإحـلال الظـلام محلـه معـبرًا بذلـك عمـا ينشـرون مـن مفاسد، وما يحاولونه من القضاء على الإسلام ونشر الشيوعية ، وذكّر العـرب بما ضاع من ديار الإسلام وشبه ذلك بالمـأكولات التـى توضـع أمـام الآكـلين كأنه بذلك يستوحى حديث الرسول ﷺ (يوشـك أن تداعـى عليكـم الأمـم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها) الحديث(١) ، فقال الشاعر :

لقـد أكلوا من الإسـلام دُورًا   وبلـــدانًا وأعينُنـــا نيــامُ

وعد جريمة الغزو الروسى مقدمةً لعدوان آخر على الأمة كلها ، فعـدوان الروس كالريح التى يتبعها الغمام معبرًا بذلك عن توالى الهجـوم علـى الإسـلام وأن غزوًا يتبعه غزوٌ آخر .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥ / ٢٧٨ .

وفى قصيدة (ماذا للبوسنة والهرسك) يتحدث عن سيف الغدر الذى يهاجم العدل الأعزل من السلاح ، والذى يحتاج إلى ليث غضوب يثأر له .

ويتحدث عن الأخوة الممزقة بين أقطار العالم الإسلامى وأنها ذهبت ، فلم يعد لها أثر أو يكاد مثل الشمس التى مالت للغروب ، ويذكر أن العدوان على البوسنة والهرسك عدوان همجى ، وكأن هذا العالم حيوانات تصول فى الغابة لا يكبح جماحها أحد . وتحدث عن ماضى الإسلام الذى جعل الأمن روضًا ينعم فيه كل الناس بالعدل ، ولكن المارد العملاق كُسر جناحه ، ولم يعد قادرًا على الطيران تعبيرًا عن الانهزامية ، والضعف فى العالم الإسلامى .

وطالب الأغنياء بالبذل معبرا عنهم بمن ينامُ على الحرير وبين أن الأحرار فى البوسنة والهرسك يتعرضون للتنكيل بهم وكأنهم يشيبون لأن أحدًا لا يدافع عنهم فى هذا العالم الكئيب ، ويأمل أن يفوح شذا الأمل من جديد .

وفى قصيدته (طلائع النور) يجعل الجنود المقاتلين طلائع للنور وجمهورية الشيشان المسلمة تغرس المعروف وأقدامها لم تنحرف إلى الضلال فى تيار الشيوعية المائج حولها ، وأن المآذن فى جروزنى تبكى تعبيرًا عن العدوان على المساجد وهدمها وأن عدوان النرور والبهتان الشيوعى عاث فيها فسادًا وشوّه الطهر فيها بأرجاسه ، ووصف حق الاستقلال الضائع بأنه مسوق فى الأغلال ، وشُق له الأخدود ليوضع فيه ، وأنه يصرخ ولا يجيب ، فالبشرية هامدة لا تحس كالصخر ، ثم وصف جنود الشيشان بأنهم لا يبيعون كرامتهم، وأنهم مع ذلك طائعون لله كالرهبان ، وأن قوة العدو أمامهم بحول الله كغثاء السيل ، وأن الله يمدهم بالملائكة المسومين كما أمد أهل بدر ،

وجعل الواحد منهم كالألف أخذا من آيات سورة الأنفال فى وصف المجاهدين الصابرين مثل قوله تعالى : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾(١) .

وهنا يقول الشاعر :

أنتم قليل ولكن عندكم مددٌ
مُسوَّمون وهم فى الزحف عقبانُ
وواحدٌ منْهُمُ كالألف صولتُهُ
يهابُها - بتقاهُ - الإنسُ والجانُّ

ثم يذكر من مبادىء الإسلام أن جزاء السيئة فيه العفو والمغفرة اعتمادًا على قوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾(٢) .

ثم جعل عزيمة المقاتلين وإيمانهم يرد عناد الأعداء وتطاولهم والحقيقة أن المقاتلين يفعلون ذلك اعتمادًا على العزم والإيمان ، وفى الموازنة بين الحضارتين الإسلامية وغيرها يجعل حضارة الأعداء كالسراب فى زيفها وخداعها وأن حضارة الإسلام لها قواعد تبنى عليها من الأخلاق والقيم ، وأن أركانها لا تنهد ، وشبّه عدوان المعتدين على الأبرياء بطغيان فرعون ، وأن ما يفعلونه من

(١) سورة الأنفال : الآيتان ٦٥ ، ٦٦

(٢) سورة الشورى : الآية ٤٠

مآثم هو من قبيل العار الذى يلطخ جبين الأيام ، والليالى ، وحينما بدأ ينادى العالم الإسلامى للنجدة آمله ألا يسمع القوم ، وألا يتحركوا لنجدة إخوانهم كأنهم لا آذان لهم أو كأنهم موتى لا يحييهم ، ولا يحركهم النفخ فى الصور أو كأنهم فقدوا قلوبهم وأن تفكيرهم شلّ وأنهم نائمون لم يتحركوا للنجدة مع أن سفينة الشيشان توشك أن تغرق ، ويغرق معها إخواننا المسلمون المعرضون للخطر يقول :

قد عاد ما كان خَرْقًا فى سفينتنا

أَنُنقذ السَّفْر أم قدتاه رُبَّانُ

وهو فى هذا يعتمد على الحديث الذى يقول فيه الرسول عليه الصلاة والسلام (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة)(١) الحديث .

وتمنى الشاعر أن يخرج من بين المسلمين أبطال مثل أسامة بن زيد أو خالد بن الوليد أو طارق بن زياد ليعيدوا أمجاد المسلمين .

وفى قصيدته (جوهر دوداييف) ذكر أن دوداييف سكب من روحه الدم الطاهر فى سبيل دينه ، ووطنه ، وأن الحقد لم يطفىء نور الله الذى بدا كأشعة الصبح فى يد دوداييف معبرًا بذلك عن وضوح حقه فى الاحتفاظ بدينه ، ووطنه ضد من يعتدى عليه وأن جهاده صحيفة مشرقة كالشمس ، وأنه قائد لجيش من الأسود تقدمهم كما كان الرسول يتقدم الجند إذا حمى الوطيس ، يقول :

---

(١) انظر الحديث فى دليل الفالحين لابن علان الصديقى جـ١ ص٤٧٠

فكُنْتَ إذ حَمِـيَ الوَطـيسُ أقربَهـمْ
تَرُودُ أُسْـدَ الشَّرَى والرُّوحُ هَيْمـانُ

وأنهم فى غزوهم للأعداء اتخذوا الخنادق للدفاع منها على غـرار غـزوة الخندق فى الإسلام ، وأن دودايف صالح مثل داود الذى كانت الجبال تُسبّح معه والطير وأن إصابته فى المعـارك زادت مـن حـزن المسـلمين وكـانت بمثابة الشيب يدبّ فى الرأس من هول المفاجأة .

وذكر الشاعر أن المعركة بين الشيشـان والـروس غير متكافئة وهـو مـا يؤدى إلى كثرة الإصابة فى جيش الشيشان ويـؤدى إلى إصابـة القـواد ، وعقـد الشاعر موازنة بين هذه الحرب غير المتكافئة ، وبين معركـة مؤتـة(١) مشبها قواد الشيشان بقواد هذه المعركة الذين سقطوا فى ميـدان الشـرف والكرامـة ، وهم زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحـة وأن مجـىء ياندرباييف بعد دودايف يشبه عودة خـالد بـن الوليـد بـالجيش الإسـلامى إلى المدينة ، وقد لقبه الرسول ﷺ بسيف الله المسلول .

وفـى قصيدتـه عـن (الوحـدة العربيـة) يقتبـس موقــف الأنصــار مــن المهاجرين ليوضح أن المسلم كريم ، وأنه ليس شـحيحًا ، وأنـه يـؤازر أخـاه ، وهذا كما فى قوله تعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثـرون علـى أنفسـهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هـم المفلحون ﴾(٢) ويقـول الشاعر :

---

(١) انظر الحديث عنها ص ١٧٦ ، ١٧٧ من هذا البحث .

(٢) سورة الحشر : الآية ٩

لم يَكُ المُـــؤمِنُ الـــودُودُ بخيـــلاً

أو مَنُـــوعًا عَنْ جـــاره ترحَـــاَبا

يؤْثر الآخـــرين خـــيرًا وجـــودًا

يـــدعُ الشـــحَّ والخصـــاصةَ عـــاَبا

ثم يشير إلى أن العدو المتغابى يجد العقاب على تغابيه مُعَبِّرًا بذلك عن أن الأمة الإسلامية لا تغفل عن أعدائها .

وفى حديثه عن الوقوف فى وجه الصهاينـــة يحث الأمـة العربيـة والإسلامية على أن يخلصوا جهادهم لله ، فذلك يهدم كوخ الأعداء برياح عاصفة ، لأن دور العدو هشة الكيان إذا نفخوها طارت كالذباب حين يُنفَخ، ويأمرهم أن يوقدوا نار الدفاع عن أوطانهم يقول :

إن وقفتـــم لله وقفـــة حُـــرٌ

تركـت كُوخـــه الدبـــورُ يَبـــاَبا

دُورُهُ هَشَّـــــةُ الكِيـــانِ هبـــاءٌ

فانفُخُـوها والنَّفـخ يُهوِى الذُّبَـاَبا

وهذا مستوحى من قوله تعالى - عن اليهود - ﴿ لأنتم أشـد رهبـة فى صدورهم من الله ذلك بـأنهم قـوم لا يفقهـون . لا يقـاتلونكم جميعًا إلا فى قرى محصَّنة أو من وراء جُدُر بأسُهم بينهم شديد تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾(١) .

---

(١) سورة الحشر : الآيتان ١٣ ، ١٤

الأسلوب والموسيقى

لابد للفظ من معنى يرتبط به ، ولابد من الائتلاف بين اللفظ والمعنى ، ولذلك يقول الآمدى : إن دقيق المعانى موجود فى كل أمة ، وفى كل لغة ، وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله(١) .

وليس المهم فى اختيار اللفظة دون أن تشارك فى رسم الصورة الشعرية وإبرازها بل ذلك يعتمد على حسن اختيارها ، وملاءمتها ، وظلالها التى تلقيها على القصيدة فى دراستها الشاملة لا فى موقعها فى البيت أو العبارة(٢).

والشاعر يوائم بين لفظه ومعناه ، ويمزج بينهما بالإحساس ، والشعور بحيث تبدو صنعته الشعرية فيما يؤديه اللفظ والتركيب من مراد الشاعر .

والسياق هو الذى يحدد تناسق الدلالة ، ويبرز فيه المعنى على وجه يرتضيه العقل ، وربط الألفاظ فى سياق يكون وليد الفكر لا محالة ، والفكر لا يضع لفظة إزاء أخرى ، لأنه يرى فى اللفظة نفسها ميزة فارقة ، وإنما يُحكم وضعها لأن لها معنى ودلالة بحسب السياق نفسه ، (ولهذا كانت المعانى لا الألفاظ هى المقصودة فى إحداث النظم والتأليف فلا نظم فى

---

(١) الموازنة جـ١ ص٤٠٠ .

(٢) التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ص ٩١ ، ٩٢ .

الكلم ، ولا تأليف حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وبهذا يكون اللفظ تابعًا للمعنى بحسب ما يتم ترتيب المعنى فى النفس)(١) والشاعر يسخر النحو فى خدمة النص غالبًا ، ويستخدم اللغة ، وعلوم التصريف ، والاشتقاق - بأنواعه - والمفاعيل وطريقة الاعتراض ، والتأكيد ، وأساليب الدعاء ، وأساليب التقرير ، وغير ذلك وهو ما يعبر عنه بنظرية النظم ، فالمزية- كما قال الإمام عبد القاهر - إنما (تعرض بسبب المعانى والأغراض التى يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، واستعمال بعضها مع بعض ، بل ليس من فضل ولا مزية إلا بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذى تريد ، والغرض الذى تؤم)(٢) .

ومن ناحية الموسيقى هناك ما يسمى الموقع الذى يؤدى إلى تصوير الشىء ، وهناك موسيقى تعاقب الحركات والموسيقى الخارجية المتمثلة فى الموزن والقافية ، والحروف الطويلة فى القافية لها أثر فى الإيقاع الموسيقى ، والإيحاء ، وكذلك استعمال الكلمات داخل الأبيات بحروف المد واللين ، والإيقاع الداخلى يتمثل فى جرس الألفاظ ، وانسجامها وتلاؤمها ، واستخدام بعض أنواع المحسنات البديعية التى تجعلها أشبه بفاصلة موسيقية(٣) وللتصريع أثر فى ذلك .

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٨ - ٤٧ وانظر : أيضًا ص٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص١٣٣ .

(٣) موسيقى الشعر . د. إبراهيم أنيس ص٤٥ .

فإذا رجعنا إلى شعر الأحداث الإسلامية عند الشاعر فإننا نلحظ أنه مستقيم اللغة واضح الأسلوب مترابط الكلمات متلاحم الأجزاء ، يختار فيه الشاعر كلماته ويضعها فى مواضعها المناسبة ، ويستخدم قواعد العربية وأصولها استخدامًا يرتبط بالمشاعر الجياشة ، وبقوة التجربة الشعرية التى تتصل بالعاطفة الدينية المتأججة .

ففى قصيدته (الحج والتاريخ) يبدأ بهذا الاستفهام الذى يثير مشاعر القارىء ، ويلفت انتباهه ، ويشد اهتمامه حيث يقول .

أتعرف الوحى والتاريخ حين أتى

خليل ربك بل قد شاقك الخبر

فارتباط (الوحى) بـ (التاريخ) فى بيان أصل هذه الفريضة أمر يعرض لكل مسلم ، ويهز وجدانه ، ومشاعره ، فهما كلمتان متلازمتان فى هذا الموقع ، والإنسان يحتاج إلى كشف الأسرار التى تعتمل فى نفس الحاج وهو يتحرك فى هذا الرحاب الطاهر للطواف حول البيت ، أو للسعى بين الصفا والمروة ، أو للوقوف بعرفة ، أو لرمى الجمرات ، فانكشاف الأسرار وظهورها أمر مطلوب .

ومع أن لفظ (المعرفة) قريب إلى الأذهان فإنه يحسن فى هذا الموقع .

واستخدام همزة الاستفهام يحرك النفوس نحو الاطلاع على هذا السر الهائل فى كل موقع من هذه المواقع ، ثم يشارك الشاعر القارىء والسامع بإضرابه قائلاً (بل قد شاقك الخبر) .

واستعمال لفظ (شاق) مؤثر فى هذا الموقع . ولقد وجدنا حسن اختيار الأوزان الموسيقية ، والقوافى المطلقة التى تشتمل كلماتها على الروى المتحرك ، والردف والتأسيس مما أضفى على الموسيقى الشعرية تأثيرًا خلابًا .

انظر مثلاً إلى قصيدته فى (الإسراء والمعراج) التى مطلعها .

قد ملأتَ الآفاق والأرجاءَ

شرفا يزدهى بكم واصطفاءَ

لم يكنْ حوالكَ الوجودُ غريقًا

فى سباتٍ ولا الزمانُ هباءَ

فالقصيدة من بحر الخفيف ، وهو وزن تام الموسيقى إلى جانب حسن اختيار الألفاظ المشتملة على ما أثرى الموسيقى الداخلية من اختيار الكلمات ذات الألف ، والياء المدية والواو المدية (الآفاق - الأرجاء - يزدهى اصطفاء- غريقًا - الوجود) .

ولا شك أن اختيار كلمات ذات حركات قصيرة قد يكون نقلاً لنغمة موسيقية كأن يقول : شَرَفًا - بِكُمْ - لَمَ يَكُنْ) إلى غير ذلك مما يزيد الموسيقى تنويعًا ، واختيار الألفاظ ذاتها يوحى بهذا المقام الذى اختص به نبينا ﷺ ، فالآفاق والأرجاء مناسبة لقطع المسافات بين مكة ، وبيت المقدس ، ثم الانطلاق فى المجال الرحيب الفسيح للصعود إلى السموات العلى وهو مقام فخر يقتضى لفظ (يزدهى) وهو مقام اختصاص يقتضى لفظ (الاصطفاء)،

ونظر إلى الوجود الهادىء من حوله الذى نام فيه الناس وهو فى خياله متيقظ مستعد متأهب لما يجرى فيه من هذا الحدث فجاء بلفظ (غريق) (فى سبات) الذى هو حقيقة بالنسبة للنائمين من البشر وقد نفى ذلك عن الوجود وكان لفظ (غريق) مناسبًا لهدأة الناس هذا الهدوء العميق الذى فقد الحركة فى كل شىء لا سيما فى جو الصحراء حيث الصفاء والسكون الذى لا حدود له ، ونجد قصائد الشاعر فى كثير من الأحيان تنحو هذا المنحى وارْجِعْ إلى قصيدته فى (غزوة بدر) فهى من بحر الكامل والقوافى مطلقة ، والكلمات مختارة من هذا اللون الموسيقى الأخاذ ، واستمع إليه وهو يقول عن القتلى الذين أُلقُوا فى القليب:

وَثَوَى بأعماق القَليبِ قَتِيلُهُمْ

يَشِقَى وجُرْحُ أساهُ لاَ يْلَيَامُ

وقد ارتكب ضرورة شعرية ليلائم الموسيقى التى تشتمل على قافية مطلقة مردفة فقال لا يلتام وأصلها (لا يلتئم) فسهل الهمزة بإبدالها ألفًا للسياق الموسيقى ، وهذا من الضرورات الجائزة .

وقصيدته فى الشيشان من هذا النوع ..

طلائع النور فى الآفاق شيشان ... إلخ

وهو يستعمل الردف فى القوافى بالواو والياء وهو جائز عند علماء العروض ، ويمكن أن نَلمح ذلك فى قصيدته عن (البوسنة والهرسك) .

ألا هبّوا بيأسكم الدءوبِ

وبالإسلام قوموا للوثوبِ

ثم يقول فى خلالها :

أفـى الإسـلام يقطــع كل عـرق
من الأرحـام فـى اليـوم العصـيب

واستعمل (ألا) فى مطلع القصيدة ليوقظ شعور السامع ، فيتهيأ لتلقـى ما سيذكره بعد ذلك وهى أداه استفتاح فى العربية ، واختيار لفظ (الـدءوب) يقع موقعه إذ إن المسلمين على مر العصور كـانت قوتهـم ظـاهرة ، ودفـاعهم عن الإسلام قويًا لم يعرف الخمول أو الكسل وتعبيره بقول (قوموا للوثـوب) يوحى بما عليه الحال الآن من تخاذل أهل الإسلام فى مناطق عديدة مـن العـالم عـن نصرة إخوانهـم ، فهـم لا يتحركـون لنجدتهـم ، والأولى أن يثبـوا مـن فراشهم الذى لا يفارقونه إلى هذا العمل الذى يرضاه الله ورسـوله ، وأوضح أن قطع الأرحام مذموم وفى هذا اليوم أكثر ذمًّـا ، فالاستفهام إنكـارى إذ لا ينبغى أن يحدث ذلك فى مثل هذا الوقت ، فإذا كان قطع الأرحام حرامًـا فـى الإسلام ، وإذا كانت الصلة واجبة بين الأقـارب ، والأمـة الواحـدة ففـى هـذا الوقت وقت الهجوم على دولة إسلامية يجـب تناسـى الخـلاف ، ولذلـك جـاء هذا الاستفهام والتعبير عن اليوم باليوم العصيب .

وقد يختار الشاعر الأوزان القصيرة حين يرى أنهـا تحقـق هـذا الهـدف . قف معه فى قصيدته (خير الشهور) فقد اختـار لهـا مجزوء الكـامل ، وقافيـة مقيدة ، وتحسـن القافيـة المقيـدة باستعمال الـردف لكـى تتنـاغم موسيقاها ، واختار لذلك الضرب المذال فيقول :

رمضــان يــا خـير الشـهُورْ أقبلــت يغمـــرك الحبـــورْ

وهو يحاول فى هذه القصيدة أن يجمع بين الكلمات الخالية من المد ، والكلمات المشتملة عليه بين مقام ، ومقام ليعبر عن الاندفاع إلى الطاعة ، والوصول إلى الهدف كما ترى فى هذا المطلع حيث تتتابع الحركات سريعة فى الشطر الثانى وتأتى الكلمات مشتملة على المد فى الشطر الأول ومثله قوله:

أنت الملاذُ لعابدٍ غسَل الذُّنوبَ من الطَّهُورْ

وقد يجد أن المقام الذى يكون عليه الصائم من العبادة مقتضيًا التأنى ، والتعبير عن عظم ما هو فيه ، وما تشرئب عنقه إليه ، وما ينزل عليه من رحمات فيستخدم الكلمات ذات الطول الموسيقى كأن يقول :

قرأ الكتابَ وأسمعَ الـ آياتِ فى ذات الصدورْ

ناجى الإلهَ ومنه جا ءتْهُ البشارةُ فى السطورْ

ثم هو يسرع فى العبادة ليصل إلى هذا الهدف الراقى وتأتى الكلمات سريعة معها :

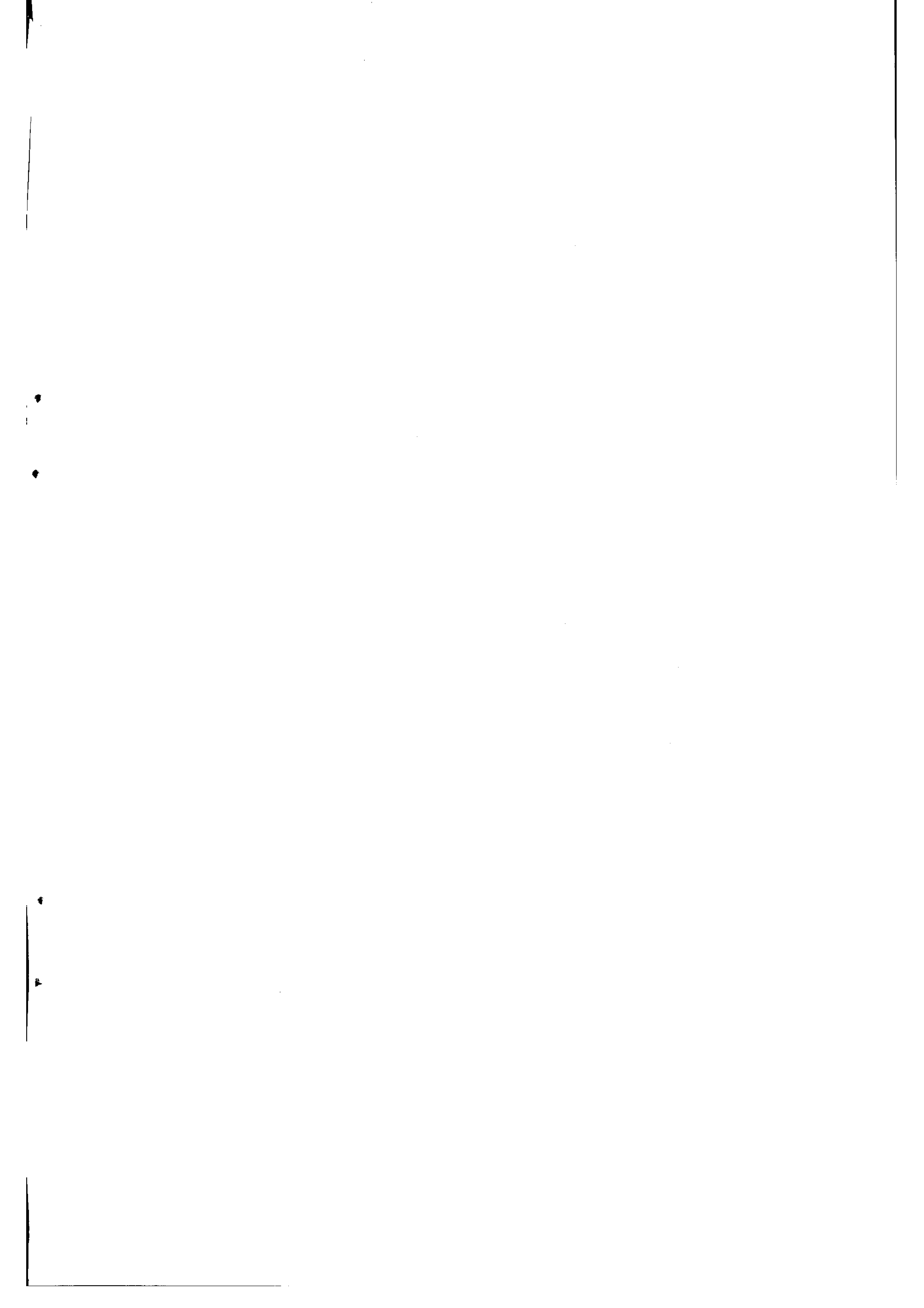
صوتٌ تهدَّجَ بالعبا دةِ واطمأنَّ بلا غُرورْ

وانظر إلى اختيار الكلمات (ذات الصدور - ناجى - البشارة - صوت تهدَّج - اطمأنَّ) فلا شك أنها قد وقعت موقعها وحسُن اختيارها .

الفصل الرابع

المؤسسات الإسلامية
والعاملون لنصرة الإسلام

- دور المؤسسات الإسلامية .
- تقدير العاملين لنصرة الإسلام مدحًا ورثاءً .



أولاً : دور المؤسسات الإسلامية

للشاعر قصائد يتحدث فيها عن الأزهر (منارة الشرق) بما فيه من علم وثقافة منذ إنشائه ، وتطور التعليم فيه بإنشاء المعاهد والكليات التى تدرس فيها العلوم قديمها وحديثها .

وينوه الشاعر بمعهده الأحمدى بطنطا فى قصيدة خاصة ، كما يذكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتقدم الدراسة الإسلامية فيها .

وأفصل حديثه فى ذلك

تحدث الشاعر عن الأزهر هذه المؤسسة الإسلامية العريقة التى يعتز بها، ويقدرها ، وقد أشاد بهذا الصرح الشامخ فى مصر الذى يقوم بتعليم القرآن الكريم ، وسنة الرسول ﷺ ليرتفع شأن الإسلام فى جميع الأنحاء ، وينتشر الإيمان ويبدد الجهل ، ويزيل ما ران واستحكم على القلوب منه ، فالأزهر هو التراث لجميع الرسل وشرائعهم يشرحها ويبينها لجميع الناس .

يقول الشاعر :

ذا صرحُه قد تسامَى فى كنانتنا   عزّتْ قواعدُهُ واشتدَّ أركانَا
وحىٌّ من الله يجرى فى جوانبه   يزكو وينشرُ فى الآفاق إيمانَا
نبعٌ نَقِىٌّ وربُّ العرش فَجَّرَهُ   يبدّد الجهل يجلُو منه ما رَانَا
هذا التُّراثُ لِرُسْل الله كلّهمُ   يقيمُ للعِلْم والأخْلاق ميزانَا

ثم تحدث الشاعر عن مراحل نشأة التعليم فيه فكان الأستاذ يجلس على كرسيه بساحة الجامع الأزهر يفيض علمه الغزير على طلابه ، ثم بعد ذلك

نشأت المعاهد الأزهرية التى أصبحت محلاً للعلم والثقافة ترفع من شأن طلابها وتبلغهم سبيل إكمال التعليم فى الجامعة ، ووجدنا الجامعة الأزهرية تواصل مسيرة التعليم حتى تؤتى الثمار المرجوة منها .

يقول الشاعر :

ومِنْ شُيُوخٍ على كرسيِّه جَلَسُوا ... بساحه وأفاضوا العلم تِبْيَانَا

إلى مَعَاهدَ صارتْ للعُلا مثلاً ... وللثقافة والتَّعليم عُنْوَانَا

إلى ينابيعَ عُلْيَا جاد هاطلها ... وبلّغت سابحَ الطُّلاب شُطآنَا

بخير جامعةٍ تتلو مَعَاهِدَهُ ... وتنضج الزَّرع والأثمار ألوانَا

وتحدث الشاعر عن مواكبة الأزهر للتطور ، فلم يقتصر التعليم فيه على العلوم الشرعية ، بل شمل العلوم الحديثة كالطب والصيدلة والهندسة ، والرياضيات ، والفلك والكيمياء وغيرها من تلك العلوم التى تخدم الدين والدنيا .

يقول الشاعر :

تُواكبُ العصرَ فى طبٍّ وصيدَلَة ... وكلُّ علم بهِ تهتَمُّ دُنْيَانَا

وليس هذا بديعًا فى دراسته ... وإنما كشفَ المكنونَ أزْمَانَا

فكم علومٍ به ذاعَتْ مكانتُها ... رياضةٌ - فلكٌ - كيمياءُ أفنانَا

وواصل شاعرنا حديثه عن منارة الشرق (الأزهر) ، فذكر شيوخه المبرزين الذين قاموا بتدريس العلوم العصرية ، وشغفوا بها ، بل وضعوا بصمات واضحة عليها ، واستفاد منهم طلابهم ، وأسعدهم الله ، وأفاض

عليهم كرمه حين هيأ لهم هؤلاء الشيوخ الذين أفادوا طلابهم بهذا العلم الغزير ، وأعادوا مجد الإسلام الذى يدعو إلى التقدم ، ولا يعارض حديث العلم .

يقول الشاعر :

وكم شيوخٍ بتدريس لها شُغفُوا ... وأحدثوا ثورةً فيها وبُركانَا
وأسعدَ الله مَنْ فازوا بدرسهمُ ... وهذّبوا بعميقِ الشَّرح أذْهَانَا
أذاقَنَا الله ذوبًا من مَعِينهمُ ... مدُّوا لنَا يدهم بالكوب ملآنَا
وهم يُعيدون بالإسلام مجدَهُم ... ولا ينافى قديمُ العلم حِدْثَانَا

ثم تكلم الشاعر عن جهود علماء الأزهر الذين عاشوا فى خدمة القرآن بعد أن حفظوه ، ووعوه فى قلوبهم وعقولهم ، ثم قاموا بتعليمه لطلابهم ليواصلوا مسيرة الدعوة إلى الله ، فهم الدعاة الذين يقولون الحق لا يخشون فيه لومة لائم ، وهم مالكون لزمام الفصحى يتكلمون بها فى المجالس ، ويحافظون عليها ، ويصدون عنها هجمات أعدائها ، ومن يحاول النيل منها ، فهم كالكواكب التى يهتدى بها ، ومعها يكون الأمن والأمان .

يقول الشاعر :

فالأزهريُّون للقرآن قد حفظوا ... وانسابَ فى قلبهم فهما وُذكْرانَا
وقد تدارس خيرَ الكتب طالبُهُمْ ... تغذوه فكرًا وتستهويه وِجدانا
بهمْ يقوم عمادُ الدين ترفعه ... أعلامُهُمْ فى ربوع العلم حُسَّانَا
همُ الدعاة بصوت الحق قد جَهَروا ... والدينُ من عزمهم ماهاب إنسانَا

هـمُ العبــاقرة الفصحى مقاولُهُـمْ ترى بهم فى مجال القول سحبـانَا
أمّ اللغــات حموهاَ وسْط معترَكٍ ردَّتْ رماحُهُـــمُ ظلمًــا وعدوانَا
هُـم الكواكبُ تهدى فلك معرفةٍ للعـــالمين وتُـؤتى الأمـنَ رُبَّـــاناَ

وتحدث شاعُرنا عن المعهد الأحمدى بطنطـا الـذى تلقـى فيـه العلـم فـى بواكير حياته العلمية .

وقصيدته فى المعهد الأحمدى بعنوان (معهدى) تحـدث فيهـا عـن هـذا المعهد العملاق الشامخ الذى حافظ على دراسة علوم الدين الإسـلامى بتعليـم القرآن وعلومه وسنة الرسول ﷺ لطلابه تأهيلاً لهم للقيـام بـالدعوة الإسـلامية مع امتلاكهم زمام اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

ثم خاطب معهده الـذى تلقـى فيـه العلـم مـن أجـلاء الشيـوخ وعـرف مبادىء الإسلام وتعاليمه التى ينال من يتعلمها أسمى الرتب ، فالمعهد الأحمدى هو الحصن الذى حمى علوم الإسلام وحافظ عليها ، ولا يزال .

يقول الشاعر :

هو أصلٌ للنيِّـــرين ويهــــدى قلب صبٍّ بشــرعة الإسْـــلاَمِ
أنتَ تحمى ميراث خـير وَصَــاةٍ ورسُــولٍ ينـأى بهـم عن حَـرامِ
وقلــوب مـــلأى بنور صفــاءٍ وطدت -بالعكُوف- دينَ السَّلامِ
بكتـابٍ وسنةٍ هـــمْ هُــداةٌ للحيارى فرسـانُ نـادِى الكَـلامِ
كم شفيتُ الغليـلَ منكَ برشفٍ عـن جليل من الشُّـيوخ وَهَــامِ

وتعـــاليمَ نـــالَ مـــن يجتليهَـا　　فى علوم القرآن أسْـمى وِسَـــامِ
يا فَخـــارى وحصـــنَ دِينى حقًا　　أنت نـبراسٌ باهـــرٌ للأنَـــــامِ

كما تحدث عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التـى عمـل بهـا كثيرًا فيما بعد وبين شهرتها ، ومكانتهـا فـى المملكـة العربيـة السعودية فهـى مؤئل لدراسة علوم الإسلام يلجأ إليها طالبو العلم ، وركز الشاعر على جهود الأساتذة المصريين الذين عملوا فيها مما قواها ونهض بهـا حتـى تخرجـت فيهـا بواكير طيبة من أبنائها الذين تلقوا العلم من هؤلاء الأساتذة المصريين الذيـن لم يألوا جهدًا فى سبيل نموها وازدهارها .

يقول الشاعر :

وجامعة الفـــذِّ الإمـــام محمـــد　　يفوحُ شذاها فىالرياض مُضَـوَّعا
تراهَا لهـذا الدِّين والروح موئـلاً　　بها يجـد الصَّادُونَ للعـلم مَنْبعَـا
زرَعْنَـا بهـا غُرَّ العلومِ وعودُهَـا　　نما بالمعـالِى وازْدَهـى ثم أينْعَـا

ثانيًا : تقدير العاملين لنصرة الإسلام مدحًا ورثاءً

مدح الشاعر بعض الشخصيات الإسلامية ، وتناول جهودها فى نشر العلم والثقافة ، وتأصيل مبادىء الإسلام ، وقيمه التى تنهض بالبشرية ، وتعد المصلحين والدعاة والهداة لها .

كما رثى بعض الرجال الذين كان لهم دور بناء فى حياته ، وفى إعلاء كلمة الإسلام ، وصون علومه ، ونشرها .

ويرجع ذلك إلى ما لهؤلاء الرجال ممدوحين ومرثيين من صلة وثيقة بالشاعر .

ومُعظم مَن مدحهم أو رثاهم من أساتذته الذين تتلمذ عليهم فى المراحل التعليمية المختلفة أو التقى بهم بعد ذلك ، ومن كانت بينه وبينهم صلة مودة ، ويتجلى ذلك واضحًا فى المدح والرثاء .

(أ) المدح :

يلاحظ على هذا المدح أنه يدور حول الأزهر كجامعة ومؤسسة إسلامية كبرى لها دورها فى إثراء الحياة المصرية والعالمية بالعلماء ، والدعاة وكان لهؤلاء الممدوحين دور وأثر فى إعداد المتعلمين فيها ، والوافدين عليها ، أو الإسهام فى بناء هذه المؤسسة التعليمية والحفاظ عليها ، والنهوض بها .

ومن أساتذة الأزهر الذين مدحهم الشاعر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد نايل عميد كلية اللغة العربية سابقًا ، فهو علم معروف لا يخشى فى الحق لومةَ لائم ، وقد أفاد الشاعرُ منه لكثرةعلومه ، ومعارفِه ، فهو رائد من روَّاد الأزهر تعلّم فيه ، وعلّم أجيالاً كثيرة .

يقول الشاعر :

أستـاذنا الأوْفى علومًـا جمَّـةً   يـأوِى إليـهِ مـنْ يـرومُ مَنَـاهِلاَ
شاهدتُ فيه البحرَ يقذفُ موجُهُ   درًّا مِـنَ الـلألاء حَـاكَ غـلائلاَ
الأزهـرُ الوضـاحُ يعرفُ عـزْمَهُ   ويراهُ سيفَ الحقِّ يصرعُ بَاطِلاَ
رفَعتْـهُ همتهُ وَمَبعـثُ فكـرِه   فغَـدا كريْعانِ الرَّبيـع خمَـائلاَ

ومدح شاعرنا أستاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى(١) عميد كلية اللغة العربية بأسيوط سابقًا ، والأستاذ المتفرغ بكلية اللغة العربية بالقاهرة بقسم الأدب والنقد ، وهو شاعر كبير وأديب ولغوى محقق مدقق .

وقد ركّز الشاعر كعادته على الأزهر الذى تعلّم فيه ممدوحُه وعلّم بعد ذلك أحيالاً كثيرة يقول :

فى حِمَى الأزهر المؤثَّل رَوحٌ   وأريـجٌ من النَّسـائم هَبَّـا
شـهدتْ سَاحُه ظـهورَ إمـام   عبقـرىٌّ يصـونُ دُنْيـا وعُقبَى

وبين الشاعر أن د. خفاجى اطلع على كتب التراث ، وقرأ دواوين الشعراء مما أثرى فكره ، ومكّن له فى اللغة العربية .

يقول :

صاحب الأقدمين فى غرر الدّهـ   ـر ووافى الحيـاةَ حُقبا فحُقُبَـا

---

(١) قيلت هذه القصيدة فى الاحتفال الذى أقامته رابطة الأدب الحديث فى عيد ميلاد د. خفاجى الثمانين أطال الله فى عمره .

ويين الشاعر أن د. خفاجى تمكن من العربية لغة القرآن الكريم وبرع فيها ، وأخرج مكنونها فى مؤلفاته الأدبية التى أثرت الأدب الرفيع فى لغة الضاد ، وأوضحت أسرارها ، وأزالت ما لحق بها من ظلم على مرِّ العصور ، فهى أفضل اللغات وأسماها .

يقول :

لغةُ الضَّاد حَاكَ فيها افتنانًا ذاعَ من سِرِّها العَريق المخَبَّا
وأمَاطَ اللِّثام عَنْ ثغرها البسّام يذكى رُضَابَها المسْتَحبَّا
منعوها حُقوقها فأتَاهُم بحجاج يُزيل غبْنًا وَرَيْبَا
بلسانٍ عَلَى الْلغات تهادَى وتسامى أهلوه عُجْمًا وعُرْبَا

ومن الأساتذة الذين مدحهم الشاعر فضيلة الأستاذ د. إبراهيم البسيونى(١) – رحمه الله – الأستاذ فى قسم اللغويات بكلية اللغة العربية ، وقد ركز الشاعر فى مدحه على أثره فى اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، فقد أخلص لها الممدوح ، وتعمق فيها ، وأجاد ، وعلّم أجيالاً كثيرة ، وأماط اللثام عن كثير من أسرارها ومعضلاتها ، ثم طلب منه أن يهتم بقضية تعريب العلوم بنقلها إلى اللغة العربية لما لهذه اللغة من مكانة ، وقدرة على استيعاب مستحدثات الحضارة ، وتحقيق شخصيتنا العربية ، يقول الشاعر :

سمعتُ الحقيقة إذْ تصدعُ فقلت : به يصعدُ المجمعُ

---

(١) قال هذه القصيدة بمناسبة تعيين فضيلته عضوًا بمجمع اللغة العربية وهى بعنوان (فوز أروع) .

أأستـاذَنا الملهـمَ العبقـرىّ   يتيـهُ بـكَ الأزهـرُ المبـدعُ
وأصـل اللغاتِ عَلاَ شـأْوُها   وفى عُنْفُـوَانِ الصِّبا ترجـعُ
غرسْتُـمْ بهَـا عِلْمكُمْ باسقًا   ونجنى الثمـارَ بمـا تـزْرَعُ
عرفنـاكَ تبـذلُ مـن همَّـةٍ   قليـلاً من اللَّيـل ما تهجَـعُ
تميـطُ اللِّثـامَ عنِ المشكلاتِ   وآبـقُ أعنـاقهَا يخضـعُ
فقُـمْ للمجَـامِعِ قُـدْ رَكْبَهُمْ   فأنت لهـا القَـائِدُ الأشـجعُ
وهيِّـىء لتعريب كُلِّ العـلومِ   وبـدِّدْ مخـاوفَ مَنْ يَفْـزعُ

ومدح الشاعر الأستاذ الدكتور يوسف الضبع الأستاذ فى كلية اللغة العربية ، فأثنى على علمه ثناءً عاطرًا ، وختم هذا الثناء بقوله :

لم ألق فى صفوة العُلماء أمثلة   تكـون نـدا لـه إذ ذاك ممتنـعُ

ووصفه الشاعر بالتقوى ، والورع ، والوفاء والمروءة وإذا صاحبه إنسان لقى كل ما يتمناه من ذلك ، فإن الله قد أعطاه حميد الخصال التى وصى بها الأنبياء فيما شرعوه للناس ، وجاءوا به .

يقول الشاعر :

لهُ يدٌ فى التقى طولَى بما فَعَلَـتْ   ومكرماتٌ يحلِّى جيدَها الـورَعُ
فيـه الوفـاءُ بعـين الجِد تكلـؤُهُ   مـروءةٌ لجميـعِ الخلقِ تتَّسِـعُ
كنْ مِنْه فى صحْبة تلـقَ المُنـى أبدًا   تأتِـى إليـكَ بما تهوَى وتضْطَلِـعُ
فإنّ ما قد حبـاهُ اللهُ من شـرفٍ   إرثُ النّبيين ما جَاءُوا وما شَرَعُوا

وللشاعر قصيدة مدح فيها الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - رحمه الله - بمناسبة تكريم محافظة الدقهلية له باعتباره أبرز الشخصيات من أبنائها .

تحدث الشاعر فيها عن الأزهر ، والمعاهد الأزهرية التى انتشرت فى ربوع مصر ، ودخلتها العلوم الحديثة بجوار ماكان يدرس فيها من علوم الفقه، والتفسير ، والحديث ، وغيرها من علوم الإسلام ، واللغة .

يقول الشاعر :

بَهَر النهى هذا الإمام الأكبرُ   فى عهده نَشَر الضياءَ الأزهرُ
ومضتْ بموكبه العلومُ بأسرها   رفعت لواءَ الحق وَهْو مظَفَّرُ
وغدتْ معاهدُه تبثُّ تليدَها   وطريفَها والعصرُ زاهٍ مُزْهِرُ

وأشار الشاعر إلى تخريج الدعاة الذين يوجهون الناس ، ويبصرونهم بالحياة فهم الهداة للمسلمين إلى طريق الخير ، وأوضح الشاعر ما للإمام الأكبر رحمه الله من فضل فى النهوض بالأزهر ، ومعاهده ، وزيادة عدد طلابه المقبلين عليه وتنقية أفكارهم بحيث ترشد ، ولا تنحرف .

يقول الشاعر :

حَمَلَت بِهِ أيدى الهداةِ مشاعلاً   عرفَ الأنامُ بِهَا الحياةَ وأبصروُا
ما كنْتُ أعلمُ أنَّ منكَ حياتهُ   حتى نَمَا طُلاَّبُه واسْتكْثَروُا
فبِكَ اسْتقامَ الفِكْرُ أدْركَ رُشْدَهُ   لا يلتوى خطوًا ولا يَتَعثَّرُ

وقد أوضح الشاعر أمورًا أخرى تتصل بنهوض شيخ الأزهر رحمه الله بالدعوة الإسلامية فى العالم كلّه ، وما كان يقوم به من جهد فى المنظمات

الإسلامية العالميـة ، ورابطة العـالم الإسـلامى ، وغيرهـا مـن مجـالات الدعـوة المختلفة ، وتحدث الشاعر عن أخلاقه التى هى أخلاق الإسلام ، ومـا اتصـف به من الصفاء ، والحلم ، والمروءة ، وهو مـن كبـار شـيوخ الأزهـر ، ورجالـه الذين أسهموا فى نهضته .

يقول الشاعر :

كم من منـــابرَ تعتليهَـا ناهضًـا بالدعوةِ الكُـبرى تحـضُّ وتـأمرُ
فى العـالَمين لكُمْ عزائم أطْلَعَتْ بَـدْرًا إذا ما السَّـالكُونَ تحيَّـروُا
تُرسِى الدَّعائمَ فى الحياةِ وكفكُمْ فى كلِّ مكرُمَـةٍ تخـطُّ وتَسْـطُرُ
ذو مَبْـدإٍ تهبُ الأمورَ صَلاحَهَا تعنو عظـائِمُها لديـكَ وتصـغُرُ
وتحيطُهـا فى حكْمَـةٍ وَهدايةٍ فتَظلُّ تأخُـذُ بالقـلوب وتأسِـرُ

وفى تحية وجهها إلى شيح الأزهر الجديد فضيلة الأستاذ الدكتـور محمـد سيد طنطاوى نوَّه بهذه المؤسسة الإسلامية العريقـة وهـى الأزهـر الـذى يقـوم على تدريس علوم القرآن والحديث للناشئة ، فيخرج الدعاة ، وغيرهم من العلماء الذين يقومون بنشر الدعوة الإسلامية ينقذون بها الناس مـن الضلال إلى الهدى ، وإلى جانب تدريس العلوم الدينية يقوم بتدريس اللغة العربيـة (لغة القـرآن) التى ظلت بفضل رعاية الأزهر لها قائمة أمام اللغات الأخرى التى تتساقط من حولها .

يقول :

إليك - إمامَ المسلمينَ - تهانيـا ملأتَ طباق الأرضِ بالعلم هاديًا
رأى الأزهرُ المعمورُ أنكَ تعتـلى به مطلعَ الإسلامِ كالبـدرِ زاهيًا

به الوحىُ يتلَى من كتابٍ وسنةٍ ... وَيصقلُ فى بيت النُبوَّاتِ داعيَا
ويُنجبُ للدنيا وللدِّين فتيةً ... كواكبَ فى الآفاقِ يُرْشِدْنَ ساريا
وَيَجرِى لِسَانُ العُرْبِ طلْقًا حديثُهُ ... يُبيِّن أسْرَارَ الرِّسَالَةِ رَاوِيَا
تُزَلزَلُ أقدامُ اللغاتِ أمامَهُ ... وِيَبْقى له القِدْح المُعَلَّى مُبَاهِيَا

وتحدث الشاعر عن عبء المسئولية التى أنيطت بشيخ الأزهر إبَّانَ ما يحدث فى العالم الآن من انهيار القيم، والمبادىء، مما يستوجب الإصلاح لاسيما بين الشباب الذى فقد التوجيه فتبدّلت أخلاقه، وشق عصا الطاعة على الأسرة والمجتمع، فلا يقبل النصح، وصار متعثر الرأى، وهو يحتاج إلى رعاية، وتوجيه يصلح أخلاقه، وتربيته العلمية حتى يعود إلى رشده.

يقول :

حَمَلْتَ على تقواكَ عِبْءَ أمانةٍ ... تسيرُ بها كالفلك فى اليم عَاتيا
لقد جئتَنا والعصرُ يحتاجُ وقفةً ... تعيد له تلك السنين الخواليَا
تفشَّتْ به الأدواءُ يحتاجُ منكمُ ... يَدا مثل عيسى باعثًا ومُداويَا
أتاهَا شبابٌ ضاعَ منه قيادُهُ ... تبدلَ أخلاقًا ولم يدر ماهيَا
وشقَّ عصَا طبعٍ وأفلتَ وغيَّه ... وصار جمُوحًا عاثر الرأى خاويَا
على صالحِ الأخلاق يدركُ رُشْدَهُ ... وترعاه نبتًا فى رُبا العلم زاكيَا

وأشار الشاعرُ إلى حال المعاهد الأزهرية، وتطلع المسلمين إلى إلحاق أولادهم بها لينالوا شرف العلم الإسلامى، وهو غاية سامية، ويأمل الشاعر فى تحسن حال طلاب الأزهر بإعداد المدرسين إعدادًا كافيًا، والعناية بحفظ

القرآن الكريم ، وإصلاح مناهج التعليم فى الأزهر بالرجوع إلى كتب التراث وعرضها عرضًا علميًّا عصريًّا حتى يفيد منها الطلاب ويتخرجوا بصورة قوية نافعة .

يقول الشاعر :

قلوبُ جميع المسلمين تألَّفَتْ على نهضةِ الإسلام إذ كنتَ آتيَا
معاهدُنا يهفُو إليها ركابُهُمْ بأفلاذهم حتى ينالُوا المعَالِيَا
تباطأَ منها السَّير وَهْنًا لعلَّهَا تجددُ عزمًا واسعَ الخطو عادِيَا
وإنّ قشيبَ الدَّرس رَثٌّ لعَلَّكُمْ ستحيون بالروحِ الحديثة باليَا
ألا نَظْرَةٌ منكم فيبرأ سُقمُهَا ويثلَجَ صَدْرٌ بات من قبلُ شاكيَا
فتملأَ بالقرآن صدرَ شبابِها وتوردهمْ وردَ الأوائل صافِيَا
ونقطفَ مِنْ أثمارهَا غَرْسَ كَفِّهِمْ ونجنى مِنْ أكمامِها الشُّهد دانِيَا

وأشار الشاعر إلى حال جامعة الأزهر فهى تحتاج إلى مزيد من الرعاية والاهتمام لا سيما وقد ظهر ضعف بعض خِريجيها ، يقول الشاعر :

وجامعة أفضتْ إليكَ بسرِّها تألّق فيها العلم مَا كَان وَاهِيَا
لها فيضُها للقادمين لِرِفْدها وتأملُ ألا تُخْرمنَّ الغوادِيَا

ثم نقل الشاعر حديثه بعد ذلك إلى إصلاح مجمع البحوث الإسلامية الذى يحسم النزاع عندما يختلف المختلفون ، وتكثر الآراء ، وتتشعب ، فيرجع إليه ، فهو كعصا موسى التى أبطلت سحر السحرة .

فهو يأمل تجديد أعضائه بإمداده بعناصر من أعلام العلماء المبرزين الذين بلغوا من العلم بكتاب الله وسنة رسوله مبلغًا عظيمًا فى إخلاص لله عاكفين على البحث والدرس، وعند تحديث المجمع ينهض، وتكثر روافده، فيقوى رأيه، ويواكب الأحداث الجارية، ويطرح حلولاً لمشكلات العصر، ويرجو الشاعر تشجيع البحوث العلمية التى تكشف عن جوهر الشريعة الإسلامية الغراء، ويأمل أن تطبق أحكامها، وبذلك ينهض المجتمع، ويخلو من المتطرفين والجهلاء، والعصاة .

يقول الشاعر :

وَمَجْمَعُنا القدسىُّ مرجعُ أُمّةٍ   إذا اختلفتْ ألقى عصاهُ محاجيَا
أَذِعْ ذِكْرَهُ فى الخالدين مكانةً   بثاقب أعلام تهزُّ الخوافيَا
بأجنحةٍ للرُّوح طارُوا وطوَّفُوا   وباتوا قيامًا فى دُجى الليل ساجيَا
وفَجِّر طَهورًا من ينابيع رَأيه   فما آسِنُ الآراءِ يَصْلُح راويَا
وأغْزِرْ عطاءً من أصيل بحوثه   يكُونُ به حكمُ الشريعة قاضيَا
وفقهٍ لأحكامِ العَدَالة فى الورَى   يسودُ فلا تلقى أثيما وعاصيَا

وقد مدح شاعرنا فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم حينما تولى رئاسة جامعة الأزهر، وركز فى مدحته على عراقة جامعة الأزهر، فأصلها ثابت، وليس لها مثيل بين الجامعات فى العالم، وهى الآن تستعيد انطلاقها بالعلم . يقول الشاعر :

وأزهرنا يستعيد انطلاقًا   ويُخصبُ بالعلم أجيالَها

بجــامعةٍ أصْلُهمـــا ثـــابتٌ ولم يلـــد الـــدهرُ أمثالَهَـــا

وأبان الشاعر فى مدحه الجانب الدينى الذى يتصف به رئيس الجامعة فهو سيديرها بالعدل ، ويرفع الظلم الذى حاق بكثير من أهلها ، ويبعد الأهوال عمن أصابهم الأذى ، وهذا التصدى ليس سهلاً بل يحتاج نفسًا أبيه لها ميزات خاصة للقيام بها توافرت فى الرئيس الجديد .

يقول :

بـدا رائـدًا سـامقًا شـأوهُ يُقيـم على القِسْط منوالَهَـا
يَحطُّ المظالِمَ يمحو الأسَـى يـردُّ الخطـوبَ وأهْوَالَهَـا
فأحمـدُ هَاشـمٌ الهـاشِمىُّ بروحِ الأبىِّ تصـدَّى لَهَـا

وأشار الشاعر إلى تقوى آبائه ، وأجداده ، فى قوله :

فآبـاؤه من قـديم العهـود يقـومُون لله حُفَّالَهَـا
تراهُـم شـيوخًا لهـمْ رَهبَـةٌ يُحبُّـون أخرى وأعْمَالَهَـا

والشاعر يشير إلى الحديث الشريف الذى يبين القرآن ، وهو تخصص رئيس الجامعة الدقيق ، فالسنة تفصِّل مجمل القرآن ، والممدوح يستخدم القرآن، والسنة ، وعلومهما التى غزرت عنده فى وعظ الناس ، وهدايتهم بالخطابة الدينية والندوات ، والمحاضرات التى تميز فيها بالعبارة القوية العذبة التى تشوق السامع لها ، وهو فى ذلك يدافع عن الحق ، ويواصل المسيرة التى خُلق لها أهل الفقه فى الدين ، وهى الدعوة إلى سبيل الله بالحسنى ، والعمل الصالح ، والحكمة .

يقول الشاعر :

وعِلمُ الشريعة بحرٌ خِضمٌ يفصِّل للنّاس إجْمَالَهَا

ويهدى به الله مُسْتلهمًا سَنَا الرُّوح يُصلحُ أحوالَهَا

دفاعًا عن الحقِّ فى حكمةٍ ودعوةَ حُسنى خُلقْنا لَهَا

ووصف الشاعر ممدوحه بصفات إسلامية منها الوفاء لإخوانه ، وأصدقائه ، ولذلك لا يجعل بينه وبينهم حجابًا ، فهو يشاورهم فى الأمور ، والشورى مبدأ هامّ من مبادِىءِ الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾(١) .

ويتحدث عن نبذه للخلاف ، والفرقة ، ودعوته إلى وحدة الصف فى رحاب هذه الجامعة العريقة ، ثم خلع عليه بعض الصفات الفاضلة كالتواضع ، وحسن اللقاء ، والبشاشة فى وجه ضيفه ، ومحدثه ، واحترامه له وتقديره ، يقول :

هنيئًا لكمْ أن يكون الرئيسُ أخًا لْلأحبة أوفى لَهَا

قيادةُ شُورى بها تستقيمُ حياةٌ يخفِّفُ أثقَالَهَا

يَرُصُّ الصُّفُوفَ وبَعْضٌ لبعضٍ يَشُدُّ الأكُفَّ رعَى آلَهَا

كثيرُ التواضعِ يَحيا به رقيق المشاعرِ مِفْضَالَهَا

إذا رُمْته يزدهيك اللقاء يُعيدُ لنفسك إجْلاَلَهَا

---

(١) سورة الشورى : الآية ٣٨

وقد هنأ الشاعر الدكتور محمود زقزوق الأستاذ فى كلية أصول الدين ، وعميدها السابق بمناسبة تعيينه وزيرًا للأوقاف .

بدأ الشاعر تهنئته بأن البشرى عمت وزارة الأوقاف أملاً فى النُّهوض برسالتها ، وإصلاح حال العاملين فيها ، ورفع الظلم عنهم ، يقول :

بهـا تعيـد صـلاحًا ‏ يُرجى بكَ الإنصافُ
والأمنيـاتُ خُطـاها ‏ نحـو الرشادِ خِفَـافُ

وألمح الشاعر إلى أثره العلمى ، والتعليمى ، والإدارى فى عمله السابق فى كلية أصول الدين .

فقال :

أصـول دين ودنْيـا ‏ يفيضُ منها ارتشاف
عميـدُها الأريحـىُّ ‏ وصـيقلٌ وثَقَـافُ

ثم طلب منه العناية بشئون هذه الوزارة التى أهملت فى السنين السابقة، وطلب منه الاهتمام بالدعوة الحقة التى هى مهمة الأوقاف ، وأن يزيل عنها ما علق بها من مثالب مسترشدًا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وأوضح الشاعر أن دعوة الإسلام تقوم على السماحة لا العداء ، ففيه الأمن ، والأمان ، والتلطف ، وحسن الحوار بالفكر ، والمنطق لا بالقسوة ، والعنف .

يقول الشاعر :

فاكس الوزارةَ زرعًا　　　تنجابُ سبعٌ عجافُ
وانْهَض بدعوةِ حَقٍّ　　　ينتابُها الإجحافُ
تحدوك رُوح كتابٍ　　　وسنّةٍ لا اختلافُ
الدينُ ليس عِداءً　　　تغتالهُ الأسيافُ
الدينُ ظلةُ أمنٍ　　　وبلسمٌ وسلافُ
سماحةٌ وحوارٌ　　　ومنطقٌ واعترافُ

ومدح الشاعر أستاذه فضيلة الشيخ عبد المجيد جميل أستاذ اللغة العربية بمعهد طنطا الثانوى ، حين ترقى إلى شيخ معهد المحلة الكبرى الإعدادى الثانوى .

وقد أشاد الشاعر بعلم أستاذه ، وأخلاقه ، وصفاته التى هى من صفات الإسلام ، ورسوله ﷺ ، يقول الشاعر :

خلالٌ من رسول الله وحى　　　تسلْسَلُ مِنْ معين منْهُ ذابَا
وخُلُقٌ مثلُه خُلقٌ عظيمٌ　　　أعادَ بِهِ سَمَاحًا مُسْتَطابَا

وتحدث الشاعر عن علم الشيخ وتمكنه من العربية لغة القرآن الكريم نحوًا ، وصرفًا ، وبلاغة ، وأدبًا ، وغيرها ، وجعله مثل الأوائل ، فهو يشبه قس بن ساعدة الإيادى فى فصاحته ، كما يشبه عمرو بن قمبر (سيبويه) رئيس نحاة البصرة المعروف ، وهو كعبد القاهر الجرجانى فى بلاغة عبارته ، وقد أورث هذا العلم لأبنائه الطلاب .

يقول الشاعر :

إذا حـــدثتنا خلت الإيـادى ... أمام القـوم فى فصحاه آبـًا
عليـم بالبـــلاغة عبقــــرى ... لعبد القـاهر انتسب انتسـابـًا
ولو عمـرو رآك لقـــال إنــى ... رأيت مثالنـــا فى النحو ثـابا
بلغنـا فوق مضربك الأمــانى ... وحققنـا على يـدك الطـلابا
فإنــا فى ظلالك قـد رشـفنا ... بمعهـــدنا من اللغـــة اللبـــابا

ومـدح الشـاعر أستاذه الشيخ (أبـو زيـد شـلبى) أسـتاذ الحضــارة الإسلامية بكلية اللغة العربية الذى درس له سنة ١٩٦٢م ، وقد ذكـر الشـاعر أن ممدوحه متعدد المواهب فى العلوم الشرعية كالفقه ، والتفسير ، والحديث ، مـع فصاحـة لسـانه ، وبـين أنه فىعلـوم الحضـارة عميـق الـدرس ، والبحـث يكشـف أســرارها أمـام تلاميـذه ، وأمــام البـاحثـين فيهـا بمـا يبهرهــم ، ويحوز إعجابهم .

وتحدث الشاعر عن أخلاق أستاذه التى هــى أخـلاق الإسـلام ، فجعلـه إمامًا لها ، وبين إعجاب الناس به ، وتطلع الدنيا إليه ، وتناقل الاجيال أخباره، أما الأزهر الذى ينتمى إليــه فالعـاملون فيـه ، وأبنـاؤه الطـلاب الذيـن علمهـم يعجبون بعمله ، وفضله ، ولذلك فهـم يثنـون عليـه ، ويلهجـون بذكـره آنـاء الليل ، وأطراف النهار .

يقول الشاعر :

ذُو منطقٍ قـال الرسـولُ بشأنهِ قـولاً فكانَ حـديثُه مـا قيـلاَ[١]

ولدينـه السَّمح الحـنيف رايتُـه يحـمى الحيـاضَ ويكلأُ التنزيـلاَ

فأبو حنيفةَ - إذْ تشاءُ - ومالكٌ فـى الفقـهِ حجتُـه إذا ما سِيلاَ

وحضـارة الإسـلامِ شـادَ قلاعَهَا تُبـدى لعيـنِ النّـاظرين ذهُـوُلاَ

من كلِّ معجزةٍ تُحـدِّث أختَهـا بالمجـدِ فى شُـرف العـلاءِ أثيـلاَ

أمَّا عن الأخـلاق فهْوَ إمامُهـا عنَت الوجـوهُ له فـلا تحـويلاَ

ألفيْـتُ من آدابهُ مُثـلَ العُـلاَ تختـالُ فى ثـوبٍ يـرفُّ جميـلاَ

والأزهرُ الوضَّـاحُ هـزَّ جنـاحَه وحبـاه من فخـرٍ بـهِ إكليـلاَ

ومدح شاعرنا الشيخ محمد إبراهيم الحفناوى شيخ معهـد المحلة الكبرى وذلك فى عام ١٩٦٥م حينما كان الشاعر يعمل مدرسًا بهذا المعهد منذ سـنة ١٩٦٤ م .

أثنى الشاعر على علم الشيخ ، وفضله بين العلماء ، ثـم أثنـى علـى أخلاقـه التى هى من أخلاق الإسلام ، وعرج كعادته علـى الأزهـر الـذى يفخـر أهلـه بهذا الشيخ ؛ لأن علمه امتداد للعلوم الإسلامية ، ومستمد من نبينا محمـد ﷺ الذى كان لتسميته باسمه عليه السلام الخير والبركة والعلم النافع له وللناس .

---

(١) يشير بذلك إلى حديث الرسول ﷺ : " إن من البيان لسحرا " .

يقول الشاعر :

العلـــمُ يمشــــى فى ركـــا   بك ظـــافرًا رفـــعَ البُنـــودْ
يُثنــــى عليـــــكَ بألْسُـــــنٍ   فُصـــحى ومنطقُهـا سَـــديدْ
ومـــكانة فـــى الخـــلْقِ مـــا   ثلـتِ الرَّسُـــولَ لــه تُعيـــدْ
وَهُـــدًى كريعــــان الرَّبيـــ   ـع الطَّلْقِ يبسم عن نضيـــدْ
هـــزَّ الجنـــاحَ الأزهـــرُ الـ   ـمعمورُ فـــى أُفُـــقٍ مَـــديدْ
لَمَّـــا طلَعْـــــتَ وَوَحْـــىُ عِلـــ   ـمِكَ كالرّسـولِ بـلا حُدُودْ
أرجَعْــتَ عَصْـر " مُحمــدٍ "   عَصْـــرَ المفـــاخرِ والسُّعُودْ
فلعَـــــلَّ فى اسمـــك سـرَّهُ   وحـــديثُهُ نَضِـــرُ الـــورودْ

ومن الشخصيات التى مدحهـا الشـاعر فضيلـة الشيخ إبراهيـم عجـلان وكيل معهد المحلة الكبرى الدينى بمناسبة سفره فى إعارة .

وقد مدحـه الشـاعر بـالعلم ، والتقـوى ، ودماثـة الخلـق ، وأوضـح أنـه سينشر علمه ، وفضله بين طلابه فى البلاد التى سيسـافر إليهـا ، حيـث يذيـع صيته ، وتملأ أخباره الآفاق ، فهو داعيـة إلى الله ، وبفضلـه يرتفـع اسـم مصـر عاليًا بين الأمم .

يقول :

يســـير وفى يمنــــاهُ تقـــوى جليـــلةٌ
وفيهـا - مع التقوى - هُدى العلم باديَـا

أبِى أنْتَ فى الحــقٌ المثــالُ لديننـــا
وأخـــلاقِناَ - كالرُسـل - يا لَكَ سَـاميًا
سيخْـترقُ الصَّـوتُ المجلجـلُ أُفْقَنَـا
ويـأتى إلينـا - عن فخـارِك - رَاويَـا
يُبشّـرنا أنـا فتحنَـا مَجـاهلاً
للاسـلام والتـاريخُ يكتـب ثانيَـا
هنـاك وفى قلـب الشـعوب سيعتـلى
حـديث كتـاب الله إذ كنْـتَ دَاعِيَـا

وبين أثر الممدوح فى نشر مبادىء الإسلام التى تجعـل النـاس سواسية ، وهو ينادى بصوت الحق فى هذه البـلاد التـى طلـب للعمـل بهـا ، وافتقـدت هذه البلاد الداعية الذى يدعو لديـن الله ، ويحمـل نـور رسـالة الإسـلام إلى هـذا المكـان ، ولا شـك أن ذلـك يعلى مـن شـأن الأزهـر الـذى سيحمد للشـيخ عمله هذا ، ومعهد المحلة أيضًا الذى ينتمى إليه الشيخ عجلان سـوف يفخـر به ، ويدعو أبنـاؤه ، والعـاملون فيه له بالتوفيق ، والسـداد فـى أداء رسالته .

يقول الشاعر :

يُبـين من الإسلام بيضَ مَبـادىءٍ ترى النـاسَ أكفـاءً لديها سواسـيًا
فصوتك يعلى الحق فى كلِّ أُمـةٍ ويحيى بـلادًا عشنْ حينًا خواليَـا

ستـدعُو لدين الله مثـلْ رسوله　　وتحمل نـورًا للرسـالة هـاديًا

وأزهرُنا للناس يروى مفـاخرًا　　يـذيعُ بها حمـدًا لكم وتهـانيًـا

وحولىبمهد العلم معهدكم ترى　　دعاءَ بنيـكَ الغُـرِّ ينبُع صَـافِيًا

ودعا الشاعر فى ختام مدحته للشيخ بالتوفيق فى مهمته ، ورعاية الله له ؛ لأنه ينشر دينه ، ويُسمع الدنيا صوت الإسلام ، ومبادئه على هدى من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .

يقول :

وأسـال ربى أن يُحـقق غـاية　　يباركها التوفيـقُ والنصرُ حـاديًا

فسـرْ تحـتَ ظلِّ الله تنشرُ دينه　　وتُسمع دنيانا الحَديثَ السَّـماويًا

أمـا الشيخ الجليل نـور المتيم(١) - رحمه الله - وهـو مـن علمـاء الأزهـر الشعراء - فكـان يبادلـه شـعرًا بشـعر فى كتاباتـه إليـه ، وفـى جلسـاته معـه ، وقـد أشـار فـى هـذه القصيـدة التـى بيـن أيدينـا إلى أنـه كـان يفيـد مـن علمـه ، وحديثه إليـه ، وأنـه فـى العلـم بحـر متلاطـم الأمـواج ، وكـان الشـاعر يصطفـى منـه الـلآلىء ، وامتـدح أخلاقـه التـى تنتمـى إلى خلـق الرسـول ﷺ .

يقول :

العلـمُ عنـدكَ بحـرُه متـلاطمٌ　　طولَ الحيـاة يفيض بالإغـداقِ

---

(١) هذا الشيخ صهر الشاعر .

كم غُصْتُ فيـه بكلِّ يوم زرتُه ... ألتــذُّ مــعْ مَرْجــانِهِ بمــذاقِ
حلوٌ حديثــكَ لا إخــال مثــالَهُ ... فى النــاس من عهــدِ النبى بباقِ
أنت الفــريدُ بهِ وأنتَ المُصْطفَى ... وورثتَــه مــن عَهْــده الســبَّاقِ

وفى تهنئة لصديقه الأستاذ فؤاد سويدان(١) لنيله درجة الإجازة العالية من كلية اللغة العربية عام ١٩٦٠م عبر عن البهجة التى ظهرت ؛ لأنه كسب كبير للعلم بأثره النافع ، وإفادته فى النهوض بمجتمعه ، أما الأزهر الذى غالبًا ما يذكره الشاعر فقد فرح القائمون عليه بتخريج طلابه ، ومنهم الممدوح لأنهم ينشرون العلم فى الآفاق .

ثم عرج على خلقه الطاهر الذى هو خلق الإسلام ، وحديثه المستمد منه مما جعل له مكانة عالية .

يقول :

الكون أشرقَ يومَ نلتَ العــاليةْ ... ومشى يفــاخر للقرون الخــاليةْ
والعلــم يخطُر فى مســرَّته كما ... خطَر النسيم على الرياض الحاليةْ
وبفكرك الوثاب قد وضحت لنا ... أسرارُ حكمةِ ذى الجلال الخافيةْ
فالخُـلقُ طهــرٌ والحديثُ مُنَزَّلٌ ... ومكانةٌ فــوق النجوم الزاهيــةْ

وممن مدحهم الشاعر من إخوانه طلاب كلية اللغة العربية الشيخ عبد الغفار منصور ، وكان طالبا وزميلا له فى دراسته ، وقد أصبح الآن من

---

(١) هو من العاملين فى حقل التعليم الأزهرى منذ تخرجه حتى الآن ، وتدرج فى المناصب فى الأزهر .

شيوخ الأزهر المرموقين الذين يعملون فى خدمة الإسلام ، مدحه بالجد ، والاجتهاد فى طلب العلم ، وتنبأ له الشاعر بمستقبل مشرق لخدمة الإسلام بالعلم الدينى الذى تلقاه فى الأزهر الشريف .

حلَّ بالعلم مكانًا باذخًا   فى ذُراه سارَ فى كلِّ النواحْ
مَهْدُه فيه جَنَى ما يشتهى   وبداَ يُشرق مِنْه كالصَّباحْ
أرسل النُّورَ إلى النَّاس ضحىً   فى بيانٍ نَبَوِىٍّ وصَلاَحْ

(ب) الرثاء :

للشاعر قصائد فى رثاء عدد ممن لهم حظوة عنده وهم كُثْر .

فللشاعر قصيدة فى رثاء والده - رحمه الله - مفعمة بالأسى والحزن ، فما حدث كان أكبر من احتمال الشاعر الذى تعلق بوالده تعلقًا كبيرًا ، فراح يتحدث عن حزنه حين سمع نبأ وفاته ، وتحدث عن أيامه مع والده ، وكيف كانت مملوءة بالحب ، والصفاء ، والحديث الممتع .

وكان الشاعر يفخر بوالده بين الناس مشيدًا بأخلاقه ، وحسن تربيته له.

وذكر ورع والده وتقواه ، فقد كان يخاف الله ، ويخاف يوم لقائه ؛ لذا أعد لهذا اليوم العمل الصالح ، وكان دائمًا يذكر الموت ، ويجعله نصب عينيه ، ويعد الآخرة هى ما ينبغى أن يتجه إليه بسلوكه ، وعمله .

ثم يخاطبه بعالم الدين ، فقد كان حافظًا لبعض كتاب الله متفقهًا فى الدين ، ورحل عن دنياه إلى عالم الآخرة ، وكشف عنه الغطاء ﴿ فكشفنا عنك غطاءَك فبصرك اليوم حديد ﴾(١) .

ثم أخذ الشاعر يتساءل عن نهاية الدنيا ، وزوالها ، فكل ما فيها إلى فناء ، ولا أحد يبقى على ظهر هذه الأرض ، ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾(٢) ويجب على الإنسان أن يعمل لليوم الآخر ، ثم دعا لوالده بجنة الخلد ينعم فيها

---

(١) سورة ق . الآية ٢٢

(٢) سورة آل عمران . الآية ١٨٥

مع الملائكة والصديقين الكرام جزاء ما قدم من عمل صالح خالص لوجه الله تعالى .

يقول :

يا ليْتَــهُ لم يأتِ ناعيه لنـــا يا ويْحــهُ مِنْ لوعــةٍ وفِراقِ

ثم يقول :

وَنَأى عَنِ الأكْـوانِ نورُ نَهارِهِ وأطـلّ ليـلُ الهمِّ والإحراقِ
كَمْ كُنتُ أحملُ بَيْن جَنْبىَ فَرْحَةً مِـنْ حُبِّهِ وَأتيــهُ بين رِفَاقِي
هَا قَد نزَلتُ بِسـاحِهِ فأجارنى وعَـرَفْتُ مِنْـه سَمَاحةَ الأخلاقِ
يلقِانِىَ البِشْـر الوَقُـور بِطلْعةٍ يبـدوُ بهَـا الصُّوفىُّ دونَ نفاقِ
خافَ الإلهَ وخافَ يومَ لقـائه وأعـدّ زَادًا طيِّبَ الإنْفـاقِ
الموتُ فى ذِكْراهُ طولَ حيـاتهِ وا لله مِلءُ فـؤادِه التّـوَّاقِ
يا عالِمَ الدِّين الكبير هـل انْتهىَ هَـذا الوُجـودُ فغبت فى الآفاقِ
هَذا الوُجودُ إلى النّهـاية فلتكُنْ أعمالنـا للبَـاعِثِ الخَـلاّقِ

ثم يدعو له قائلاً :

عِشْ فى رِيَاضِ الخُلْدِ وَانْعمْ بالهنا هَــذا جَزَاءُ الصَّـالحِ المِصْداقِ

وممن رثاهم شاعرنا أيضًا فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمـر وزيـر الأوقاف الأسبق ، وبدأ المرثية ببيان عظم الخطب الذى أصاب الأزهـر ، وأثـر فى مسيرة الدعوة ، والعمل الإسلامى ، يقول :

تألّمتُ يومَ بكـى الأزهـرُ وتبـكى المحـافلُ والمنبرُ

وبموته فقدت الشريعة فارسًا من فرسانها كان يدافع عنها ، ويعمل لها داعيًا لله مبينًا أحكامها باجتهادات كثيرة تحمد له .

يقول الشاعر :

لتبك الشـــريعة مقدامهـــا إلى الحقِّ والحـــقُّ يســـتغفرُ
فكمْ مِنْ مواقفَ أبدَى بهـــا أُصـــول اجتهـــاد له تُذكَرُ

ثم أخذ الشاعر كعادته يخـاطب الأزهـر مهـد العلوم التـى يعنـى بهـا ، ويحافظ على أصالتها ، وجعله يودّع هذا المرثى الـذى يشبه الشـهاب المنير ، ولكن علمه باق لا ينتهى ، يقول الشاعر :

أأزهرَنا أنتَ مهـدُ العلوم عليها تقـومُ ولاَ تفـــترُ
تودِّع هذا الشـهابَ المنيرَ ويبقى لنـــا علمُه يبهـرُ

وممن رثاهم شاعرنا أيضًا فضيلة الأستاذ الدكتور عبد العظيـم الشـناوى أحد أساتذة كلية اللغة العربية .

تحدث الشاعر فى بداية مرثيته عن الموت يذوق كأسه كلُّ حى ، فقال:

جاءتْ إلينـــا الحـــادثاتُ تُزَلزلُ
أعمـــاقنَا والموتُ فينـــــا ينزلُ

وبعد أن تناول علم الشيخ الغزير الذى نهل منه وعـلَّ تحـدث عـن مـدةٍ قضاها الشيخ فى المدينة المنورة فى أثناء عملـه فـى الجامعـة الإسـلامية ، وفـى جوار الرسول ﷺ ، وأنه كان يبلغ رسالته للنـاس بشـرح كتـاب الله ولغتـه ،

وبين أنه علم من أعلام الأزهر ، ويظهر أثر علمه الذى تلقاه فى الأزهر على وجهه الكريم بالإشراق ، والصفاء ، والتقوى .

يقول :

شيخ الشيوخ بكل علم عامل   إذْ قلَّ فى هذا الورى مَنْ يعملُ
عند الحبيب قضيتَ أعوامًا زكَتْ   هى كالخمائلِ بيدَ أنّك أخضَلُ
حُمِّلْتَ من وَحْيِ الرَّسول مكارمًا   بَلّغتَها ويدُ النُّبوَّةِ تكفلُ
والأزهرُ الوضّاحُ فى طَلَعاتِكُمْ   أبهى من البَدْرِ المنير وَأكْمَلُ

ثم تحدث الشاعر عن صلاح الشيخ وعميق صلته با لله تعالى فهو صوفى يعرف ا لله حق معرفته ، وتتكشف له الأسرار التى وراء الحجب ، والصوفية يقولون (نحن فى لذة لو يعرفُها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف) .

ثم تحدث عن لقاء الشيخ لربه والجنة التى فُتحت له أبوابُها واستقبلته الملائكة ، ودعا له بسكنى الجنة لأن ا لله يعطى رحمته لمن عمل الصالحات ، وللصالحين أعدت الجنة نعم الثواب كمال قال تعالى:﴿ أعدت للمتقين ﴾(١).

يقول الشاعر :

قد كنْتَ صُوفيَّ المشاعِرِ عارفًا
با للهِ فى أنوارِهِ تتنقَّلُ
عِشْتَ الحقيقةَ كُنْتَ فيها مُشرقًا
بالحقِّ فى أسرارِها تتأمَّلُ

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٣

مَـــنْ لاذ مثْلَكَ لم يجدْ أثَر الدُّجى
بسمـــائه فَـــذَاكَ نعْـــم الموئِـــلُ
يلقـــاكَ ربُّك والجنـــانُ تَفَتَّحَتْ
أبوابهـــا ولك المـــلائك تُقْبـــلُ
فاسْكُنْ بها الفردوسَ لا تخش الأسى
وانْعَـــمْ فربّك واهبٌ مُتَفضِّـــلُ
وكِفَـــاءَ ما قدَّمْتَ تُجزَى رحمـــةً
فافْـــرح بما يُعطـــى الإلهُ ويُجزلُ

ورثـى الشـاعر الدكتـور حسـن جـاد الأسـتاذ فـى كليـة اللغـة العربيـة وعميدها الأسبق ، وضمَّنَ مرثيته موازنة بـين عـالم النـاس فـى الدنيـا ، وعـالم الآخرة بعد أن يرحل الإنسان ، ففى الدنيا فقدت الصفـات الطيبـة ، وسـادت الصفات السيئة حيث وجد الجفاء ، وقل الخير ، وزاد التكـالب علـى الدنيـا ، أما عالم الآخرة فليس فيه غل ولا حقد ، ولا نفـاق ، وإنمـا توجـد السـعادة ، وصفاء القلوب ، والحب، والتواصل ، هذه الأمور المفقودة فى الدنيـا ، ويزيـد على ذلك ما فى الجنة من نعيم الحور العين ، ونهر الكوثر ، والشراب اللذيذ ، وغير ذلك .

وذكر الشاعر أن الإنسان فـى الدنيـا يرتكـب ذنوبًـا كثـيرة نظـير شـىء حقير من متاع الدنيا .

يقول - مخاطبًا الفقيد :

أرَأَيتَ الجفـــاء كـــدَّرَ وِرْدًا   وعرا غامرَ اللقـــاء نضـــوبُ

أرأيتَ الخـــلالَ حَالَ مُحيَّا   هَا وغطّى من المآسِى شُحوبُ
أرأيتَ النُّفــوسَ غيرَّها الصدُّ   كسـاها ذاكَ الشعورُ الغريبُ
رُخْـتَ ترتادُ عالـمًا أخـرويًا   فيـه يلقـــاكَ عُنْفُوانٌ قشيب
تنْشــدُ الخلدَ والسَّعادةَ فيه   بين أهل تصـفو لديْهم قلوبُ
أينَ هذا من عالَم الـناس دُنْيا   لا تساوىِ القليلَ فيها ذنوبُ

وذكر الشاعر محافظة الفقيد على العربية ، وعنايتـه بهـا ، إلى جـانب تمكنـه منها ، ومحافظته على عمود الشعر ، وبين أنه يعد من فحول الشعراء مثـل امرىء القيس، وجرير ، وأبى تمام ، وهو أقرب فى شعره لجرير، ويميل قليلاً إلى الأخطل(١) .

يقول :

لغــةُ الضَّــاد قُلِّـدتْ وَتَحلّتْ(٢)   بعقـود سنـــاكَ فيهـــا عجيبُ
ذُدْتَ عَنْ ساحِها وصُنْتَ حماهَا   كنتَ أُسْـطونَها ونِعم المَهِيبُ
عالمُ الشِّعرِ أنتَ فيـــه عميـدٌ   وعمـــادٌ وقائدٌ وأريـــبُ
قد بكيناك والفصـــاحةُ ثكلَى   فى عيونِ القصيدِ تهمى غُروبُ

وبين الشاعر حزن علماء الأزهر على المرثى ، وحزن كلية اللغـة العربيـة التى عمل بها ، وخرَّج الكثير من طلابها .

---

(١) ذكر ذلك الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود حينما ألقيت هـذه القصيـدة فى حفل تأبين الدكتور حسن جاد فى رابطة الأدب الحديث .

(٢) تزينت بالحلْى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ القاموس ٤/٣٢١ والوسيط ١/١٩٥

رحلَ العــالِمُ الوقُور بصمت　　فإذا الأزهرُ الشــريفُ كئيبُ
وبكى فى كُلّيــةِ اللُّغةِ العِلْـ　　ـمُ بكاءً أذكى لظاه الشبوبُ

وفى رثائه لشيخ الأزهر جاد الحق - رحمه الله - بدأه بمقدمة أشار فيها إلى نهاية الحياة ، وتعجب ممن يتمنى طول الأمل فى الدنيا ، ففى الموت عبرة، ويجب أن يفكر الإنسان فى آخرته ؛ لأن كل شىء سوف يفنى ، والإنسان يسير إلى نهايته المحتومة ، وأشار الشاعر إلى بلوغ الروح الحلقوم ، والناس تنظر إلى المحتضر ولا تستطيع عمل شىء ، وعندما توضع الجنازة على أعناق الرجال تبصر الحق أمامها ، وينزل الميت قبره فيرى عمله ، ويأتيه الملكان ويسألانه عن حياته فى أى شىء قضاها .

يقول الشاعر :

دَعْ هوى من يشتهى طول مناها　　وتأمل من ثوى تحت ثراهَا

ثم يقول :

تبلغُ الحلقــومَ لا يُرجِعُهـــا　　ناظرُو القوم ولا تُلقى عَصاهَا
يوضَعُ النعش على أعناقهـــم　　فتنادِى الخلْق مَسْموعًا نِدَاهَا
يُبصرُ الحقَّ فيمضـــى مُسْرِعًا　　قدّمونـــى أو بويْل الآهِ فاهَا
ينزلُ الرمسَ وقـــد رَافقَـــهُ　　عملٌ فى صُحفٍ سَوْف يراهَا
وســؤالٌ هائلٌ مِنْ مُنْـــكَر　　ونكـيرٍ عَنْ حياةٍ قدْ قَضَاهَا

وبعد هذه المقدمة بدأ الشاعر يعدد مناقب المرثى ، وأشار إلى إحياء الكتاتيب التى يحفظ فيها القرآن الكريم ، وكثرتها فى عهده ، والاهتمام بها،

وكذلك كثرة المعاهد الأزهرية مما أدى إلى النهضة العلمية ، وكذلك عرّج الشاعر على جامعة الأزهر رائدة الجامعات التى تقوم بالدعوة لدين الله ، وتبليغها للناس جميعًا ، ولا يقتصر التدريس فيها على العلوم الدينية بل تواكب العصر بتعليم العلوم الحديثة فى كليات أنشئت من أجلها .

يقول الشاعر :

فالكتاتيبُ توالى نبتُها منذُ ولِّيتم وقد زَادَ نَماهَا
وغرسْتُم كلَّ يومٍ معْهدًا نهضةً وثّقتَ بالعِلْم عُراهَا
وازْدَهَتْ جامعةٌ رائدةٌ بَلَغَتْ بالدَّعْوة الحُسْنَى مَداهَا
حَمَلَتْ هَدْى كِتابٍ خَالدٍ وعلومَ العَصْر أوْلتهَا اتّجاهَا

ووصف الشيخ بأنه كان يرسخ الإيمان فى قُلوب الناس بما يوجههم من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وحسن اجتهاده .

يقول :

تسألُ الدّنيا عن المجْد الذى جعل الإيمانَ يسرِى فى دِمَاهَا
يسألُ النّاسُ عن البحر الذى ردَّ بالقرآنِ للنّفس شِفَاهَا
فقهُهُ السُّنّةُ والرُّوحُ معًا فى اجتهادٍ واسعِ الصّدر هَدَاهَا

وتحدث الشاعر عن فتاوى الشيخ التى التزم فيها مبادئ الإسلام والدفاع عنه ، وأشار إلى موقفه من مؤتمر السكان الذى انعقد فى القاهرة ، ورفضه لما أعلنه من إباحة أو تحريم ما يخالف الشريعة الإسلامية كما أشار إلى موقفه من وثيقة الزواج التى حاول بعضهم الترويج لها ، وأن تصبح واقعًا مع

مخالفتها الشريعة الإسلامية ، وقد رفضها الشيخ ، وأفتى بعدم شرعيتها ، وحمد له الشاعر هذين الموقفين ، وجرأته فى الحق .

وجعله حجة الإسلام ، وأوضح أنه كان يرجع فى كل فتاواه التى يعلنها على الناس إلى رأى مجمع البحوث الإسلامية ، يقول الشاعر :

ظلَّ (جادَ الحقُّ) يُوفى ذمَّةً   يحرسُ الملَّةَ يَرمِى مَنْ رماهَا
فتنةَ السُّكان قد أخْمدهَا   بعثَ الحِكْمةَ تجْتثُّ عِضَاهَا
حينمَا قالُوا : زواجٌ يُشترَى   بئس مَنْ باع عُرُوضًا واشْترَاهَا
هَزَمتْ فتواكَ فى حزْم وثبـ   ـتهمْ والنّصرُ لله طَوَاهَا
كُنْتَ للإسلامِ حقًّا شيخَه   وطباقُ الأرضِ قد كُنْتَ سَماهَا
وَقَفَ الفتْوى عَلى مَجْمَعِهِ   مرجعِ الأمةِ خفَّاق لِواهَا

ورثى الشاعر الإمام الغزالى ، فامتدح صفاته ، وخطابته فى الأزهر ، ومواقفه التى أعلن فيها رأيه فى جرأة ، لينقذ النّاس من الجهل بالدين ، ويبعدهم عن الأفكار الضالة الهدّامة التى تشوّه حقائق الإسلام النّاصعة، يقول:

كم هزَّ منبرَ أزهرٍ بجسارةِ الرّأى السَّديدْ
نادَى عبادَ الله لم يَيْأسْ و لم يَهَبِ الصُّدودْ
كم أيقظ النوَّامَ فى ليل الجهَالةِ والرُّقودْ
كم حَاَبَهَ التضليلَ والتشويهَ والزَّيفَ المكيدْ

ويقول الشاعر : إنه بما فعله أعاد للإسلام مكانته رغم المناوئين له ، وقد كان يشرح منهج الإسلام بالوعى ، والصدق دون تحريف لا ينقص ولا يزيد، وذكر الشاعر بعض مؤلفاته التى دافع فيها عن الإسلام وردّ بها على أعدائه .

يقول الشاعر :

وأعادَ للإســلام رونَقَهُ على رَغم الحســودْ

وبمنهج الإســلام ينطــقُ لا يحرِّف لا يزيدْ

بمؤلفات كالمنـــائر حارساتٍ كالجُنــودْ

وسماحةَ الإسلام يجلُوها على الملأ الشــهودْ

يمحو " ظلام الغـرب " يدمغه الضياء فلا يعودْ

و " هموم داعية " على الخذْلان ينعَى والهمودْ

فى الفقه والتفســير والتحديث والفتيا فريدْ

وبعد أن عرج الشاعر على حيـاة الإمـام الغـزالى التـى أنفقهـا فى خدمـة الإسلام بين الشاعر أن الفقيد لم ينافق أحدا ، وكان غـيره يستعمل المواربـة ، والمداراة ، وكان يحيا فى شظف العيش على حين يستمتع غيره بـالرغيد منـه ، وأعقب كلامه بقوله :

إنى رأيت الموت أشـرف للنفوس من الجحودْ

عنـد الإله ترى العـدالة صرحها عالٍ مشيدْ

ثم تحدث الشاعر عـن الحياة الدنيـا التـى غالبـا مـا يلهـو فيهـا النـاس ، ويشغلون بالمال والولـد ، ولا يفكرون فى الآخرة ، ولا فـى محـاسبتهم على

ما قدموا من خير وشر ، وجزاء ذلك من الجنة والنار ، ثم توقع الشاعر أن المرثى إن شاء الله فى الجنة لإحسانه الدعوة ، وشبهه ببلال فى حديث ورد فى البخارى يقول فيه الرسول ﷺ لبلال : (حدثنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام ، فإنى سمعت دفَّ نعليك بين يدىّ فى الجنة فقال له : ما عملت عملاً أرجى عندى أنى لم أتطهر طُهورًا فى ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطُّهور ما كُتب لى أن أصلى)(١) .

قال الشاعر :

النـاسُ فى غفلاتها تلهو بمالٍ أو وليدْ

لا يعتريها الخوفُ من يوم على قُرب بعيدْ(٢)

تَلقى الحتوفَ به وتصرخُ حين لا يُجدى الفَديدْ

يأتيهم الملكان معْ صُحُفٍ لهمْ بيضٍ وسودْ

إمَّا بدار كرامةٍ أو فى لظىً تُشوى الجلودْ

إنّى لأسمعُ يا " محمدُ " دفَّ نَعْلِك فى الخلودْ

قد كنتَ صادق دَعْوةٍ تتلو وُضوءك بالسجُودْ

ثم خاطبه الشاعر قائلاً : إن الله قد اختارك إلى جواره فى الجنة التى فيها كل ألوان النعيم ، وأنت من السابقين من الأتقياء الذين (لا يحزنهم

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ٣ ص٣٤

(٢) قال تعالى : ﴿ إنهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا ﴾ سورة المعارج . الآيتان ٦ ، ٧

الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة) وذلك كله مقتبس من آيات قرآنية فى سور متعددة(١) .

يقول الشاعر :

أنت الغـزالىُّ احتبـاكَ الله فى الظِّـلِّ المـديدْ
رَوحٌ وريْحـانٌ وأفَنـانٌ على سُـرُرٍ وغيـدْ
فاهنـأْ ففى يومِ القيـامةِ لستَ تفزعُ بالوعيـدْ

(١) مثل سورة الأنبياء ، والواقعة ، والإنسان وغيرها .

الصورة الفنية فى هذا الشعر

إن الصورة الفنية ، أو الأدبية هى التى تحمل ما فى نفس الشاعر ، ومزاجه ، فهى التى تنقل إلينا ما يدور فى خلجاته ، ويعيش فيه ، وكيف تلوح الدنيا لعينيه ، وتقع فى روعه ، وتتمثل فى خياله ، فإن كانت دنيا شائعة فهو من أصحاب النصيب الشائع بين الأحياء ، وإن كانت دنيا لهاخصائصها، وألوانها ، ومعالمها ، وتقديراتها ، فهو صاحب رسالة خاصة فى الحياة ، وشعره ثروة جديدة تضاف إلى نفوس الأحياء ؛ لأنها تطلعهم من دنياهم على عالم جديد(١) .

والصورة هى عبارة عن وسيلة تصل بين الشاعر والمتلقى فتنقل ما يريده إليه ، وتجعله يشاركه المشاعر ، والأحاسيس ، ونقاد الأدب يرون أنه لا بد من المشاركة بين الشاعر ، والمتلقى ، والتأثير الذى يقع من النص على القارىء ، أوالسامع مهم جدًا - وهو كما يقول " لونيجينوس " - مما يكسب الخلود فىالأدب مما سماه الرائع Subllime فإنه تحدث على الهزة Ckstesis التى يولدها هذاالأدب فىالنفوس ، وذهب إلى أن الروعة إنما هى صدى روح عظيمة(٢) .

وللصورة طبيعتان إحداهما جزئية تتمثل فيما عرف قديمًا بالتشبيه ، والاستعارة بأنواعها ، والناقد الحديث يركز على ما تحدثه هذه الصورة من تجسيم ، وتشخيص ، مع الاعتماد على سعة الشعور ودقته(٣) .

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى للعقاد ص ١٦٤ .

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب د. إحسان عباس ص٣٣٩ .

(٣) النقد التحليلى لمحمد عنانى ص٥٩ .

وهناك أيضًا ما يسمى الصورة الكلية التى تقوم على عناصر يراها المحدثون متمثلة فيما يسمى الموقع ، والحركة ، واللون ، والشكل ، والحجم ، والطعم ، والرائحة إلى غير ذلك .

وهذا الكلام الذى قاله المحدثون مبنى على كلام سابق لبعض النقاد القدامى ، يقول ابن طباطبا : (فالعين تألف المرأى الحسن ، وتقذى بالمرأى القبيح الكريه ، والأنف يقبل المشم الطيب ، ويتأذى بالمنتن الخبيث والفم يلتذ بالمذاق الحلو ، ويمج البشع المر)(١) .

وبعض النقاد يقسم الخيال أقسامًا هى :

١ - **الخيال الأولى** : وهو ما يخضع للتصور العام عند الناس ، وهو الذى يقوم على الحقائق المعروفة المسلم بها .

٢ - **الخيال الثانوى** : وهو ما يعتمد فى تكوينه على صور منتزعة من المرئيات ، والآثار ، والحوادث ، ووصفها وصفًا يجمع بين خواصها الحسية المعروفة ، ويبين مغزاها وأسرارها الجميلة(٢) .

والشاعر هو الذى يؤلف بين أمور متباعدة ، ويجعلها متآلفة بحسه الشعرى ، وعاطفته ، ولكن هناك فرقًا بين الخيال ، وبين ما يسمى بالوهم .

---

(١) عيار الشعر ص١٤ : ١٦ .

(٢) أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب . ص٢٤٠ .

وإذا كان العقل والخيال غير متناقضين - كما يقول نقاد الأدب(١) - فينبغى ألا يخضع الشاعر للقوى العقلية وحدها ؛ لأنه إذا فعل ذلك فإن قصيدته حينئذ تفقد الأساس الذى ينبغى أن تقوم عليه ، أساس العاطفة ، والمشاعر الوجدانية ، إنه ليس بصدد عمل عقلى ، وإنما هو بصدد عمل نفسى لغته الشعر ، أما العقل الخالص فلغته النثر ، ولغة الشعر تعالج مشكلة غاية فى التعقيد ، مشكلة معرفتنا بالكون ، والحياة النفسية(٢) .

ومع ذلك فإن الأسلوب المنطقى أحياناً يكون وسيلة إلى إقناع الشاعر لمن يسمعه بالفكرة التى يريدها ، وقد يكون فى الأسلوب المنطقى حسن تعليل يحمل السامع على الاقتناع ، ولا سيما إذا كان الشاعر متأثرًا بألفاظ القرآن ، والحديث ، ومع ذلك فإن للعاطفة دورها فى إذكاء الشعور المتدين ، وتكوُّن عاطفة نبيلة .

وينبغى أن ترتبط هذه الصورة بالتجربة ، فالقيم الشعورية ، والقيم التعبيرية كلتاهما واحدة لا انفصام لهما فى العمل الأدبى ، وليست الصورة التعبيرية إلا ثمرة للانفعال بالتجربة الشعورية ، وليست القيمة الشعورية إلا ما استطاعت الألفاظ أن تصوره ، وأن تنقله إلى مشاعر الآخرين(٣) .

---

(١) دراسات فى النقد الأدبى . د. خفاجى . ص٣٩ .

(٢) فى النقد الأدبى . د. شوقى ضيف . ص١٤٨ .

(٣) مهمة الشاعر ص٩٧ والنقد الأدبى أصوله ومناهجه لسيد قطب . ص١٥ .

وإذا جئنا إلى حديث شاعرنا عـن دور المؤسسـات الإسـلامية ، وتقديـر العاملين لنصرة الإسلام مدحًا ورثـاء فإننـا نجـد الصـورة الشـعرية قـد اتخـذت جوانبها الفنية ، وعناصرها معتمـدة علـى التجربـة والعاطفـة معًـا وفـق أسـس النقد، وقوعده ، وأصوله .

(أ) الصورة الفنية فى تعبيره عن دور المؤسسات الإسلامية :

فى قصيدته : منارة الشرق (الأزهر) يجعل الأزهر كبدر السماء ، ويؤكد على بزوغ النور منه فى مطلع القصيدة ، ثم يبين أنه كالصرح العالى وأنه قام على قواعد وأركان ، وكأنه بذلك يشير إلى بناء الكعبة على يد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حين يقول المولى سبحانه : ﴿ وإذْ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾(١) ويجعل الأزهر بما فيه من علم يجرى كالوحى بما فيه من نفع وخير ، وأنه كالعطر الذى ينتشر ، وأنه كالنبع الطاهر، وأن الله هو الذى فجَّرَهُ ، وأنه التراث للرسالات .

وصور طول بقائه على مر القرون بأنه أفناها ، وأن مآذنه ما تزال عالية تصادم الكواكب ، وأنه فى شهرته كالشمس ، ثم شبه الجامعة الأزهرية بالينابيع التى ينهل منها الطلاب ليصلوا إلى أعلى الدرجات كما يسبح الغواص فى البحر ليصل إلى اللؤلؤ والمرجان .

وجعل المعاهد والجامعة تخطو وتواصل السير للنهوض ، وتشق طريقها إلى المعرفة ، والناس يسلكونَها ، ويرسلون أبناءهم لتتعلم فيها كما ينبت النبات ، ويخضر - إن كان يابسًا - ويصبح غضا ، فيتلقون فيها شتى العلوم والمعارف ، وإن المعاهد فى نموها وصلت حدًا كبيرًا وكثرت كثرة النجوم فى السماء وسبق طلابها طلاب المدارس الأخرى كما يسبق الفرسان الراكبون على خيولهم المنافسين لهم فى ميدان السباق ، ثم تكلم عن حضارة الإسلام

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٧ .

وأنها تنافس الحضارات الأخرى كوضع المبارزين فى الحرب ، وعند المبارزة تسبق الحضارة الإسلامية غيرها ، وتنتصر عليها بمبادئها القويمة ، وسلوكها الرشيد .

يقول :

ترى حضـــارتَنا فيها مُبَارزةً   فى الشرْقِ والغربِ أعداءً وخلاَّنَا

ويذكر دخول العلوم الحديثة الأزهر ، ويتحدث عن قدم تدريس هذه العلوم فيه من قبل على يد علماء أزهريين كانوا فى شرحهم يقدمون علمًا كالعسل يشفى من يقدم إليه ، ثم عاد إلى الأزهر يذكر أنه يسوق كرمه لبنى الإنسان ، وهم يجنون ثماره علمًا غزيرًا ، وأنه مثل الغمام ينهمر فينضّر الغرس معبرا بذلك عن نفع العلوم الإسلامية للناس إذ تؤدى إلى استقامتهم ، وصلاحهم.

وجعل علماءه الأجلاء جهابذة ، وأوعية كبارًا يتولون التدريس فيه ، ويسلمه بعضهم إلى الآخر ، وأن وِرْدَ الأزهر يزدحم عليه الوافدون ليرتووا من مناهله ، يقول :

إنَّ الوفـودَ إلـى وِرْدٍ بِه ازْدَحَمُـوا   مثـلَ المُحِبّ رأى فى الحِبِّ غُدرَانَا

وعلماء الأزهر يرفعون عمادَ الدين عزيزًا ، وقد ساندوا دعوة الدين وكلهم عزم وشباب لايهابون إنسانًا ، وهم فصحاء كسحبان ، ورماحُهُمْ تذود عن الفصحى الظلم والعدوان ، وهم كالكواكب يرشدون الناس وينقذونهم من المخاطر مثل حال من يركب الفلك ، فإنه يحتاج إلى من يوجه السفينة والربَّان إلى برّ الأمان ، ويعبر الشاعر عن تعلمه فى الأزهر بأنه نزل عند هؤلاء الأعلام فعرفهم .

وفى قصيدته بعنوان (معهدى) يجعل له وجهًا كالبدر ليلة التمام ، ويشبهه بالقبس لما فيه من علم السابقين ، وأنه علا منزلة كالشمس ، وأنه أصل للنيرين ، وهذا كله يعنى شهرته فى نشر العلم النافع ، وأنه يوقظ النفوس بعلمه الطيب الذى يشبه الشذا فى الرياض برائحته العاطرة ، وأن الناس يقبلون عليه ويشتهونه كشهد الطعام الذى يشتهيه الناس ، وأنه غزير العلم كأنهار " بردى " " والفرات " " والنيل " وأن علماءه الإجلاء يرشدون من تاه فى الغى والهوى والضلال ، وأنهم يملكون فصاحة اللسان فهم فرسان نادى الكلام .

ثم شبهه بالفجر الذى يمحو الظلام ، فالعلم يمحو الجهل ، وجعل علمه كالبحر الزاخر ، وكالربيع نضرة وجمالاً ، ثم ذكر أنه طيب الثمرات .

وبين أنه أحب معهده ، وشفى غليله منه ، ويقصد بذلك أنه تلقى فيه تعليمه .

وفى قصيدته (ذكرى اللقاء) نَوَّهَ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجعلها ملاذًا للدين والقرآن ، ومنبعًا للصادين للعلم يشربون منها ، وينهلون.

وذكر أن العلوم ترعرعت فيها ، ونمت ، وأينعت .

وشبه تدريس العلوم فيها على يد المصريين ، وبلوغها على أيديهم مبلغًا عظيمًا بالزرع الذى غرسه الزراع وتعهدوه بالسقى ، والرعاية حتى أورق وأثمر ، وهذا يدل على نضج من تخرج على أيديهم من الطلاب الذين تلقوا العلم ، وفاقوا فيه .

(ب) الصورة الفنية فى المدح :

فى مدحته لأستاذه د. محمد نايل بعنوان (أستاذنا الأوفى)

جعله منهلاً عذبًا للواردين إليه ، والناهلين منـه ، وأنه كـالبحر يقـذف الدرر ، وهو فى منح العلم لطلابه كأنه يلبسهم هذه الدرر تعبيرًا عما يلقيه من علم ثمين قيم ، وهو بذلك يغير حياتهم من الجهل إلى العلم النافع فيصبح وجـه الحياة مجلوًّا ناصعًا بعد أن كان مظلمًا كئيبًا ، وعبر عن جرأة الشيخ فـى الحق بأنه كالسيف القاطع ، وأن له همة رفيعة كالبناء الشامخ ، وأنـه كـالربيع فـى عنفوانه ، يقول :

رفعتـــه همتُه ومبعثُ فِكره   فغـــدا كريعان الرّبيع خمائلاَ

وهذا يعنى أنه غزير العطاء فى أطوار حياته كلها .

وعبر عن غزارة علمـه بالكنانـة التـى تجمـع السـهام ووازن بـين كنانتـه وكنانتنا (يقصد مصر) .

يقول :

نشـرت كنـــانتُه عبـيرَ حضــارةٍ
جَعَلَـتْ كِنَـانَتَـنَا تُضئُ مَشاعلاَ

وبين أنه فرد كأمة كاملة تعبيرًا عن رفعة شأنه ، وعظم منزلته ، يقول :

هُــو فى ذُراهُ كـأُمَّةٍ طَلَعَــتْ بــهِ
يُهــدى لهــا طــول الزمان جَلاَئِلاَ

وكأنه فى هذا يستوحى قول الرسول ﷺ عن أبى بكر : (لو وزنته بأمته لرجحها)(١) ، وقوله تعالى عن إبراهيم ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾(٢).

وكقول الشاعر :

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ
أن يجمعَ العالَمَ فى وَاحِدِ

وفى تكريمه لأستاذنا د. محمد عبد المنعم خفاجى فى عيد ميلاده الثمانين فى قصيدته بعنوان (إمام عبقرى) جعل الشيخ فى انتشار علمه شرقًا وغربًا كالسراج المنير ، وأنه سلب النجوم ضوءها ، وأنه كالسحاب الهطّال فى غزارة العلم ، وأنه جدّد الآداب بشعره وأدبه ، ومد فى عمرها نتاجه الأدبى الغزير ، ثم كان كالنسيم العاطر حين نشأ فى الأزهر الشريف ، والتعبير بقوله فى حمى الأزهر يرمى إلى أن الشاعر ينتهز كل فرصة ليثنى على الأزهر ، ويشير إليه حُبًّا للأزهر فى نفسه ، ونفوس الناس ، وبيانًا لأثر الأزهر فى الحياة العامة ، والخاصة ، وتخريج العلماء الذين يعدد . خفاجى واحدًا منهم ، ثم جعله يعيش للدواة ، والقلم ، ويفجّر ينابيع العلم ، وجعل العلماء يدينون له بالفضل ، وأنه هدى المفكرين والأدباء كما يهدى البدر فى الصحراء السالكين فيها ، وبين جهده فى خدمة العربية بأنه كشف اللثام عن ثغر العربية البسام ، وأبدى مذاقها الحلو اللذيذ ، وجعلها فى ذلك فتاة رائعة الجمال ، وأنه دافع عنها ، وأزال عنها الغبن ، والظلم .

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٨٤/٤ ومسند الدارمى ص٣ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٠

وجعل أدب الشيخ نثرًا ، وشعرًا فـى جودتـه وصفائـه كالمـاء العـذب ، وكغناء الطير الذى يطرب المسامع ، ويروى النفوس بفيضه الفصيح ، وأن العربيـة به تفخر على اللغات ، وأنه مثل البحترى وأبى الطيب المتنبى ، وجعل المعـانى تستسلم فى يديه ، وأن (أبولُّو) يحييه ، ويحييه الشعراء جميعًا ، وهذا يعنى أنه بلغ من الشعر ما يماثلهم منزلة ، ومكانة ، أما فى العلم فهـو وعـاء مـن أوعيـة العلـم ، وهو مثل الهداة السابقين ، وهو حسن التأليف بديعه ، فهو كمن ينسج الشمس ، ويجعل الربيع حليه ، ويذيب شعاع البدر حسنًا وحلاوة ، وطـلاوة ، وهـو مـاهر كالغواص يصيد الدر ، ويقدمه للسامعين ، وهذا معناه حسن تأليفه وبراعته .

وفى تهنئة أستاذه د. إبراهيم البسيونى بعضوية مجمع اللغة العربيـة تكلـم على ما سيقدمه للمجمع بأنه صعود به ، وتربُّع فوق قمته كالتربع فوق الجبـل الشامخ ، ووصف محافظته على العربية بأنه كالصارخ الـذى يستنجد بـه مَـنْ يحتاج إلى نصرته ، وإن العربية بجهوده عـاد إليهـا شـبابها كشـباب الصّبـا فـى حكم البشر ، وإن اللغة العربية تقدمت كالإنسان الـذى يسـرع فـى خطـوه ، وإن ما غرسه الأستاذ من علمها ، وتدريسها آتى ثماره كـالزرع الـذى نضج وتجنى منه الثمار ، ثم جعله فى دفاعه عنهـا كالقـائد الـذى فـاق الجميع فـى شجاعته ، وأنه يفجِّر العيون ، وهو كالكأس المملوءة تقدم لشاربيها ، ووصفه بأنه يحل المشكلات ، ويذلّلها مثل العبد الآبق من سيده يعود إليه ، ويخضع .

ودعا أسـتاذه أن يهتـم بتعريـب العلـوم ، فـإن فائدتـه واضحـة وضـوح الشمس فى وضح النهار لتقديم العلم الحديـث بلغتنـا العربيـة حتـى يفيـد أبنـاء الأمة إفادة واسعة .

وفى مدحه لأستاذه الشيخ الدكتور يوسف الضبع جعله علما يرتفع بالآراء السديدة ، وأن العلماء ينازلونه ويبارزونه فيسبقهم ، وأن علمه كالبحر الزاخر يحيى النفوس كما يحيا الزرع بالماء ، وهو فى سعة علمه وانتشاره فى مصر ، وغيرها كالنيل ، وهو فى هدايته كالشمس الطالعة وكالبدر الساطع ، إلا أنه قلب الصورة فجعل الشمس هى التى تستمد منه النور ، وجعل البدر يستمد منه الضياء ، وهو متفرد فى منزلته فى مرتقى عال لا يصل إليه أحد غيره ، ثم تكلم عن حديثه العذب فى العلم ، والحياة ، وأنه كالندى ، وكالزرع النضير ، وأن الدنيا تستمع إليه .

وله يد فى التقوى طويلة ، وكأن التقوى هى اليد تجسيمًا وتجسيدًا ، وله أخلاق ومكارم جميلة كأروع ما تكون الفتاة وهى تلبس حليّها وهو يريد هنا تحلّى الشيخ بالورع ، والتقوى ، فيجعل المكرمات نساء تتحلى بأجمل الزينة ، ثم جعل مروءته ، وسعة خلقه كالفضاء الواسع فى هذا الكون ، وجعل علمه مثل إرث النبوة فهو علم الدين واللغة .

وفى تكريم الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر بمناسبة اختياره أبرز شخصية فى محافظة الدقهلية يتحدث عن إنجازاته ، ويجعله قد نشر ضياء الأزهر تعبيرًا عن اتساع التعليم فى الأزهر ، وهو يرشد الناس ، ويبن أن الأزهر فى عهده حمل العلماء هدايته بأيديهم وكأنها المشاعل المضيئة ، ونسب إلى الأزهر أنه دبّت فيه الحياة ، ونما كما ينمو الزرع بكثرة طلابه ، وجعل الشيخ بمنزلة المطر الذى ينزل على المكان الجديب فيهتز ويربو ، وأنه أخرج من كنانته علمه الغزير ليصون به الكنانة مصر ، ويرفع شأنها فى العالم ، وهو يلون التعبير ،

بالكنانة بلون آخر غير ما ذكره فى قصيدة سابقة تفننا فى التعبير والخيال المتجدد(١) فيقول :

نَثَرَ الكِنَانَةَ كَىْ يَصُونَ كِنانةً وَحُسَامُهُ المَاضِى نَهَارٌ مُسْفِرُ

وجعله فى صواب رأيه كالحسام ، وفى وضوحه كالنهار المسفر ، وأنه فى رعايته للحضارة الإسلامية كالأب الذى يرعى ، والأم التى تسهر حدبًا على أبنائها .

وصفاته وخلاله كالروض عطرًا ، وأخلاقه كالربيع سماحة ، وحلمه كالزرع الغض المثمر ، وكل ذلك نقل للمعنوى إلى المحسوس ، أما نشره للعلم فى العالم فهو كالبدر الذى يرشد السالكين الحائرين .

وفى تحيته بمناسبة اختيار فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخًا للأزهر يذكر أنه ملأ طباق الأرض علمًا ، وكأنه فى ذلك يشير إلى الأثر (عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا) ، وحمل العلماء ذلك على الإمام الشافعى ، ثم جعل الأزهر مَطْلَعًا للإسلام والشيخ كالبدر يطل منه ، وأن هذا المنصب الرفيع له تاج كتاج الملوك ، وأن الأزهر ينجب علماء أى يتخرجون فيه وكأنه يلدهم ، وهم كالكواكب فى هداية الناس .

ثم بين أن اللغات تقف أمام العربية مزلزلة الأقدام ، وكأنها فى سباق تحرز فيه العربية قصب السبق .

ثم أخذ يتحدث عما يتطلبه عصرنا من جهود شيخ الأزهر الجديد ، فالعصر كثرت فيه الأمراض ، ويحتاج منه أن يكون مثل عيسى ، وهذا إشارة

---

(١) انظر ص ٥١ من هذا البحث .

إلى ما انتشر فى المجتمعات مما يحتاج إلى إصلاح ، وأن الشباب كالنبت يحتاج إلى رعاية الشيخ ليصير بالعلم ناميًا محققًا المراد منه .

ثم انتقل إلى المعاهد ، فبين أن سيرها بطىء ، وتحتاج إلى اتساع الخطو، إشارة إلى ضعف المستوى العلمى مما يحتاج إلى النهوض ، وعناية شيخ الأزهر بها ، ليزول ضعفها الذى يشبه المرض ، ويأمل الشاعر أن تتقدم الدراسة بها ، ونقطف من غرس الأوائل من العلماء ، فعلمهم يشبه الزروع وثمارها .

وجعل لمجمع البحوث ينابيع ، وللعلماء أجنحة يطيرون بها ، وطلب أن يغزر هذا العطاء فى الناس بعلماء جدد ، ويجعل جمال الشريعة ، وما تحمله من مبادئ كالمرأة التى تلبس الحلى والجواهر ، فتكون فى أبهى زينتها وروعتها .

وإن الحديث النبوى يكوّن مع القرآن نسيجًا واحدًا يوضح أسرار هذه الشريعة ، ومبادئها .

وفى تحيته إلى الأستاذ د. أحمد عمر هاشم نرى الأمانى مجسمة ، فهى تبشر ، وتغرد كالطير ، ثم إن تجدد رئاسة الجامعة كالنهار الجديد ، وإن الدهر بعد أن وَلَدَ جامعة الأزهر لم يلد غيرها فى قوتها ، وكثرة نفعها ، وهذا دليل أصالتها وعراقتها ، وجاء الحديث فى مطلع القصيدة على سبيل الرمز إشارة إلى عهد قديم ، وعهد جديد تغير فيه الحال .

وفى مطلع القصيدة تبدو الحالة النفسية للشاعر فيما يختلج فى نفسه من مشاعر ، ووجدان ، وصور تمر بذاكرته قاتمة وأخرى مشرقة ، ونلمح ذلك فى قوله (هذا النهار الجديد) فكلمة النهار وكلمة الجديد رمزيتان . وقوله

(يزيح عن الشمس أسدالها) يشير إلى أن ما حدث تجديد لما قدم ، وعندما تغرد الطير فقد شاركت الطبيعة بأسرها فيما يمر بنفسه من آمال ، وابتهاج .

ثم جعل الشاعر الرئاسة تذهب بنفسها لتخطب الرئيس الجديد ، وتعرض عليه ودّها ، فيستجيب لها ، وهذا المعنى منظور فيه إلى ما ذهب إليه أبو العتاهية حين قال :

أتتــــه الخلافة منقادة إليـــــه تُجرِّرُ أذيالها

فلم تك تصــلح إلا له ولم يك يصلح إلاّ لها

فأخذ المعنى مع تغير فى الصورة فى البيت الثانى ، ويبدو التأثر فى الوزن فهما من بحر المتقارب ، كما يبدو التأثر فى القافية التى تعتمد على روى اللام الموصول بالهاء .

وأشار إلى تدينه ، وتدين أهله ، وأنه استمد منهم ذلك كما يتنفس الإنسان النسيم العليل فى الرياض ، وهو كالبحر فى علم الشريعة .

وحديثه ، وبيانه كالنهر العذب ينسكب فى المسامع مثل الشلال ، وأن كلماته كاللآلئ .

وفى تحيته إلى د. محمود حمدى زقزوق بمناسبة تعيينه وزيرًا للأوقاف جعل الأوقاف تدين له بالولاء ، وتُسَرُّ بوزارته ، وأن الشمس قد أشرقت عليها ، وانجلت الظلمات موازنة بين عهدين ، وأن الأمنيات تمشى نحو التحقيق راشدة كما يمشى المرء مسرعًا ، ثم وصف الوزير من جهة الأصل بأنه كالوِرْد النقى ، وهو فى علمه كالبحر يغترف منه الناس ، وجعل الأزهر

كالكعبة يُقْدِمُ إليه الناس من كل صوب كما يقدم الحاج والمعتمر إلى الكعبة للطواف حولها ، وطلب منه أن يكسو الوزارة زرعًا مشيرًا بذلك إلى ما مرَّ بها من ركود . يقتضى الإصلاح .

وجعل الدين مظلة للأمن ، وبلسمًا ، وسلافًا للحياة ، تعبيرًا عن هدايته للناس .

الديـــن ظلة أمـــن   وبَلْسَـمٌ وسُـــلافُ

وفى تكريمه لشيخه فى معهد طنطا الشيخ عبد المجيد جميل ذكر فى المطلع وصف شعره بأنه كنسيم الروض ، ونغمات القيثارة بعثه إلى أستاذه الجليل حديث صدق ، وجعل ألفاظ شعره كالشمس أو كالمرآة فى رونقها ، وجمالها ، وجعل صفات أستاذه كالكواكب فى نفعها للناس ، ومستمدة من رسول الله فهى وحى ، ثم ذكر أنه قد سبق البحر حين تستخرج منه الأصداف واللآلئ تعبيرًا عن علمه القيِّم المفيد ، وبين أثره فى الناشئة ، وأنه يربىّ عقولهم مثل ما يفعل البناء الذى يؤسس ، ويشيد ، وأنهم يبلغون المراد كما يبلغ من يحمل السيف الهدف الذى يريد الوصول إليه بالنصر ، وما يلقيه من علم دائم النفع مثل الآس ، وشبه أستاذه بقُس بن ساعدة الإيادى فى فصاحة ما يلقيه ، وأنه كعبد القاهر ، وسيبويه ، وغيرهما من علماء اللغة الفحول .

وجعل الدهر يهز جانبيه من حوله سرورًا بما قدَّم من علم ، وفضل ، وهذا مستوحى من قول المتنبى :

يهزُّ الجيـش حولك جانبيـه   .... إلخ(١)

(١) من قصيدة بعنوان (الرفق بالجانى عتاب). انظر ديوان المتنبى بشرح اليازجى ١٩٧/٢ .

ومدح أستاذه فى الكلية الشيخ أبا زيد شلبى بقصيدة على مثال قصيدة شوقى :

قم للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولاً

بدأها بحوار بينه وبين البيان الشعرى يحادثه هل يملى عليه قليلاً أو كثيرًا فى وصف أستاذه ؟ الشاعر يريد الاختصار ، والبيان يريد الإطالة ، وهذا لما للممدوح من عظيم المنزلة يقول :

ثار البيان ليكتب التفصيلا وأردت أن أُملى عليه قليلاَ

فأجاب كلا إن ذلك لا يفى فلذاك أحذر أن يكون رسولاَ

وجعل الشيخ منارة تهدى الحائرين ، وسحابًا فياضًا فى علمه الغزير يحيى النفوس كنيل مصر الذى يحيى زروعها ، وأن علمه كالعيون الجارية ، وشبهه فى الفقة بالأئمة كأبى حنيفة ومالك ، وأنه فى التفسير كالفخر الرازى ، والزمخشرى ونحوهما .

ومن الصور البارعة أنه جعل مادة الحضارة التى كان يقوم الشيخ بتدريسها كأنها ماثلة أمام العيون لها قلاع شامخة إلى جانب كثير من الفنون التى يبرز فيها ، يقول :

وحضارة الإسلام شاد قلاعها تبدى لعين الناظرين ذُهُولاَ

من كلّ معجزة تحدث أختها بالمجد فى شُرَف العَلاء أثيلاَ

وجعل الدينا تسمع للشيخ وتصغى إليه .

وفى تقديره لفضيلة الأستاذ الشيخ الحفناوى جعل الذكريات تسرى كأنها الماء المنساب ، وتمشى مباهجها كما يمشى النسيم على الرياض ، وتهتف كالطير ، ثم جعل العلم يمشى فى ركاب الشيخ ويثنى عليه ، والدهر يهتز عطفاه له ، وأنه كالرشيد فى رخاء عصره ، وعظمته ، ووصف الشاعر نفسه بأنه حين يرسل مدحته إلى شيخه كحسان بن ثابت وأن للشيخ أثرًا واضحًا فى رفعة الأمة لأنه كالبرود المموهة بالذهب فى نفاستها ، وأنه شق سبيل الوصول إلى الغايات ، ثم وصف إدارته للمعهد بأنها إدارة حازمة كالذى يحمل السيف الهندى ، فيسمع رأيه ، ويستجاب له ، يقول :

بيديك هندىٌّ حديثُ الصقل ما عَرف الرُّقُودْ
يقضى فتعْنُو الحادِثاتُ وإنْ جَلَلْنَ كما يُريدْ

وفى قصيدته فى توديع الشيخ إبراهيم عجلان جعله يحمل فى يده اليمنى التقوى مع هدى العِلْم إشارةً إلى صلاحه ، وتقواه ، إلى جانب علمه الغزير .

يسير وفى يمناه تقوى جليلةٌ وفيها مع التقوى هُدى العلم باديًا

وأن الشيخ كالفجر الجديد الذى يملأ الدنيا بضيائه تعبيرًا عما ينشره فى الناس من مبادئ الإسلام ، وأنه يحمل رسالة محمد ﷺ إلى الناس .

وفى مدحته للشيخ الجليل نور المتيم بدأها بمطلع على طريقة شعراء الخمريات ، فقد أشرق الصبح ، فطلب من الساقى أن يرويه مما به من الشوق لرؤية هذا الشيخ الجليل ، ثم أورد عدة أسئلة عن طلوع الشمس فى الليل ،

وطلوع الفجر قبل الأوان ، وكيف أدركه الضحى ، معبرًا بذلك عما كان فيه الشاعر قبل معرفة الشيخ من حيرة ، وتطلع إلى الوصول إلى هدفه المرجو ، وقد طال الزمن ، وكأنه ليل بهيم فلما تحقق له ما أراد عند هذا الشيخ كان كالشمس التى ظهرت فى الليل ، أو الفجر الذى جاء قبل الأوان .

وتخيل أنه سهر سنين طويلة حتى رأى " نورًا " ولأن الشيخ يسمى " نورًا " فقد جرت تورية لطيفة فى هذه الأبيات :

(نور) أطلَّ على الوجود بهاؤهُ　　كم كنتُ أرجوه من الأعماقِ
سَهِرَتْ جُفُونى فى سنينَ طويلةٍ　　رَعَت النجومَ بوِحْدةَ المُشْتاقِ(١)
وسعِدْتُ إذْ لاحتْ بَشَائر وُدِّه　　مزدانةً بالعِلم والأخلاقِ

ثم شبه علمه بالبحر المتلاطم الذى يفيض بالإغراق على من يتلقونه عنه، وذكر الشاعر أنه كان يغوص فيه مرارًا ويحصل على أعذبه ، وأحلاه ، فى كل لقاء التقى بهِ فيهِ ، ثم وصف أخلاقه ، وحديثه الحلو ، وأنه كالمصطفى فى خلاله ، وصفاته ، وقد تلقى عنه ﷺ ما يتحلى به من مكارم الأخلاق .

وفى تحيته إلى زميله الأستاذ فؤاد سويدان يوم تخرجه يذكر أن العلم مسرور لظهور عالم جديد ، وأنه يفخر ، ويتهادى كالنسيم الذى يهب على الرياض الناضرة الزروع ، والثمار ، وأن العلم الذى حمله يفيد الناس ، وكأنه جاء للتهنئة طائرًا يشدو ، ثم جعل الشاعر تهنئته لزميله عاطرة كالورد الفوّاح ، ثم أشار إلى أصالة العلم فى بيت صديقه فآباؤه من العلماء الذين نشروا العلم،

---

(١) الوحدة : بكسر الواو ، وفتحها : الانفراد . اللسان ٤/٤٥٩ - ٤٦٧ .

وبلغوه بنجاح مثل من ينزل معركة وينتصر فيها ، فهم كالأسود ، ووصف أخلاقه فى صفائها بأنها كالماء الطاهر ، وحديثه فى صدقه بأنه كالكتاب المنزل ، وبأن منزلته سامية كالنجوم فى أفق السماء ، يقول :

فالخلْق طُهْرٌ والحديثُ مُنَزَّلٌ ومكانةٌ فَوْقَ النجومِ الزَّاهيةْ

وقد جعل صورة القصيدة المرفوعة فى تهنئته كالروضة التى تتعطر ، وتتنضر بذكر الممدوح ، وفى اللوحة يبدو ضوء صاحبها (الهلال) فيوحى بالهناءة ، والسعادة .

وفى تحيته إلى زميله الشيخ عبد الغفار منصور خاطب الشعر ، وجعل له حمامًا يتغنى ، مع أن المعروف أن للشعر بلابل تغرد ، والحمام لا يغرد إنما له لون آخر من الأصوات ، ولعل فى حياة الشاعر القروية آنذاك ما دفعه إلى هذا التشبيه فى تلك البيئة التى تنتشر فيها تربية الحمام .

وشبهه فى ارتقائه فى العلم بمن يصعد سلمًا يرتقى به مكانًا عاليًا تعبيرًا عن صعوده فى العلم إلى أرقى الدرجات .

وبين أنه ينشر العلم كالنور ، وبلغ فى المكرمات منزلة كبيرة كالملك المتوج فوق العرش .

(جـ) الصورة الفنية فى الرثاء :

فى رثاء الشاعر والده يجعل الحزن الذى ألَمّ به كالليل المدلهمّ الذى ألقى بسواده على الآفاق ، ثم يجعل الفقيد علَمًا قد طُوِى وشمسًا غربت ونجومًا أفلت ، ونهارًا قد مضى ، وحل محله الليل المُحرق . وفى تذكره لحياة الفقيد الجليل يذكر أثر تربيته له ، وعطفه عليه ممثلاً ذلك بساحة نزل فيها فى حماه، وأنه عندما غاب فقدت الدنيا بصرها ، فهى بدون مآق ، وجعل شخصه ماثلاً فى عينه ، وسناه مضيئًا فى قلبه ، ووصفه بأنه صوفى لا يعرف النفاق، ووصف عمله للآخرة بأنه زاد طيب الإنفاق ، ثم أورد أسئلة وجدانية فى شأن هذا الرحيل ، فتخيل أن هذا العالم انتهت حياته ، فغاب الفقيد فى عالم آخر ، أو أنه ذهب وراء السحاب ليشرق فى السماء الملبدة بالغيوم ، أو أنه ذهب إلى أرضين أخرى تحتاج إليه ليسعدها بما عنده من أخلاق ، ومبادئ كالغيث الذى يذهب عنها الجدب يقول :

يا عالِمَ الدِّين الكبيرِ هَلِ انْتَهى   هَذا الوجودُ فَغِبْتَ فى الآفاقِ

يا والدِى المحبوب هلْ خِلْت الدُّجى   خلفَ السَّحاب فرُحْتَ للإشْراقِ

هل أجدبَ الأرضُون عِند عوَالِمٍ   أُخرى فَسُقْت حياك للإغْداقِ

ثم أجاب بالحقيقة التى لا تعرف المواربة وهى فناء كل حىّ قائلا :

لا سوف يَعلونا التُرابُ وتلْتقِى   أيامنا فى الخُلْد كالمِيثاقِ

وكنى بِعُلوّ التراب عن الموت الذى يحل بكل إنسان .

وكان الشاعر قد طرح عبارات وجدانية - قبل هذه الأسئلة - وهو فى حال ذهول حين وقع عليه نبأ الوفاة ، مما يتنافى مع الصبر عند الصدمة الأولى، يقول فيها :

مَا كنت أحسَبُ أن سَيفنَى بيننَا
أمَلٌ لـه عشْنَا علـى إشـراقِ
مَا كُنت أحسَبُ أنّ شمس نَهاره
حتمًا سيَحْجُبها الحِمَامُ السَّاقى
مَا كُنتُ أحسَبُ أن سيطفأُ نورُهُ
ويُطلُّ ليلُ الهَمِّ وَالإحْرَاقِ

وهذا يتنافى مع معرفة أن كل حى إلى فناء ، فحين درست هذا الديوان وجدت ذلك فنبهتُ الشاعر إلى هذه المنافاة ، فأعاد صياغة الأبيات السابقة فأصبحت كالآتى :

كانت لليلتِهِ غياهبُ سوَّدتْ
آفاقنا بعد اللقاء الباقى
فِيها انطوى عَلَمٌ وفارق أهلهُ
أملٌ له عِشْنَا على إشراقِ
فِيها تَوارَتْ شَمسُه ونجُومُها
أفَلتْ وَوَاراهَا الحِمَامُ السَّاقى

وَنَأى عنِ الأكْوانِ نُورُ نهـــارِهِ

وَأطَـلَّ لَيـلُ الهَـمِّ والإخْـــرَاقِ(١)

وفى رثائه للعالم الجليل الوزير د. عبد المنعم النمر يذكر أن الأزهر بكى عند فقده ، وأن المحافل والمنابر مستمرة فى البكاء عليه ، والمقصود بكاء من بالأزهر من علماء ، وطلاب ، ومن يحضرون هذه الحفلات ممن كانوا يفيدون من علمه ، فقد تألموا لفقده على حد قوله تعالى ﴿واسأل القرية﴾(٢) والمراد : أهلها ، أو كأنه خلع على الجماد صفة الأحياء فى الحزن والبكاء فيما يسمى بتجاهل العارف ، ويدخل فى باب إعطاء الأشياء حركة وهى ساكنة أصلا تخيلا يحمده النقد الحديث .

ووصف العلماء الذين يتساقطون كل يوم واحدًا بعد الآخر بالكواكب التى تختفى بالموت ، وأن هذا يؤلم الشاعر غاية الألم ، ويدمى جراحه ، ثم شبه الشيخ بالأسد الصئول فى جرأة رأيه ، وجعل الكنانة تبكى عليه تعبيرًا عما كان يقدم لها من نفع جلل ، وأن علمه كالمطر يحيى الناس ، وهذا المعنى مأخوذ من مثل قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾(٣) .

---

(١) انظر القصيدة فى الديوان . ونحن نعلم أن عمر بن الخطاب قال حين وفاة الرسول ﷺ ، إنه لم يمت ثم رجع إلى الصواب حين نبه إليه . انظر حديث البخارى فى ذلك فى عمدة القارى للعينى ١٦ / ١٨٣ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٨٢ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٢٤

وكقول شوقى :

الجهلُ لا يلـدُ الحيـاةَ مواتُهُ   إلا كما تَلِـدُ الرِّمـامُ الـدُّودا

ثم وصف رحيل الفقيد بأنه رحيل العلا غابت به المكارم التى كان يجود بها ، وبأن بعده عن الحياة يصيب أحبابه بالآلام كالشواظ الذى يشتعل، وطلب من الشريعة أن تبكيه ، ومن الحقِّ أن يستغفر له لأنه كان ناصرهما على معنى أن أهلهما يفعلون ذلك .

وجعل الأزهر مهدًا تنشأ فيه العلوم ، وتتربى ؛ لأن الأزهر يتعهدها بالرعاية ، ويسهر ولا يفتر ، وخاطب الأزهر بأنه يودع شهابًا منيرًا تعبيرًا عن عالم جليل يفيد البشرية ، وتأسَّى بأن بقاء علمه امتداد له ، وكأنه عمر آخر أخْذًا من قول الرسول ﷺ : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)(١) .

يقول شاعرنا :

أأزهرنا أنت مهـدُ العُـلومِ   عليهـا تقـومُ ولا تفتُـر

تُودع هـذا الشهابَ المنيرَ   ويَبْقى لنـا علمُـه يَبْهَـرُ

يُكفكِفُ مِنَّا دُمُوعَ الأسَى   فهـذاك عمـرٌ له آخـرُ

---

(١) دليل الفالحين لابن علان الصديقى جـ٣ ص٤٣٣ ، ٤٣٤ . رواه مسلم .

وهذا المعنى من وجود عمرين للشخص عمر لحياته قصير ينتهى ، وآخر لعلمه طويل يستمر يماثل ما قال خليل مطران فى قصيدته المساء من أن له عمرين عمرًا لحياته ، وعمرًا لبيانه فى شعره يقول :

عمر الفتى الفانى وعمر مخلد ببيانه لولاك فى الأحياء

وفى رثائه لأستاذه د. عبد العظيم الشناوى جعل فقده يزلزل الأعماق ، والموت ينزل ، والخطب كالصواعق ، ثم خاطب اليوم الذى مات فيه بأنه هدم الحصن بمعاوله مع أنه كان ركنا ركينا ، ويقصد بذلك نزول الموت بهذا الشيخ الجليل الذى كان منيع الجانب مهيبًا بعلمه ، وخلقه ، ووصف علمه بالسحب الهاطلة ، وبالعبير الفواح ، وبالظل الوارف يأوى إليه من لفحته حرارة الجهل ، ووصف الأعوام التى قضاها بجوار الرسول ﷺ بالخمائل الندية يقول:

عند الحَبيبِ قضَيْتَ أعوامًا زَكَتْ

هِيَ كالخمائل بَيْدَ أنكَ أخْضَلُ

وذكر أنه حمل الأمانة ، وبلّغها كالرسول معبرًا عن علم الإسلام الذى حمله إلى الناس ، وأن مصر تنشر ذكره الحميد ، وتفخر به ، وأن للشيخ فصاحة قوية كالسنان ، وأن عيون الفصحى تبكى عليه ألما ، وأن كل قلم يبكى فقد هذا العالم الجليل الذى كان يدبج صحف العلم بغزارته وفيوضاته ومؤلفاته ، ووصفه بأنه صوفى يتنقل فى أنوار الله ، وأنه مشرق ، وأن دور العلم بعده ظمأى للعلم الذى كان يمدها به ، وعلمه باق كالمنارة لا يفارقنا إن شاء الله تعالى .

وفى رثاء الأستاذ د. حسن جاد يسائله وهو فى عالم الحق كيف أصبح وكيف أمسى وهو حبيب هذه الأمة وأديبُها ؟(١) وكيف حلَّ فى القبر مع أنه عظيم كالطود الشامخ ، وكيف هجر الأيك فلم يعد يغنى فيه مع أنه بلبل الأدب الصداح كل ذلك جاء تعبيرًا عن فداحة الخطب برحيله عن عالمنا ، وراح يتساءل بعد ذلك بأسئلة أخرى عن ورد الناس الذى كدّره الجفاء ، ونضوب المودة ، وصفات الناس التى تغيرت فحال محياها بالشحوب تعبيرًا عن أن أخلاقهم لم تعد بالمستوى اللائق الذى يرضى عنه الله ورسوله .

وذكر حقائق عالم الآخرة الذى انتقل إليه الفقيد ، فالفقيد رحل إلى عالم آخر فيه الصفات على حقيقتها الطيبة الطاهرة حيث يعود إلى شبابه هناك، ودلل على صلاحه وتقواه بأنه إن شاء الله فى الجنة حيث يزوج بالحور العين وهى تبدو حول النهر الخاص به ، وتساءل الشاعر موازنًا بين ما أعده الله للمتقين فى الآخرة وما يوجد فى الحياة الدنيا من صراع على متاعها

---

(١) كان الشاعر قد بدأ القصيدة هكذا :

كيف أسرعْتَ أيهذا الحبيبُ

كيف أمسيتَ أيهذا الأديب ؟

ثم عدل عن التعبير بقوله (أسرعت) إلى قوله : كيف أصبحت لما بينت له أن التعبير بالإسراع قد يوحى بأن الفقيد قد رحل قبل انتهاء أجله مع أن لكلٍّ أجلاً لا يتعداه، مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها ﴾ وقوله ﷺ : " لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها " ، وإن كانت للشاعر مندوحة بأنه تخيل هذا الإسراع بفوات الأيام ، ومرورها على خاطره كأنما قد قصر زمنها .

الزائل ، وأن الجزاء الأخروى أفضل على حد قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾(١) .

يقول :

أين هذا من عالم الناس دنيـاً لا يساوى القليل فيها ذنوبُ

وفى حديثه عن علم الشيخ وصَفَه بالروض الزاهر ، وبالزرع المثمر ، والشراب اللذيذ ، وأنه كان يزيل أوضار الحياة ، ثم وصف لغة الضاد فى عهده بأنها قويت ، ولبست الحليّ من علمه وأدبه ، وأنه كان يدافع عنها مثل حد الحسام ، ويوجه سهامه إلى أعدائها ، وأن الشعر العمودى ظل قويًا ذائعًا معبرًا عن ذلك بأن علم العروض بقى أصيلاً لم يتغير لونه الجميل ، ونفى أن يشابهه شعراء فحول من السابقين مثل امرئ القيس ، وجرير ، وأبى تمام ليوضح أنه أكثر منهم إجادة ، وإحسانًا ، ونحن نعلم أن شعره أقرب إلى جرير كثيرًا وقليلاً إلى الأخطل .

وأوضح أن الفصاحة تبكى عليه فى عيون الشعر الذى رثى به ؛ لأنه شاعر كبير ، وأن الشباب ، والشيوخ يبكون عليه ، ويرثونه لفقد مصدر عظيم من مصادر العلم والعلماء والأدباء ، وجعل الفقيد تاجًا للدهر ، وفؤادًا، وعقلاً له معبرًا بذلك عن مكانته ، وأثر فقده ، وتخيل الشاعر أن الفقيد ركب الكواكب ، وذهب إلى حياة أخرى مع أن حياتنا فى حاجة إليه ، فهو كالطبيب بالنسبة لنا ، وقد غاب فاستبد بنا المرض ، ولذلك فالزمان بائس

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٦

يقلب كفيه حزنًا لرحيله ، وهذا يوحى بأثر فقده فى الناس ، ثم ذكر أن الأزهر حزين لفقده ، وأن العلم فى كلية اللغة يبكى بكاء حارًا عليه ، وهذا يعنى أن مكانه من البحث ، والدرس بين إخوانه أعضاء هيئة التدريس قد خلا بغيابه عن هذه الكلية العريقة .

وراح الشاعر ينفى أنه مات لأن علمه ممتد ، وأدبه باق يؤثر فينا ، ونتأثر به ، يقول:

لم يوافِ الحمامُ عالِمَ مصْرِ (حَسَنٌ) غَيْثُها المَريع الخصيبُ

(حَسَنٌ) دَوْحُهَا يرفُّ عَلَيها بنسِيم الحياة وهْوَ خَضِيبُ

وفى رثائه للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق جاء بنوع من الخيال التأليفى الذى تنشأ فيه صورة عن صورة أخرى نتيجة لها ، فقد طلب من كل راء أن ينتهى عن الشغف بمتع الحياة الدنيا ، وأن يتأمل فى رحيل مَنْ رحلوا ، فقد راعَه الرَّحيل لمن سبق من الناس ، وتبين أن لذائد الحياة فانية ، فالأولى الإعراض عنها والعمل للآخرة ، يقول :

دعْ هوى مَنْ يشتهى طولَ مُناهَا وتأمَّل مَنْ ثوى تحت ثَراها

راعنِى الخطبُ رَأَتْ عينى الرَّدى يحصدُ الأهلَ وعمرًا يَتَنَاهَى

وصوّر الذين يعيشون بالأمل الكاذب الخادع بأنهم يبنون قصورًا من الوهم لا تلبث أن تنهار ، واقتبس فى أبيات تالية الآيات القرآنية التى تفيد أنه عند حلول الموت لا نستطيع رد الروح لمن حضرته الوفاة مصداقًا لقوله تعالى فى سورة الواقعة : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن

أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾(١) واقتبس بعد ذلك معنى حديث رسول الله ﷺ الذى قاله حين تحمل الجنازة على أعناق الرجال إلى القبر وهو قوله ﷺ (إذا وضُعت الجِنَازَةُ واحتملها الرجالُ على أعناقهم فإن كانت صالحةً قالت قَدِّمونى وإنْ كانت سِوَى ذلك قالت ياويلهاَ) الحديث(٢) .

ثم شبه الفقيد بالبدر الذى أفل ، والشمس التى هوت ، وجعل الأزهر مَطلعًا له زال عنه ضوؤه وحلت الغيوم ، وهبت الأعاصير ، وهذه الصورة المكفهرة دليل على عظم الفقيد .

وجعل المعاهد فى كثرتها كالغرس النامى ، وتخيل أن الدنيا تسأل ، والناس يسألون عن بحره المملوء بالشفاء القرآنى والإيمانى .

وجعل علمه ربيعًا مورقًا ، وكوثرًا يشرب منه الظمآن ، ويغسل الأرجاس ، وأنه مجتهد واسع الاجتهاد ، وأن يده تفيض بالخير ، وأنه حرس الملة إبان حياته ، ودافع عنها يرمى من رماها ، ولم يخش فى الحق أصواتًا أتت بأمور مزيفة ، وركبت موجة النفاق ، وقد أخمد فتنة مؤتمر السكان ، وكأنها كانت نارًا فأطفأها، وصور وثيقة الزواج التى وقف فى وجهها الفقيد بأنها كانت بيعًا وشراء بين الزوجين ، وأن الوثيقة قد هُزمت بنصر الله معبرًا بذلك

---

(١) الآيات ٨٣ - ٨٧

(٢) فتح البارى جـ٣ ص١٨٤ ، ١٨٥

عمن كان يقف وراءها ، ويساندها ، فسقط رأيهم ، وخذلوا ، وأنه كان كالأسد الرابض يدفع عن الأزهر خصومه وأعداءه .

وفى رثاء الإمام الشيخ محمد الغزالى رحمه الله جعل وفاته كالشهادة فى سبيل الله ، وصور ما كان يجرى بينه وبين خصومه بالمعارك التى تتطلب الحشود، والسلاح ، والكفاح ، وأن الشيخ بوفاته سلّم سلاحه على الحدود حين خرج من مصر ذاهبًا إلى السعودية فمات هناك .

ثم ذكر جرأته كالأسود ، وأن المنبر يهتز من كلماته حين كان يعلوه ، وأنه بحديثه العذب المفيد للناس كان كالطير الصداح ، وأنه كسر قيوده تعبيرًا بذلك عن حرية رأيه ، وأن كلماته كانت كالماء العذب المتفجر ، وحديثه كشعاع النور، وكالنسائم فى رقتها ، وحب الناس له ، وأنه كان بصيحاته كأنه يصيح فى قوم نيام ، وهذا دليل على قلة الاستجابة للحق عند الناس ، وأنه صدَّ رياح المضلّين الذين يهاجمونه أو يهاجمون الإسلام ، وأن الإسلام فى حديثه عاد إليه رونقه رغم الحاسدين ، وجعل مؤلفاته منائر وحراسًا للشريعة مثل الجنود الذين يحرسون الثغور ، وأن علمه كالغيث فى كل ميدان ، وأنه كالجبال الرواسى ، وكالدوحة بفكره الرائع ، وأنه كالمنار لمصر ، وأشار إلى اكتفائه فى الحياة بشظف العيش فى الوقت الذى يستمتع فيه الآخرون بالملذات ، ويأكلون كل ألوان الرغد من العيش ، يقول :

قدْ عشتَ فى هذى الحياةِ على تُقى العيش الزهيدْ
يقتاتُ حولك كلُّ أفّاكٍ أفانين الرَّغيدْ

ثم أمل فى أنه إن شاء الله من أهل الجنة ، ونقل فى ذلك معنى الحديث الذى سمع فيه الرسول دفَّ نعلى بلال فى الجنة ، وسأله عن ذلك فقال إنه كلما كان يتوضأ وضوءًا يُصلى به ما كتب له أن يصلى(١) .

يقول الشاعر :

إنى لا سمع يا " محمد " دفّ نعلك فى الخلودْ

قد كنت صادق دعوةٍ تتلو وضوءك بالسجودْ

(١) انظر الحديث وتخريجه ص ٢٣٢ من هذا البحث .

الأسلوب والموسيقى

يقول ابن رشيق : (إنّما سمى الشاعر شاعرًا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ، ولا اختراعه ، أو استظراف لفظ، وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعانى ، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر كان إطلاق اسم الشاعر عليه مجازًا لا حقيقة ، ولم يكن له إلا فضل الوزن ، وليس بفضل عندى مع التقصير)(١) .

والفصاحة عند الإمام عبد القاهر الجرجانى ليست فى اللفظة ، وإنما هى فى تلك العملية الفكرية التى تصنع تركيبًا من عدة ألفاظ(٢) .

والصورة الشعرية تعتمد كثيرًا على الأسلوب المكون من اللفظ والتركيب ، يقول أحمد حسن الزيات :

(البلاغة لا تفصل بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ؛ إذ الكلام كائن حىّ روحه المعنى ، وجسمه اللفظ ، وإذا فصلت بينهما أصبحت الروح نفسًا لا تتمثل ، والجسم جمادًا لا يحس)(٣) واللفظ الجيد ينبغى أن يكون معه معنى جيد ، وقد يختلف الأمر ، فيختار لفظ ردىء لمعنى جيد ، أو لفظ جيد لمعنى ردىء ، أو لفظ ردىء لمعنى ردىء ، وهذا يعنى أن

---

(١) العمدة ١ / ٧٤ .

(٢) دلائل الإعجاز ص٤٢ - ٥٣ .

(٣) دفاع عن البلاغة ص٦٠ .

المعانى ليست مطروحة فى الطريق كما يرى الجاحظ ، ولا بد أن تكون لها صلة بالوحدة العضوية(١) .

ولابد من أن تتحقق الوحدة العضوية ، وحدة الموضوع ، ووحدة المشاعر ، وما يتطلبه ذلك من وضوح الترتيب فى الأفكار ، والصور بحيث تكون القصيدة كلاً لايتجزأ ، فتؤدى الوظيفة التى تراد منها بحيث يسلم بعضها إلى بعض بتتابع الأفكار ، واتصالها بالمشاعر المتسلسلة على نحو مترابط محكم صادر عن وحدة الموضوع ، ووحدة الفكر ، ووحدة المشاعر التى تنبعث منه(٢) .

ولابد هنا أن يكون الأسلوب صحيحًا من النّاحية اللغوية معتمدًا على الأفكار ، والصور ، والجمل ، وانسجامها وإيقاعها مع العاطفة الشعورية(٣) .

وإن اختلال التركيب ، واضطراب النظم ، وسوء التأليف ، وهلهلة النسج ينبغى أن يبتعد عنها الشاعر الحق(٤) .

والمطبوعون ، وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعانى ، والإغراق فى الوصف ، إنما يكون الفضل عندهم فى الإلمام بالمعانى ، وأخذ العفو منها - كما كانت الأوائل تفعل - مع جودة السبك ، وقرب المأتى ، والقول فى هذا قولهم ، وإليه أذهب(٥) .

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٢٢ ، ٣٤ .

(٢) النقد الأدبى الحديث . د. محمد غنيمى هلال ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٣) الأسلوب لأحمد الشايب . ص٤٦ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) الوساطة للجرجانى ص٤١٣ .

(٥) الموازنة جـ١ ص٤٩٦ .

وينبغى ألا يخرج الشاعر على المألوف فى المعانى وإلا أدى ذلك إلى فساد شعره .

يقول قدامة : " ومن عيوب المعانى مخالفة العرف ، والإتيان بما ليس فى العادة ، والطبع مثل قول المرار :

وخَال على خـديك يبـدو كأنـه

سنا البدر فى دعجاء بادٍ دجونُها

فالمتعارف المعلوم أن الخيلان سود ، أو ما قاربها فى اللون ، والخدود الحسان إنما هى البيض ، وبذلك تنعت ، فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى(١) .

ومن ناحية الموسيقى فهناك الأوزان الملائمة للأغراض من بحور الشعر العربى ، وهناك القوافى بأنواعها من مطلقة ، ومقيدة ، وهناك ما تشتمل عليه أبيات القصيدة من موسيقى تؤديها الألفاظ فى حشو الأبيات ، وبعض المحسنات البديعية فيها .

وإذا جئنا إلى شاعرنا فى حديثه عن دور الأزهر ، وتقدير العاملين لنصرة الإسلام مدحًا ورثاء وجدناه يحسن اختيار ألفاظه ، وإيقاعها مواقعها ، وسلامة تراكيبها عنده ، واستعماله البحور الشعرية من الأوزان التامة والمجزوءة ، واختيار القوافى المناسبة طولاً وقصرًا فى نغماتها الموسيقية التى تتلاءم مع المعانى التى تؤديها ، ، وتستولى على القارىء والسامع بجمالها وحلاوتها .

---

(١) نقد الشعر . ص١٣٣ ، ١٣٤ .

انظر إلى قصيدته فى الأزهر الشريف - وهى من بحر البسيط ذى النفس الطويل - مع اختيار الكلمات ذات المد ، والقافية المطلقة المردفة حين يقول :

يا سائلى عن منار الشرق مذكانا هـذا بصدر السما تلقـاه مزدانًـا

ومن شيوخ على كرسيه جلسوا بساحه وأفاضوا العلـم طـوفانا

إلى معاهد صارت للعـلا مثـلاً وللثقـافة والتعليـم عنـوانًـا

وانظر مثلاً إلى قصيدته فى رثاء الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق فهو يختار (بحر الرمل) وهو أيضًا من الأوزان الموسيقية المؤثرة ، ثم يختار لها قافية مردفة موصولة ، ويجعل رويهـا الهـاء ، وهـى تستنفد قـدرًا كبيرًا مـن النفـس ، إلى جانب اختيار الألفاظ فى داخل الأبيات التى تثير من حيث الموسيقى الداخليـة كل المشاعر حتى الجامد منها ، فيقول فى مطلعها :

دَعْ هـوَى منْ يشتـهى طُولَ مناهَا وتـأمَّل مْنَ ثَوىَ تحتَ ثـرَاهَـا

ويتحدث عن الغافل عن الموت فيقول :

يملأُ السَّـاحةَ سـعْيًا للعُـلاَ فى قصورٍ سَوْف ينهـارُ بِنَـاهَا

واختيار الألفاظ مثل (هوى) و (يشتـهى) و(مناهـا) تعطى معنـى الحياة اللاهية بما فيها من متـع وملـذات ، واختيـار ألفـاظ أخـرى فـى جـانب الموت (ثوى تحت ثراها) تعطى وجهًا آخر للصورة وتحولها من إشراق زائف إلى قتام يعقبه بالموت ، واختيار لفـظ (السـاحة) و (العـلا) و (القصـور) يعطى صورة للغرور بالحياة ، والتقلب فى أعطافها ولا يدرى المغرور نتائجها،

ونهايتها ، إذ سرعان ما ينهار هذا البناء ويهوى ، واختيار لفظ (ينهار) يدل على سقوط هذا الصرح كومة من تراب كما يقول أحمد الزين :

راح فى الليل يعقدُ الأمل الضخم فلما بدا الضياءُ أذابه(١)

ونعتقد أنه لو قال : (سوف " يندَكّ " بناها) لم يعط هذه الصورة لمنظر الانهيار الذى يمثل أمام العيون .

وقد يختار القافية الموصولة بحركة قصيرة يزيد طولها للوزن كما فى اختياره بحر الخفيف وهو من البحور الموسيقية الأخاذة فى قصيدته عن معهده:

معهدى وجهه كبدر التمامِ قبس من سناه مجد العظامِ

ولا ينسى الموسيقى الداخلية التى تزيد التأثير ، وإذكاء الشعور .

وقد يصل القافية بالهاء الساكنة حين يرى أنها تزيد الموسيقى حلاوة ، وطلاوة فيقول مهنئا زميله (فؤاد سويدان) .

الكونُ أشرق يوم نلت العاليهْ

ومشى يفاخر للقرُون الخاليهْ

فالبحر هو الكامل ، والروى هو الياء ، والقصيدة مردفة بالألف ثم تأتى الهاء وصلاً لتشعر بسكتة موسيقية بعد طول الحركة ، وتجد الكلمات سريعة النبض إذ تشتمل على حركات قصيرة فى الشطر الأول ، وكأنها تسرع إلى التعبير عن المراد .

---

(١) ديوان أحمد الزين . ط الأولى . ص ١٠

(الكون أشرق يوم نلت) ثم تعود عالية النغمة فى الشطر الثانى تعبيرًا عن الزهو بعد تحقق الهدف والرجوع به إلى الماضى للتفاخر والتباهى .

وقد يلجأ إلى القافية المقيَّدة - وهى التى سكن رَوِيُّها - إذا وجد أن الرنين الموسيقى يتحقق بها ، ويقوى معناها ، ويلهب شعور سامعيها ، فهو مثلاً فى قصيدته لزميله الشيخ عبدالغفار منصور يختار القافية التى تشتمل على حرف الحاء الساكنة رويا مردفًا لها بالألف المدية كما نعلم ، وما فى الحاء من بحة صوتية كما يقول علماء اللغة يعطى الموسيقى صعودًا ، وهبوطًا إلى جانب اختيار بحر الرمل بطبيعته العالية لحنًا وموسيقى ، فيقول فى مطلعها :

قم لمنصور فباركْ ذا الكفاحْ   يا حمام الشعر خفاق الجناحْ

ثم يقول :

حلَّ بالعلم مكانًا باذخًا   فى ذراه سارَ فى كلِّ النواحْ

مهدهُ فيه جَنى ما يشتهى   وبدا يُشرق منه كالصَّبَاحْ

لاحظ التلاؤم ، والموسيقى ، واختيار الألفاظ كيف اختار كلمة من اسم صديقه وهى (منصور) ولاءم بينها وبين كلمة (الكفاح) فالكفاح يعقبه النصر كما قال تعالى : ﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾(١) .

وهذا هو ما يسميه علماء الأدب والنقد بالمحسنات البديعة ، وأثرها فى حلاوة النغم ، والموسيقى الداخلية ، ثم انظر إلى ذكره (المكان الباذخ) وكيف حلّ فيه ، وأنه (مَهْدُ) له ترعرع فى جنياته ، وجنى ثماره ، ثم

---

(١) سورة الكهف : الآية ٣٠

اكتمل فبدأ فى الإشراق كأنه الصبح المسفر ، فالملاءمة بين المكان العالى ، والحلول ، والمهد ، ثم الإشراق ، ثم الصباح كلمات متلائمة متوائمة وبينها اجتماع ، وائتلاف ، وهذا من حسن اختيار الألفاظ ، والتراكيب اللغوية التى تعمل كلها فى إطار صحة المعنى ، ووفائه .

وقد يختار الشاعر القوافى التى لم تردف ، ولم تؤسس ، كما فعل فى قصيدته فى رثاء د. النمر إذ اختار لها بحرًا يهزّ المشاعر وهو (المتقارب) ، وهو يتواءم مع طبيعة الموقف ؛ لأن الفقيد كان جسورًا فى الحق جريئًا ، وكأنه يطلب منا الاندفاع إلى الإحساس بقيمة هذا الرجل ، ويهزنا هزًّا عنيفًا مسرعًا ، فلا يختار القوافى المردفة ، أو المؤسسة التى تبطئ فيها الحركة ، بل يختارها غير ذلك سريعة الحركة متنقلة بخفة حين يقول مثلاً :

لتَبكِ الشريعة مقدامها ... إلى الحق والحقُّ يستغفِرُ

فنلحظ سرعة الحركة ، وتتابع الكلمات على هذا النحو المثير السريع .

وقد يلجأ إلى الأوزان القصيرة أيضًا فى مجال الرثاء ، فقد اختار (مجزوء الكامل) أيضًا (المذال الضرب) فى رثاء فضيلة الشيخ الغزالى وكأنه نظر إلى سرعة رحيله ، ونشاطه الذى كان محط أنظار الجميع ، فلم ين لحظة فى خدمة الدعوة الإسلامية ، ولعل نزول الخبر سريعًا كان من دوافع أن يأتى البحر مجزوءًا على هذا الوزن المتدفق تدفقًا سريعًا ، ومطلعها :

يا إخوتى يأيها الأنصار جاءكم الشهيدْ

ونُلاحظ أن الشاعر خاطبهم بلفظ (الإخوة) برباط الإسلام ، ولعل فى ذلك ما يوحى بحب الشاعر لهم ، ورجائه أن يكون قريبًا منهم ، ولذا

يخاطبهم مخاطبة الإخوة ، ثم ذكر الأنصار وهذا مما يناسب الموقف الذى دخل إليه فى رثاء هذا الفقيد ، فهو من الذين ناصروا دين الله ، ولعله يلحق بهم ، وقد جعله شهيدًا لأن الأنصار سقط منهم الشهداء فى ميدان المعارك بين الإسلام والكفر ، وهذا سقط شهيدًا فى معارك الدعوة .

ولما كان الشاعر يريد أن يرسم صورة لهذا الكفاح تمتلىء بالحركة الجياشة اختار أدوات المعركة فوضعها فى مطلع القصيدة ، فكما كان الأنصار يحملون السلاح لنشر الدعوة فقد حمل الشيخ الغزالى سلاحه بعلمه ، وعمله ، ونافح لنصر الدعوة ، ثم سقط شهيدًا فى ميدانها ، ولهذا ذكر الشاعر ألفاظ (المعركة - الصولان - السلاح - الحدود) وأنه سلم السلاح على الحدود ، كل هذا مما يؤكد نظرية النقاد فى أن اللفظ لا ينظر إليه وحده ، وعلى الشاعر أن يجعله فى نسيج متكامل مع الألفاظ ، والعبارات الأخرى ليكون ذا إشعاع فى الصورة ، وذا إيحاء بحيث يعد عنصرًا من عناصرها ، وجزءًا من أجزائها ، وركنا من أركانها ، فيجتمع المتآلف منها ليكون البناء متماسكًا ، وليكون النسج محكمًا ، ذا روعة وبهاء ، كما نلاحظ هنا .

ويلاحظ بصفة عامة ما يلى :

الشاعر يكرر الحديث عن الأزهر بعبارات كثيرة عن معنى متنوع ، ويمكن أن يلحظ ذلك فى معظم قصائد المدح والرثاء ، ففى مدح الشيخ (أبو زيد شلبى) يقول :

وكفى بأزهره هناك دليلاً

والأزهر الوضاح هز جناحه

وفى مدح فضيلة الشيخ طنطاوى يقول :

رأى الأزهـر المعمور أنك تعتلى

وفى مدح أستاذ آخر يقول :

وأزهرنا للنـاس يـروى مفـاخرًا

وفى مدح صديق له يقول :

الأزهـر المعمور قـد بلـغ الـذرا

كما يبدو ذلك فى قصائد الرثاء ، فيقول :

روع الأزهـــــر فى أعــــــلامه

تألمـــت يـــوم بـــكى الأزهـــر

أأزهـــرنا أنت مهـــــد العلـــوم

الأزهـــر الوضـــاح فى طلعـــاتكم

فـإذا الأزهـــر الشـــريف كئـــيب

كـم هـز منـبر أزهـر بجسـارة الرأى السـديد

ولعل اعتزازه بالأزهر هو الذى جعله يكثر من ذكره ، ويخلع عليه صفـة الأحياء مما جعل المعنى مقبولاً مع تكراره .

وهو يكرر بعض الألفاظ كقوله (بهر النهى) فى مدحتين له مختلفتين .

ويلجأ إلى بعض الأساليب الوعظية أحيانًا ، وبخاصة عند الحديث عن رثاء بعض العاملين لنصرة الإسلام كقوله :

دع هـوى من يشتهى طـول منـاها

النـاس فى غفـلاتها   تلهـو بمـال أو وليـد

ومما أعجبنا هذا المطلع الحوارى البديع بينه وبين البيان بما جعل المعنى جديدًا كقوله :

ثار البيـان ليكتـب التفصيلا   وأردت أن أملى عليـه قليـلاً

وهذا هو نمط قصيدة شوقى :

قم للمعـلم وفـه التبجـيلا

لكن الشاعر بالغ فى وصف الشيخ وهو أستاذ (مـادة الحضـارة الإسلامية) فجعله عالـمًا فى الفقه ، والتفسير ، واللغـة ، وهـذا مبالغـة ، وإذا كان هذا العالم موسوعيا فإن المبالغة أيضاً ملحوظة .

وفى قوله (عنت الوجوه له فلا تحويلا) استعمل عبارة (عنت الوجـوه) واللفظ فى ذاته بمعنى خضعت ، وهو يقصد الخضوع احترامًا لا عبادة ، ومـع ذلك فلأن هـذا اللفـظ ارتبـط بـالقرآن وبـالمولى سبحانه كقولـه : ﴿ وعنـت الوجوه للحى القيوم ﴾(١) يوحى بعدم دقة الشاعر فى استعماله لهذا اللفظ هنا .

كما ينحو منحى شوقى فى الوزن الشعرى فى مطلع قصيدته :

سـلوا قلبى غـداة سـلا وتـابا

---

(١) سورة طه : الآية ١١١

عندما قال :

نسـيم الروض خط هنا كتـابًا .... إلخ

ومن المطالع القديمة قوله :

النـور أشرق أيهـذا السـاقى　　　قم فارونى من غلة الأشـواق

فهو مطلع على نظام مطالع الخمريات التى كان ينهجها أبو نواس ، وأضرابه فى العصر العباسى .

الفهارس

- أهم المراجع .
- فهرس الموضوعات .

أهم المراجع

- أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب . ط٤ سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م .
- البداية والنهاية لابن كثير . ط. بيروت .
- البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر . د. على على صبح . ط. المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- البناء الفنى للقصيدة العربية . د. محمد عبد المنعم خفاجى . ط. الأولى .
- الإسلام دعوة عالمية . للأستاذ عباس العقاد . العدد ٢٣٧ ط. دار الهلال.
- الإسلام رسالة الإصلاح والحرية . د. خفاجى ط١٣٧٢هـ .
- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ط. دار الكتب .
- البيان والتبيين للجاحظ . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- تاريخ آداب العرب لجوجى زيدان . نشر دار الهلال .
- تاريخ الأدب العربى . كارل بروكلمان . ترجمة د. عبد الحليم النجار .
- تاريخ النقد الأدبى عند العرب . نقد الشعر من القرن الثانى حتى القرن الثامن الهجرى . تأليف د. إحسان عباس . ط. دار الثقافة . بيروت . ط. الخامسة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق . د. زكى مبارك . ط. دار الكتاب العربى ط٢ سنة ١٩٥٤م .

- الخيال الرومانسى . سير موريس بورا . ترجمة إبراهيم الصيرفى . ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .
- دراسات فى الأدب الإسلامى . محمد خلف الله أحمد . ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧م .
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى . ط. مطعبة السعادة .
- دليل الفالحين لابن علان الصديقى . نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .
- ديوان أبى العتاهية . ط. بيروت .
- ديوان لبيد . تحقيق د. إحسان عباس . ط. بيروت ١٩٦٢م .
- الروح لابن قيم الجوزية . المكتبة التوفيقية .
- سلسلة التاريخ الإسلامى . العرب قبل الإسلام ، والسيرة النبوية للشيخ محمد مصطفى النجار . ط ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م دار الطباعة المحمدية .
- السيرة النبوية لابن هشام . تحقيق محمد فهمى السرجانى . ط. دار التوفيقية.
- شوقى . شعره الإسلامى . د. ماهر حسن فهمى . ط. دار المعارف ١٩٥٩م .
- الشوقيات . ط. المكتبة التجارية الكبرى . شركة الإعلانات الشرقية ١٩٧٠م.
- الصورة الشعرية . سيسل دى لويس . ترجمة أحمد نصيب الجنابى . مالك منيرى . سليمان إبراهيم - مراجعة غزوان إسماعيل . ط. بغداد . دار الرشيد ١٩٨٢م .

• ظهر الإسلام لأحمد أمين . مكتبة النهضة المصرية . ط. الثانية .

• العصر الإسلامى . د. شوقى ضيف . ط. دار المعارف ١٩٦٣م .

• العقد الفريد لابن عبد ربه . ط. لجنة التأليف والترجمة .

• العمدة لابن رشيق . الطبعة الأولى . القاهرة ١٩٠٧م .

• عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعلامة البدر العينى . ط. دار الفكر . بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

• عيار الشعر لابن طباطبا (محمد بن أحمد العلوى) . تحقيق د. الحاجرى ود. سلام ١٩٥٦م .

• فتح البارى شرح صحيح البخارى للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى . نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

• فصول فى الشعر ونقده . د. شوقى ضيف . ط ٢ .

• فى الأدب الحديث . د. عمر الدسوقى . ط ٨ مطبعة الرسالة ١٩٧٠م .

• فيض الخاطر لأحمد أمين . مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٧٤م .

• فى ميزان النقد الأدبى . د. طه أبو كريشة . ط. القاهرة .

• قصة الأدب فى العالم لأحمد أمين وزكى نجيب محمود . ط. الأولى ١٩٣٦م .

• القاموس المحيط .ط. السعادة ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م .

• قضايا النقد الأدبى والبلاغة . محمد زكى العشماوى . ط. دار الكاتب العربى.

- لسان العرب لابن منظور . ط. بولاق ١٣٠٠هـ - ١٣٠٧هـ .
- المثل السائر لأدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير .تحقيق د. أحمد الحوفى ود. بدوى طبانة ١٩٥٩ ، ١٩٦٢م .
- المدخل إلى النقد الأدبى الحديث . د. محمد غنيمى هلال . ط. المطبعة العالمية ١٩٦٢م .
- الموازنة بين الطائيين للآمدى . تحقيق السيد صقر . ط ١٩٦١م .
- الموازنة بين الشعراء . د. زكى مبارك . ط. وزارة الثقافة .
- مهمة الشاعر فى الحياة وشعر الجيل الحاضر لسيد قطب . ط. الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .
- موسيقى الشعر . د. إبراهيم أنيس . ط. الأنجلو المصرية . ط٣ . سنة ١٩٦٥م.
- النقد الأدبى . أصوله ومناهجه لسيد قطب . ط ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر . تحقيق المستشرق س. أ. بونياكر . ليدن ١٩٥٦م.
- نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى . ط. الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٩م .

فهرس الموضوعات

مقدمـــــة	٥ - ٨
مدخــــل	٩ - ٣٩
مفهوم الدين وارتباطه بالشعر	١١ - ٢٦
التعريف بالشاعر	٢٧ - ٣٩
اسمه ونســـبه	٢٧
حياته ونشأته	٢٧
شاعريتــــــه	٣٢
(أ) العوامل المؤثرة فى نبوغه الشعرى	٣٢
موهبتــــه	٣٢
تعلمه فى الأزهر	٣٢
حبه للقراءة والاطلاع	٣٢
تشجيع أساتذته له	٣٣
أثر الأحداث السياسية والاجتماعية	٣٥
نبوغه العلمى والثقافى	٣٥
مؤلفــــاته	٣٦
(ب) مراحل شاعريته	٣٧
الطور الأول : المحاكاة	٣٧
الطور الثانى : النضج والاكتمال	٣٨
(حـ) شـــعره	٣٨
أغراض شعره	٣٩

الفصل الأول

التوحيـــد

التحليل الأدبى	٤٣ - ٥٣
الشرائع السماوية	٤٣
رحلة فى الليل	٤٥
الإعجاز القرآنى	٤٧
التصوير الفنى فى هذا الشعر	٥٤ - ٦٠

الفصل الثانى

المدائح النبوية

التحليل الأدبى	
لحظة الميلاد المحمدى - هذا الضياء - وقفت أحييك -	
مولد وضاء - مناجاة	٦٣ - ٨١
مدح آل البيت	٨٢ - ٨٣
التصوير الفنى فى هذا الشعر	٨٤ - ١٠٧

الفصل الثالث

الأحداث الإسلامية

الأحداث الإسلامية	١١١
أولاً : أحداث الذكريات الإسلامية	١١٢-١٦١
حادث الإسراء والمعراج	١١٢

خير الشهور ١٢١

استقبال رمضان ١٢٣

التهنئة بعيد الفطر المبارك ١٢٦

غزوة بدر الكبرى ١٢٩

الحج والوحى والتاريخ ١٣٤

فى جوار بيت الله (الكعبة) ١٤١

الصورة الأدبية فى أحداث الذكريات الإسلامية ١٤٤-١٦١

ثانيا : الأحداث الإسلامية الناشئة عن الأحوال السياسية والوطنية فيما تضمنته القصائد التالية ١٦٢-١٩٢

فلسطين السليبة ١٦٢

عودة طابا ١٦٣

أفغانستان الجريح ١٦٥

البوسنة والهرسك ١٦٦

طلائع النور (الشيشان) ١٦٧

جوهر دودايبف ١٧٤

الوحدة العربية ١٧٦

الصورة الأدبية فى هذا الشعر ١٧٩-١٨٥

الأسلوب والموسيقى ١٨٦-١٩٢

الفصل الرابع

المؤسسات الإسلامية والعاملون لنصرة الإسلام

أولاً : دور المؤسسات الإسلامية	١٩٥
منارة الشرق (الأزهر)	١٩٥
معهدى	١٩٨
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	١٩٩
ثانياً : تقدير العاملين لنصرة الإسلام مدحاً ورثاء	٢٠٠
(أ) المدح	٢٠٠
(ب) الرثاء	٢٢٠
الصورة الفنية فى هذا الشعر	٢٣٢
(أ) الصورة الفنية فى تعبيره عن دور المؤسسات	٢٣٦
(ب) الصورة الفنية فى المدح	٢٣٩
(حـ) الصورة الفنية فى الرثاء	٢٥١
الأسلوب والموسيقى	٢٦٢
الفهـــارس	٢٧٣
أهم المراجع	٢٧٥-٢٨٠
فهرس الموضوعات	٢٨١-٢٨٤

رقم الإيداع ٩٤٤٩/١٩٩٦
I.S.B.N . 977-19-1556-8